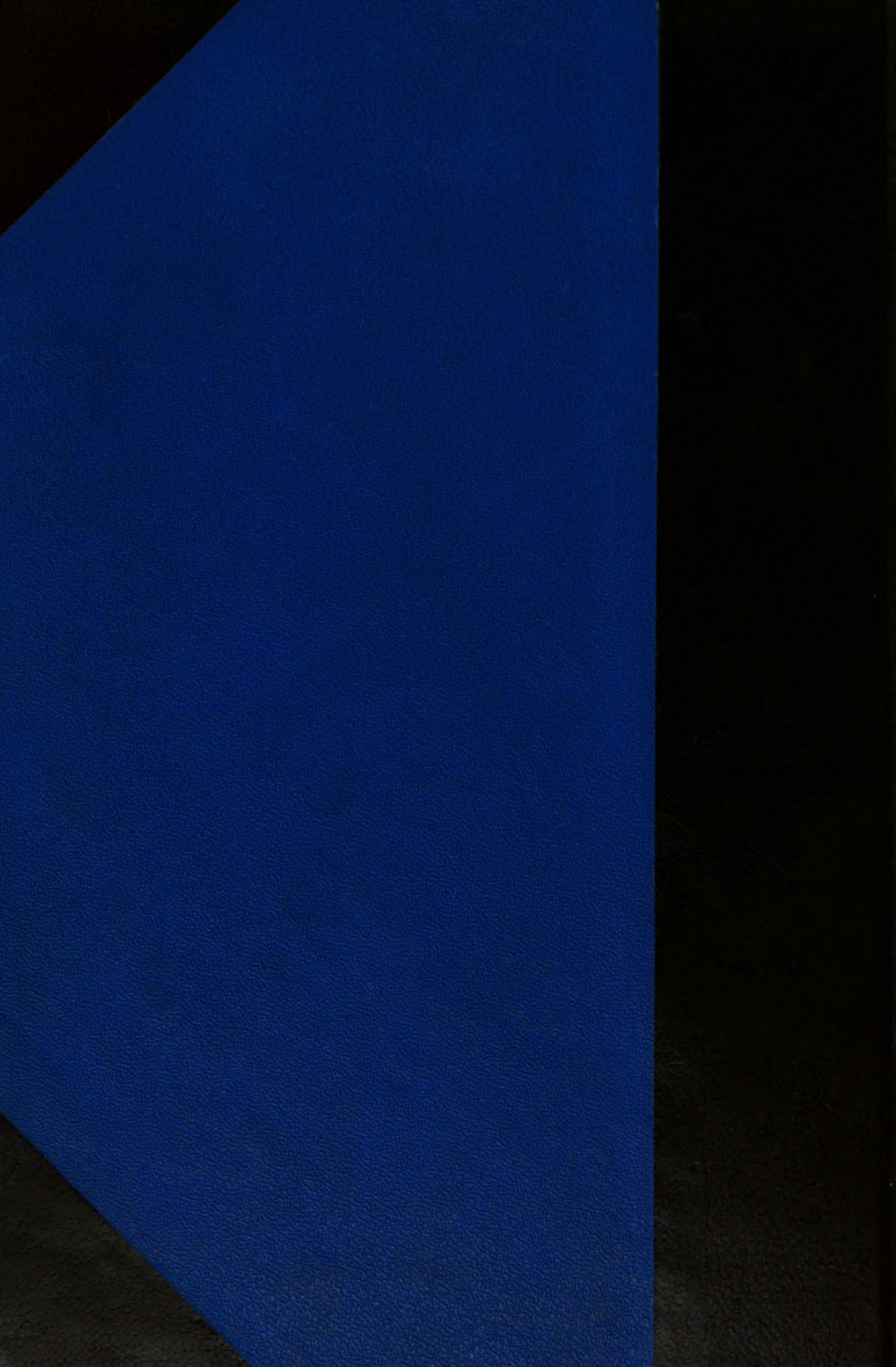




al-Itlīdī, Muḥammad Diyāb

Iʿlām al-nās

هذا كتاب اعلام الناس * بما وقع
للبرامكة مع بني العباس * تأليف
الامام الفاضل محمد دياب
الاتليدى رحمه الله
والمسلمين
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الكتاب المبين على اشرف الانبياء والمرسلين وقص عليه
اخبار المتقدمين والمتاخرين وعلمه ما كان وما يكون الى يوم الدين نحمده
اذ جعلنا من امته ونشكره على عطائه ومننه ونشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له اذ من علينا بمعرفة احوال من مضى من الامم ولم يكشف عنا
ستره اذ انزل بنا النقم وجعلنا امة عدولا وسطا وشهد لنا بذلك فى الكتاب
المعظم المكرم فقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر فظهر الفضل بما جاد به وتكرم ونشهد ان سيدنا ونبينا
محمدا عبده ورسوله الذى قال ادبنى ربى فاحسن تاديبى فساد على جميع
الانبياء وعليهم تقدم صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم وبعد
فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز والتفريط فى ايامه وكثير التخليط
وزيادة اثامه محمد يعرف بدياب الاتليدى من اقليم المنية الخصيبية سالنى
بعض الاخوان الموفقين من لا يسعنى مخالفته ان اجمع له شيئا مما وقع فى زمن

الخلفاء المتقدمين من بنی امية والخلفاء العباسيين فاجبته لذلك مع على
انى لست اهلا لذلك فقد قالوا الامتثال خير من الادب وسميته
اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنی العباس وابتدات فی ذلك بامير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضی الله عنه تبركا به وبذكره قيل لما رجع عمر رضی الله عنه
من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف اخبار رعيته فمر بعجوز فی
خباءلها فقصدها فقالت ما فعل عمر رضی الله عنه قال قد اقبل من الشام
سالما فقالت يا هذا لا جزاه الله خيرا عنی قال ولم قالت لانه ما نالنی من
عطاياه منذ ولی امر المسلمين دينارا ولا درهما فقال وما يدری عمر بحالك
وانت فی هذا الموضع فقال سبحان الله والله ما ظننت ان احدا يلی على الناس
ولا يدری ما بين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضی الله عنه وقال واعمراه
كل احد افقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال لها يا امة الله بكم تبيعينی
ظلامتك من عمر فانی ارحمه من النار فقالت لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر
لست اهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا
فبينما هو كذلك اذ اقبل على بن ابی طالب رضی الله عنه وعبد الله بن مسعود
رضی الله عنهما فقالا السلام عليك يا امير المؤمنين فوضعت العجوز يدها
على راسها وقالت واسوأتاه شتمت امير المؤمنين فی وجهه فقال لها عمر
رضی الله عنه لا باس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم
يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا
ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولی الخلافة الى يوم كذا وكذا بخمسة
وعشرين دينارا فما تدعى عليه عند وقوفه فی المحشر بين يدی الله تعالى
فعمر بریٔ منه شهد على ذلك على وابن مسعود ثم دفعها الى ولده وقال اذا
انا مت فاجعلها فی كفنی القى بها ربی وقال شرف الدين حسين بن ريان
اغرب ما نقلته من الاخبار واعجب ما عقلته عن الاخيار ممن كان يحضر مجلس

عمر بن الخطاب خليفة الاسلام ويسمع كلامه قال بينهما الامام جالس في
بعض الايام وعنده اكابر الصحابة واهل الراى والاصابة وهو يقول في
القضايا ويحكم بين الرعايا اذ اقبل شاب حسن الشباب نظيف الاثواب
يكتنفه شابان من احسن الشباب نظيفا الثياب قد جذباه وسحباه واوقفاه
بين يدى امير المؤمنين ولبباه فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما واليه فامرهما
بالكف عنه وادنوه منه فقالوا يا امير المومنين نحن اخوان شقيقان جديران
باتباع الحق حقيقان كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم في قبائله منزه
عن الرذائل معروف بفضائله ربانا صغارا واعزنا كبارا واولانا نعما غزارا كما قيل

لنا والد لوكان للناس مثله   اب آخر اغناهموا بالمناقب

خرج اليوم الى حديقة له يتنزه في اشجارها ويقطف يانع ثمارها فقتله
هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسالك القصاص عما جناه والحكم
فيه بما اراك الله قال الراوى فنظر عمر الى الشاب وقال له قد سمعت فما الجواب و
الغلام مع ذلك ثابت الجاش خال من الاستيحاش قد خلع ثياب الهلع ونزع
جلباب الجزع فتبسم عن مثل الجمان وتكلم بافصح لسان وحياه بكلمات حسان
ثم قال يا امير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى
وعبرا بما طرى وسانهى قصتى بين يديك والامر فيها اليك اعلم يا امير المؤمنين
انى من العرب العربا نبت في منازل البادية وصبحت على اسود السنين
العادية فاقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد فافضت بي
بعض طرايقها الى المسير بين حدايقها بنياق حبيبات الى عزيزات على
بينهن فحل كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل حسن النتاج يمشى بينهن كانه
ملك عليه تاج فدنت بعض النوق الى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها فتناولته
بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد ظهر وزفر وتسور الحائط
وظهر وفي يده اليمنى حجر يتهادى كالليث اذا خطر فضرب الفحل بذلك

الحجر فقتله واصاب مقتله فلما رايت الفحل قد سقط لجنبه وانقلب توقدت
في جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به فكان سبب حينه
ولقي سوء منقلبه والمرء مقتول بما قتل به بعد ان صاح صيحة عظيمة
وصرخ صرخة أليمة فاسرعت من مكاني فلم يكن بأسرع من هذين الشابين فامسكاني
واحضراني كما تراني فقال عمر قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب
القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعاً لما حكم به الامام ورضيت
بما اقتضته شريعة الاسلام لكن لي اخ صغير كان له اب كبير خصه قبل وفاته
بمال جزيل وذهب جليل واحضره بين يدي واسلم امره الي واشهد الله
علي وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه جهدك فاتخذت لذلك مدفنا
ووضعته فيه ولا يعلم به الا انا فان حكمت الان بقتلي ذهب الذهب وكنت
انت السبب وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه وان انظرتني
ثلاثة ايام اقمت من يتولى امر الغلام وعدت وافيا بالزمام ولي يضمنني على هذا
الكلام فاطرق عمر ثم نظر الى من حضر وقال من يقوم على ضمانه والعود الى مكانه
قال فنظر الغلام الى وجوه اهل المجلس الناظرين واشار الى ابي ذر دون الحاضرين
وقال هذا يكفلني ويضمنني قال عمر يا اباذر تضمنه على هذا الكلام قال نعم اضمنه
الى ثلاثة ايام فرضي الشابان بضمانة ابي ذر وانظراه ذلك القدر فلما انقضت
مدة الامهال وكاد وقتها يزول او قد زال حضر الشابان الى مجلس عمر والصحابة
حوله كالنجوم حول القمر وابو ذر قد حضر والخصم ينتظر فقالا اين الغريم
يا اباذر كيف يرجع من فر لا نبرح من مكاننا حتى تفي بضماننا فقال ابو ذر
وحق الملك العلام ان انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت بالض
واسلمت نفسي وبالله المستعان فقال عمر والله ان تاخر الغلام لا
في ابي ذر ما اقتضته شريعة الاسلام فهمت عبرات الناظرين ال
وزفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج وتزايد النشيج فعرض

على الشابين اخذ الدية واغتنام الاثنية فاصرا على عدم القبول وابيا الا
الاخذ بثار المقتول فبينما الناس يموجون تلهفا للمام ويضجون تاسفا على
ابى ذر اذ اقبل الغلام ووقف بين يدى الامام وسلم عليه اتم السلام ووجهه
يتهلل مشرقا ويتكلل عرقا وقال قد اسلمت الصبى الى اخواله وعرفتهم بخفى امواله
واطلعتهم على مكان ماله ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وفاء الحر فعجب الناس
من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال من غدر لم يعف
عنه من قدر ومن وفا رحمه الطالب وعفا وتحققت ان الموت اذا حضر
لم ينج منه احتراس كى لا يقال ذهب الوفا من الناس فقال ابو ذر والله
يا امير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم اعرفه من اى قوم ولا رايته
قبل ذلك اليوم ولكن نظر الى دون من حضر فقصدنى وقال هذا يضمننى
فلم استحسن رده وابت المروءة ان تخيب قصده اذ ليس فى اجابة القصد
من باس كى لا يقال ذهب الفضل من الناس فقال الشابان عند ذلك
يا امير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم ابينا فبدل وحشته بايناس كى لا
يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه
ووفائه واستغزر مروءة ابى ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين
فى اصطناع المعروف واثنى عليهما احسن ثنائه وتمثل بهذا البيت من
يصنع الخير لم يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
ثم عرض عليهما ان يصرف من بيت المال دية ابيهما اليهما فقالا انما عفونا
ابتغاء وجه ربنا الكريم ومن نيته هكذا لا يتبع احسانه منا ولا اذى
قال الراوى فاثبتها فى ديوان الغرائب وسطرتها فى عنوان العجائب
انتهى واحضر الهرمزان بين يدى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ماسورا فدعاه الى الاسلام فابى فامر بضرب عنقه فقال يا امير المؤمنين
قبل ان تقتلنى اسقنى شربة من الماء ولا تقتلنى ظمانا فامر له عمر بقدح

مملوءماء فلما صار القدح في يد الهرمزان قال انا آمن حتى اشربه قال نعم لك الأمان حتى تشربه فالقى الهرمزان الاناء من يده فاراقه ثم قال الوفا يا امير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعوه حتى انظر في امره فلما رفع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال عمر رضي الله عنه لقد اسلمت خير الاسلام فما اخرك قال خشيت ان يقال اني اسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك لفارس حكيم استحقيت ما كنت فيه من الملك ثم ان عمر رضي الله عنه بعد ذلك كان تشاوره في اخراج الجيوش الى ارض فارس ويعمل برايه انتهى وسياتي نظير ذلك في اخذ الامان بالحيلة ومما ذكره عبد الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون عما وقع لجبلة بن الايهم حين لطم الفزاري على وجهه لما داس على ردائه وقال له عمر رضي الله عنه دعه يقتص منك او ما هذا معناه فقال لعمر وهل استوى انا وهو في ذلك فقال له نعم الاسلام ساوى بينكما فقال اجلني الى غد فلما اصبح مضى الى قيصر ملك الروم وارتد ثم ندم وقال ابياتا وهي هذه

تنصرت الاشراف من اجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني منها لجاج ونخوة ... فبعت بها العين الصحيحة بالعور

فيا ليت امي لم تلد لي وليتني ... رجعت الى الامر الذي قال لي عمر

ويا ليتني ارعى المخاض بقفرة ... وكنت اسيرا في ربيعة او مضر

ويا ليت لي بالشام ادنى معيشة ... اجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الايهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية اقطعه هرقل بالاموال والضياع وبقي ما شاء الله ثم ان عمر رضي الله عنه بعث الى قيصر رسولا يدعوه الى الاسلام او الى الجزية فلما اراد الانصراف قال هرقل للرسول لقيت ابن عمك هذا الذي عندنا يعني جبلة الذي اتانا راغبا في ديننا قال لا قال فالقه ثم ائتني اعطك جواب كتابك قال الرسول

فذهبت الى دار جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل قال فلم ازل اتلطف بالاذن حتى اذن لى فدخلت عليه فرايته اصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به اسود اللحية والراس فانكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى اصهبت وهو قاعد على سرير من قوارير على قوائمه اربعة اسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه على السرير فجعل يسائلنى عن المسلمين فذكرت له خيرا وقلت قد اضعفوا اضعافا على ما تعرف فقال وكيف تركت عمر بن الخطاب فقلت بخير قال فرايت الغم فى وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تابى الكرامة التى اكرمناك بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تبالى على ما قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة الا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال ا بعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من فزارة اكثر ما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلما وانما ذكرت له ان الذى فعل هذه الفعلة من فزارة وانه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع الى الاسلام لان الرجل الذى كان تنصر جبلة من اجله حين لطمه واراد عمر ان يقتص منه كان فزاريا ايضا فقلت له امرك اخف من امره ان رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال زدنى من هذا ان كنت تضمن لى ان يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الى الاسلام ضمنت له التزويج ولم اضمن له تولية الامر قال ثم اوما الى خادم كان على راسه فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق فيها طعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى انية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله

عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله عليه وسلم وليكن نق قلبك وكل فيما احببت قال فاكل فى الذهب و اكلت انا فى الخلنج ثم دعا بطسوت الذهب واباريق الفضة فغسل يديه فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم اومأ الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فاذا خدمهم كراسى مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى وعليهن تيجان الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى ثم جاءت جارية ايضا كانها الشمس حسنا على رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم ار احسن منه وفى يدها جامة فيها مسك فتيت وفى يدها الاخرى جامة فيها ماء ورد فاومأت تلك الجارية وصفرت بالطائر الذى على تاجها فوقع فى جامة المسك فاضطرب فيها ثم صفرت به ثانيا فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم اومأت اليه فطار ونزل على صليب فى تاج على جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت انيابه ثم التفت الى الجوارى اللواتى عن يمينه فقال لهن اضحكنا فاندفعن يغنين فجعلن تخفق عيدانهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم	يوما بجلق فى الزمان الاول الى قوله
اولاد جفنة حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم	بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال فضحك جبلة حتى بدت انيابه ثم قال اتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ثم اشار الى الجوارى اللواتى عن يساره وقال بكيننا فاندفعن يغنين تخفق عيدانهن ويقلن شعرا

لمن الدار اقفرت بمعان	بين اعلى اليرموك فالخمان الى قوله

ذالك مغنى لآل جفنة في الدهر وحق تعاقب الازمان

قال فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ثم قال اتدرى من يقول
هذا قلت لا قال حسان ثم انشد الابيات التى اولها تنصرت الاشراف
الى آخرها ثم سألني عن حسان احى هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولى ايضا
كذلك ثم امر لحسان بمال ونوق موقورة برا ثم قال لى ان وجدته حيا فادفع
الهدية واقرئه منى السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى اهله وانحر النوق
على قبره قال فلما اخبرت عمر رضى الله عنه بخبره وما اشترطه على وضمنت
له قال فهلا ضمنت له الامر فاذا افاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ما كان الا ما
اراد ثم جهزنى عمر ثانية الى هرقل وامرنى ان اضمن له ما اشترط فلما دخلت
القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء
غلب عليه فى ام الكتاب انتهى وقيل انه قدم اهل الكوفة على عمر بن الخطاب
رضى الله عنه يشكون سعد بن ابى وقاص فقال من يعذرنى من اهل
الكوفة ان وليتهم التقى ضعفوه وان وليتهم القوى فجروه فقال له المغيرة
ابن شعبة يا امير المؤمنين ان التقى الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوى
الفاجر لك قوته وعليه فجوره قال صدقت انت القوى الفاجر فاخرج اليهم
فلم يزل عليهم ايام عمر وايام عثمان رضى الله عنهما وايام معاوية حتى مات المغيرة
انتهى وقيل دخل عمرو بن معدى كرب الزبيدى على عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فقال عمر اخبرنى عن اجبن من لقيت واحيل من لقيت
واشجع من لقيت قال نعم يا امير المؤمنين خرجت مرة اريد الغارة فبينما
انا سائر اذا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا رجل جالس كاعظم ما يكون
من الرجال خلقا وهو محتبى بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك فانى قاتلك
فقال ومن انت قلت انا عمرو بن معدى كرب الزبيدى فشهق شهقة
فمات فهذا يا امير المؤمنين اجبن من رايت وخرجت مرة حتى انتهيت

الى حى فاذا انا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا صاحبه فى وهدة يقضى
حاجته فقلت خذ حذرك فانى قاتلك فقال ومن انت فاعلمته بى فقال
يا ابا ثور ما انصفتنى انت على ظهر فرسك وانا على الارض فاعطنى عهدا
انك لا تقتلنى حتى اركب فرسى فاعطيته عهدا فخرج من الموضع الذى كان
فيه واحتبى بحمائل سيفه وجلس فقلت ما هذا فقال ما انا براكب فرسى
ولا مقاتلك فان نكثت عهدك فانت اعلم بناكث العهد فتركته ومضيت
فهذا يا امير المؤمنين احيل من رايت وخرجت مرة حتى انتهيت الى موضع
كنت اقطع فيه الطريق فلم ار احدا فاجريت فرسى يمينا وشمالا واذا انا
بفارس فلما دنا منى فاذا هو غلام حسن نبت عذاره من اجمل ما رايت
من الفتيان واحسنهم واذا هو قد اقبل من نحو اليمامة فلما قرب منى سلم
على فرددت عليه السلام وقلت من الفتى قال الحارث بن سعد فارس
الشهباء فقلت له خذ حذرك فانى قاتلك فقال الويل لك فمن انت قلت
عمرو بن معدى كرب الزبيدى قال الذليل الحقير والله ما يمنعنى من
قتلك الا استصغارك فتصاغرت نفسى يا امير المؤمنين وعظم عندى
ما استقبلنى به فقلت له دع هذا وخذ حذرك فانى قاتلك والله لا ينصرف
الا احدنا فقال اذهب ثكلتك امك فانا من اهل بيت ما اثكلنا فارس
قط قلت هو الذى تسمعه قال اختر لنفسك فاما ان تطرد لى واما ان
اطرد لك فاغتنمتها منه فقلت له اطرد لى فاطرد وحملت عليه فظننت انى
وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار حزاما لفرسه ثم عطف على فقنع
بالقناة راسى وقال يا عمرو خذها اليك واحدة ولولا انى اكره قتل
مثلك لقتلتك قال فتصاغرت نفسى عندى وكان الموت يا امير المؤمنين
احب الى مما رايت فقلت له والله لا ينصرف الا احدنا فعرض على مقالته
الاولى فقلت له اطرد لى فاطرد فظننت انى تمكنت منه فا

حتى ظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار لبب الفرس ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسى وقال خذها اليك يا عمرو ثانية فتصاغرت على نفسى جداً وقلت والله لا ينصرف الا احدنا فاطردلى حتى ظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه فاذا هو على الارض فاخطأته فاستوى على فرسه واتبعنى حتى قنع بالقناة رأسى وقال خذها اليك يا عمرو ثالثة ولولا كراهتى لقتل مثلك لقتلتك فقلت اقتلنى احب الى ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال يا عمرو انما العفو عن ثلاث واذا استمكنت منك فى الرابعة قتلتك وانشد يقول

وكدت اغلاظا من الايمان	ان عدت يا عمرو الى الطعان
لتجدن لهب السنان	اولا فلست من بنى شيبان

فهبته هيبة شديدة وقلت له ان لى اليك حاجة قال وما هى قلت اكون صاحبا لك قال لست من اصحابى فكان ذلك اشد على واعظم مما صنع فلم ازل اطلب صحبته حتى قال ويحك اتدرى اين اريد قلت لا والله قال اريد الموت الاحمر عيانا قلت اريد الموت معك قال امض بنا فسرنا يومنا اجمع حتى اتانا الليل ومضى شطره فوردنا على حى من احياء العرب فقال لى يا عمرو فى هذا الحى الموت الاحمر فاما ان تمسك على فرسى فانزل وآتى بحاجتى واما ان تنزل وامسك فرسك فتأتينى بحاجتى فقلت بل انزل انت فانت اخبر بحاجتك منى فرمى الى بعنان فرسه فرضيت والله يا امير المؤمنين بان اكون له سايسا ثم مضى الى قبة فاخرج منها جارية لم تر عيناى احسن منها حسنا وجمالا فحملها على ناقة ثم قال يا عمرو فقلت لبيك قال اما ان تحمينى واقود الناقة او احميك وتقود ها انت قلت لا بل اقودها وتحمينى انت فرمى الى بزمام الناقة ثم سرنا حتى اذا اصبحنا قال يا عمرو قلت ما تشاء قال التفت فانظر هل ترى احدا فالتفت فرايت جمالا فقلت ارى جمالا قال اغذ السير ثم قال يا عمرو

انظر فان كانوا قليلا فالجلد والقوة وهو الموت الاحمر وان كانوا كثيرا فليبسوا بشيء فالتفت وقلت هم اربعة او خمسة قال غذ السير ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال يا عمرو كن عن يمين الطريق وقف وحوّل وجه دوابنا الى الطريق ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا واذا هم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير وهو ابو الجارية والشابان اخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا ابن اخي فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا اخذتها فقال لاحد بنيه اخرج اليه فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحارث وهو يقول

من دون ما ترجوه خضب الذابل ... من فارس ملتثم مقاتل

ينمي الى شيبان خير وائل ... ما كان يسري نحوها بباطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه فسقط ميتا فقال الشيخ لابنه الآخر اخرج اليه فلا خير في الحياة على الذل فاقبل الحارث وهو يقول

لقد رايت كيف كانت طعنتي ... والطعن للقرن الشديد الهمة

والموت خير من فراق خلتي ... فقتلتي اليوم ولا مذلتي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن الظعينة يا ابن اخي فاني لست كمن رايت فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا قصدت فقال الشيخ يا ابن اخي اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول شعرا

ما ارتجي عند فناء عمري ... ساجعل التسعين مثل شهر

تخافني الشجعان طول الدهر ... ان استباح البيض قصم الدهر

فاقبل الحارث وهو ينشد ويقول شعرا

بعد ارتحالي وطال سفري ... وقد ظفرت وشفيت صدري

فالموت خير من لباس الغدر ... والعار اهديه لحي بكر

ثم ردنا فقال له الشيخ يا ابن اخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية فاضربني وان شئت فاضربني فان ابقيت في بقية ضربتك فاغتنمها الفتى وقال انا ابدا فقال الشيخ هات فرفع الحارث يده بالسيف فلما نظر الشيخ انه قد اهوى به الى رأسه ضرب بطنه بطعنة قد منها امعاءه ووقعت ضربة الفتى على رأس عمه فسقطا ميتين فاخذت يا امير المؤمنين اربعة افراس واربعة اسياف ثم اقبلت الى الناقة فقالت الجارية يا عمرو الى اين ولست بصاحبتك ولست لي بصاحب ولست كمن رايت فقلت اسكتي قالت ان كنت لي صاحبا فاعطني سيفا ورمحا فان غلبتني فأنا لك وان غلبتك قتلتك فقلت ما انا بمعطي ذلك ولقد عرفت اهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت نفسها عن البعير ثم اقبلت تقول

ابعد شيخي ثم بعد اخوتي	يطيب عيشي بعدهم ولذتي
واصحبن من لم يكن ذا همة	هلا تكون قبل ذا منيتي

ثم اهوت الى الرمح كادت تنزعه من يدي فلما رايت ذلك منها خفت ان ظفرت بي قتلتني فقتلتها فهذا يا امير المؤمنين اشجع ما رأيت قيل اتى رجل الى عمر بن الخطاب يستحمله فقال له خذ لك بعيرا من ابل الصدقة فتناول ذنب بعير فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته فقال له هل رأيت اقوى منك من احد قال نعم خرجت بامرأة من اهلي اريد بها زوجها فنزلت على حوض فاقبل رجل معه ذود فضرب ذوده الى الحوض فما زحها يعني للمرأة فنادتني فما انتهيت اليها حتى خالطها فجئت لادفعه عنها فاخذ راسي بين عضده وجنبه فما استطعت التحريك حتى قضى وطره منها فقالت اي فحل هذا لو كان منبحة فامهلته حتى امتلأ نوما فقمت له بالسيف فضربت ساقه فانتبه [illegible] رجله فرماني بها فاهوى اي فاتني واصاب راس بعير فقتله فقال [illegible] عنه مافعلت بالمراة فقال هذا احديث الرجل فكرر عليه السؤال

فلم يزده على هذا فتفطن انه قتلها انتهى ويحكى ان عبد الله بن ابى رواحة رضى الله عنه كان عنده جارية جميلة وكان يحبها محبة شديدة ولم يتمكن منها خوفا من زوجته فمضت يوما زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين فقالت افعلتها قال لم اكن فاعلها قالت فاقرا فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

علمت بان وعد الله حق وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
ويحمله ملائكة كرام ملائكة الاله مسومينا

قالت صدقت وكذبت عيناى قال فذهبت واخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها ويقول كيف قلت انتهى

اول دولة بنى امية معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه

جلس يوما فى مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربع يدخل فيه النسيم من كل جانب قال فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات وكان يوما شديد الحر لا نسيم فيه قال وكان وسط النهار وقد لفحت الهواجر اذ نظر الى رجل يمشى نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل فى مشيته حافيا فتأمله وقال لجلسائه هل خلق الله سبحانه وتعالى اشقى ممن يحتاج الى الحركة فى هذا الوقت وفى مثل هذه الساعة فقال بعضهم لعله يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدى لاجل شئ لاعطينه واستجلب الامر به او مظلوما لانصرنه يا غلام قف بالباب فان طلبنى هذا الاعرابى فلا تمنعه من الدخول على فخرج فوافاه فقال ما تريد قال امير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاوية ممن الرجل قال من تميم قال فما الذى جاء بك فى هذا الوقت قال جئتك مشتكيا وبك مستجيرا قال ممن قال من مروان بن الحكم عاملك وانشد يقول

معاوى ياذا الجود والحلم والبذل ◦ وياذا الندى والعلم والرشد والنبل
اتيتك لما ضاق فى الارض مذهبى ◦ فياغوث لاتقطع رجائى من العدل
وجدلى بانصاف من الجائر الذى ◦ بلانى بشئ كان ايسره قتلى
سبانى سعدى وانبرى لخصومتى ◦ وجار ولم يعدل واغصبنى اهلى
وهم بقتلى غير ان منيتى ◦ تانت ولم استكمل الرزق من اجلى

قال فلما سمع معاوية كلامه والنار تتوقد من فيه قال له مهلا يااخا العرب اذكر قصتك وابن لى عن امرك فقال يا امير المؤمنين كانت لى زوجة وكنت لها محبا وبها كلفا وكنت بها قرير العين طيب النفس وكانت لى جذعة من الابل كنت استعين بها على قوام حالى وكفاية اودى فاصابتنا سنة اذهبت الخف والحافر فبقيت لااملك شيئا فلما اقل مابيدى وذهب مالى وفسد حالى بقيت مهانا ثقيلا على الذى يألفنى وابعدنى من كان يشتهى قربى وازور من لايرغب فى زيارتى فلما علم ابوها مابى من سوء الحال وشر المال اخذها منى وجحدنى وطردنى واغلظ على فاتيت الى عاملك مروان بن الحكم راجيا لنصرتى فلما احضر اباها وسأله عن حالى قال ما اعرفه قط فقلت اصلح الله الامير ان رأى ان يحضرها ويسألها عن قول ابيها ففعل وبعث خلفها فلما حضرت بين يديه وقعت منه موقع الاعجاب فصار لى خصما وعلى منكرا واظهر لى الغضب وبعث بى الى السجن فبقيت كانما خررت من السماء واستهوت بى الريح فى مكان سحيق ثم قال لابيها هل لك ان تزوجنيها على الف دينار وعشرة آلاف درهم وانا ضامن خلاصها من هذا الاعرابى فرغب ابوها فى البذل واجابه الى ذلك فلما كان من الغد بعث الى واحضرنى ونظر الى كالاسد الغضبان وقال طلق سعدى فقلت لا فسلط على جماعة من غلمانه فاخذونى يعذبوننى بانواع العذاب فلم اجدلى بدا من طلاقها ففعلت فاعادنى الى السجن فمكثت فيه الى ان انقضت عدتها فتزوجها واطلقنى وقد اتيتك راجيا وبك مستجيرا واليك ملتجئا وانشد يقول

في القلب مني غرام ... للنار فيه استعار

والجسم مني لبهم ... فيه الطبيب بحار

وفي فؤادي جمر ... والجمر فيه شرار

والعين تهطل دمعا ... قد معها مدرار

وليس الا بربي ... وبالامير انتصار

قال ثم اضطرب واضطكت لهاته وصار مغشيا عليه وأخذ يتلوى كالحية قال فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى ابن الحكم في حدود الدين وظلم واجترا على حرم المسلمين ثم قال لقد اتيتني يا اعرابي بحديث لم اسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى مروان بن الحكم كتابا يقول فيه انه قد بلغني انك تعديت على رعيتك في حدود الدين وينبغي لمن كان واليا ان يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعده كلاما طويلا اختصرته وانشد يقول

وليت امرا عظيما لست تدركه ... فاستغفر الله من فعل امرئ زان

وقد اتانا الفتى المسكين منتحبا ... يشكو الينا ببث ثم احزان

اعطي الاله يمينا لا اكفرها ... نعم وابرأ من ديني وايمان

ان انت خالفتني فيما كتبت به ... لاجعلنك لحما بين عقبان

طلق سعاد وعجلها مجهزة ... مع الكميت ونصر ابن ذبيان

ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى بالكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما في المهمات لامانتهما فاخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة فدخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب واعلماه بصورة الحال فصار مروان يقرأ ويبكي ثم قام الى سعاد واعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بمحضر الكميت ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهما سعاد ثم كتب مروان كتابا يقول فيه هذه الابيات

لأنعجلن امير المؤمنين فقد | اوفى بنذر لك فى سر واعلان
وما اتيت حراما حين اعجبنى | فكيف ادعى باسم الخائن الزانى
اعذر فانك لو ابصرتها لجرت | فيك الاماني على تمثال انسان
فسوف يأتيك شمس ليس يدركها | عند الخليفة من انس ومن جان

ثم ختم الكتاب ودفعه الى الرسولين وسارا حتى وصلا الى معاوية وسلما اليه الكتاب وقراءه فقال لقد احسن فى الطاعة واطنب فى ذكر الجارية ثم امر باحضارها فلما رآها راى صورة حسناء لم ير أحسن منها ولا مثلها فى الحسن والجمال والقد والاعتدال فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال على بالاعرابى فاتى به وهو فى غاية من تغير الحال فقال يا اعرابى هل لك عنها من سلوة و اعوضك عنها ثلاث جوار نهد ابكار كأنهن الاقمار مع كل جارية الف دينار واقسم لك فى بيت المال كل سنة ما يكفيك وما يغنيك قال فلما سمع الاعرابى كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية انه مات فقال له معاوية ما بالك بشر بال وسوء حال فقال الاعرابى استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فمن استجير من جورك وانشد يقول

لا تجعلنى فداك الله من ملك | كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب | يمسى ويصبح فى هم وتذكار
اطلق وثاقى ولا تبخل على بها | فان فعلت فانى غير كفار

ثم قال والله يا امير المؤمنين لو اعطيتنى الخلافة ما اخذتها دون بسعدى وانشد يقول

ابى القلب الا حب سعدى وبغضت | على نساء ما لهن ذنوب

فقال له معاوية انك مقر على انك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ونحن نخيرها ان اختارت سواك تزوجناها وان اختارتك حولناها اليك قال افعل فقال ما تقولين يا سعدى ايما احب اليك امير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره وسلطانه و امواله وما ابصرتيه عنده او مروان بن الحكم فى تعسفه وجوره او هذا الاعرابى

في جوعه وفقره فانشدت تقول

هذا وان كان في جوع واضرار اعز عندي من قومي ومن جاري
وصاحب التاج او مروان عامله وكل ذي درهم عندي ودينار

ثم قالت والله يا امير المؤمنين ما انا بخاذلته لحادثة للزمان ولا لغدرات الايام وان له صحبة قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى وانا احق من يصبر معه في الضراء كما تنعمت معه في السراء فتعجب معاوية من عقلها ومودتها له وموافاتها ودفع لها عشرة آلاف درهم ودفع مثلها للاعرابي واخذها وانصرف حتى

ومن ثمرات الاوراق عن الاجوبة الهاشمية وبلاغتها في المحل الرفيع فمن اجل ذلك انه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص رضي الله عنه والوليد ابن عقبة وعتبة بن ابي سفيان والمغيرة بن شعبة فقالوا يا امير المؤمنين ابعث الى الحسن بن علي احضره لنا قال لهم ولم قالوا كي نوبخه ونعرفه ان اباه قتل عثمان فقال لهم معاوية انكم لن تطيقوه ولن تنتصفوا منه ولا تقولوا له شيئا الا كذبكم ولا يقول لكم ببلاغته شيئا الا صدقه الناس فقالوا ارسل اليه فانا نكفيه فارسل معاوية فلما حضر قال يا حسن اني لم ارسل اليك ولكن هؤلاء ارسلوا اليك فاسمع مقالتهم فقال الحسن رضي الله عنه فليتكلموا ونحن نسمع فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا حسن هل تعلم ان اباك اول من اثار الفتنة وطلب الملك فكيف رايت صنع الله تعالى ثم قام الوليد بن عقبة فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا بني هاشم كنتم اصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقربكم ويفضلكم ثم بغيتم عليه وقتلتموه وقد اردنا قتل ابيك فانقذنا الله منه ولو قتلناه ما كان علينا من الله من ذنب ثم قام عتبة بن ابي سفيان فقال يا حسن ان اباك قد تعدى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبهما الله منه ولقد اردنا قتل ابيك حتى قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة

وقال كلا اما سبا العلي و تعظيما لعثمان فقام الحسن رضي الله عنه فحمد الله و
اثنى عليه وقال بل ابدا يا معاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن انت تشتمني بغضا
وعداوة وخلافا لجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس
وقال انشدكم الله ان الذي شتمه هؤلاء اما كان ابي وهو اول من آمن بالله
وصلى الى القبلتين وانت يا معاوية كافر تشرك بالله وكان مع ابي لواء النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولواء المشركين مع معاوية ثم قال انشدكم الله
تعالى اما كان معاوية يكتب لجدي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه يوما فرجع
الرسول وقال هو يأكل فرد اليه الرسول ثلاث مرات كل ذلك يقول هو يأكل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اشبع الله بطنه يا معاوية اما تعرف ذلك
من بطنك ثم قال وانشدكم الله اما تعلمون ان معاوية كان يقود بابيه وهو على
جمل واخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وانت تعلم
ذلك هذا كله لك يا معاوية واما انت يا عمرو تنازع على خمسة من قريش فغلب
عليك شبه الايئم وهو اقلهم حسبا واسوأهم منصبا ثم قمت وسط قريش
فقلت انى شانئ محمدا بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم انى لا احسن الشعر اللهم اللعن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت
الى النجاشي بما علمت وعملت فكذبك وردك خائبا فانت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام
فلا نلومك على بغضك الآن واما انت يا ابن ابي معيط فكيف الوم على سبك
لابي وقد جلدك ابي في الخمر ثمانين جلدة وقتل اباك صبرا بامر جدي وقتله جدي
بامر ربي ولما قدمه للقتل قال من للصبية بعدي يا محمد فقال جدي لهم النار
فلم يكن لهم عند جدي غير النار ولم يكن لهم عند ابي غير السوط والسيف واما
انت يا عتبة فكيف تعد احدا بالقتل فلم تقتلت الذي وجدته على فراشك
مضاجعا الزوجتك ثم امسكتها بعدان بغت واما انت يا اعور ثقيف ففي اي
شيء تسب عليا افي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم ام الحكم جائر في

رعيته في الدنيا فان قلت في شئ من ذلك كذبت وكذبك الناس وان زعمت
ان عليا قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس وانما مثلك كمثل بعوضة
وقعت على نخلة فقالت لها استمسكي فاني اريد ان اطير فقالت لها النخلة
ما علمت بوقوعك فكيف يشق على طيرانك فكيف يا اعور ثقيف يشق
علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية الم اقل لكم لا تنتصفون
منه فوالله لقد اظلم علي البيت حتى قام وروي ان معاوية رضي الله
عنه خرج يوما حاجا فمر بالمدينة ففرق على اهلها اموالا جزيلة ولم يحضر
الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما حضر قال له معاوية مرحبا مرحبا برجل
تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن رضي الله عنه
كيف ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال له معاوية قد امرت
لك بمثل ما امرت به لاهل المدينة وانا ابن هند فقال الحسن قد رددته
عليك وانا ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقيل ان معاوية رضي الله
عنه جلس يوما بين اصحابه اذ اقبلت قافلتان من البرية فقال لبعض من
كان بين يديه انظروا هؤلاء القوم وائتوني باخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا
يا امير المؤمنين احداهما من اليمن والاخرى من قريش فقال ارجعوا اليهم
وادعوا قريشا يأتوننا واما اهل اليمن ينزلون في اماكنهم الى ان نأذن لهم
بالدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال تدرون يا اهل قريش
لم اخرت اهل اليمن وقربتكم قالوا لا والله يا امير المؤمنين قال لانهم لم
يزالوا يتطاولون علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم واني اريد اذا دخلوا
غدا واخذوا اماكنهم من الجلوس اقوم فيهم نذيرا والقي عليهم من المسائل
ما اقل به اكرامهم وارخص به مقامهم فاذا دخلوا واخذوا اماكنهم من الجلوس
وسالوا عن شئ فلا يجيبهم احد غيري (قال الراوي) وكان المقدم عليهم
رجل يقال له الطرماح بن الحكم الباهلي فاقبل على اصحابه وقال اتدرون

يا اهل اليمن لم اخر كم ابن هند و قدم قريشا قالوا لا قال لانه فى غداة غد يقوم فيكم نذيرا و يلقى عليكم من المسائل ما يقل به اكرامكم و يرخص به مقامكم فاذا دخلتم عليه و اخذتم اماكنكم من الجلوس و سألكم عن شیٔ فلا يجيبه احد غيرى فلما كان من الغد دخلوا عليه و اخذوا اماكنهم فنهض معاوية قائما على قدميه و قال ايها الناس من تكلم بالعربية قبل العرب و على من انزلت العربية فقام الطرماح و قال نحن يامعاوية و لم يقل يا امير المؤمنين فقال لماذا فقال لانه لما نزلت العرب ببابل و كانت العبرانية لسان الناس كافة ارسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلى و هو جدنا فقرا العربية و تداولها قومه من بعده الى يومنا هذا فنحن يامعاوية عرب بالجنس وانتم عرب بالتعليم فسكت معاوية زمانا ثم رفع راسه و قال ايها الناس من اقرب العرب ايمانا و من شهد له بذلك فقال الطرماح نحن يامعاوية قال و لم قال لان الله بعث محمدا صلى الله عليه و سلم فكذبتموه و سفهتموه و جعلتموه مجنونا فآويناه و نصرناه فانزل الله والذين آووا و نصروا اولئك هم المؤمنون حقا و كان النبى صلى الله عليه و سلم محسنا لنا متجاوزا عن سيئاتنا فلم لم تفعل انت كذلك كانك خالفت رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فسكت زمانا ثم رفع راسه و قال ايها الناس من افصح العرب لسانا و من شهد له بذلك قال الطرماح نحن يامعاوية قال و لم ذلك قال لان امرأ القيس بن حجر الكندى منا قال فى بعض قصائده

يطعمون الناس غبا	فى السنين الممحلات
فى جفان كالجوابى	و قدور راسيات

و قد تكلم بالقرآن قبل ان ينزل و شهد له رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك قال فسكت معاوية زمانا ثم قال ايها الناس من اقوى العرب شجاعة و كرا و من شهد له بذلك قال الطرماح نحن يامعاوية قال و لم ذلك قال لان منا عمرو بن معدى كرب الزبيدى كان فارسا فى الجاهلية و فارسا فى الاسلام و شهد له

بذلك النبي صلی الله علیه وسلم فقال له معاوية وابن انت وقد اتی به مصفدا بالحديد فقال له الطرماح ومن اتى به قال معاوية اتی به علی قال الطرماح والله لو عرفت مقدار ما سلمت اليه الخلافة ولا طمعت فيها ابدا فقال له معاوية اتجعني يا عجوز اليمن قال نعم اجعلك يا عجوز مضر لان عجوز اليمن بلقيس آمنت بالله وتزوجت بنبيه سليمان بن داؤد عليهما السلام وعجوز مضر جدتك التي قال الله في حقها وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد قال فسكت معاوية زمانا ثم رفع رأسه وقال جزاك الله خيرا من صاحب وود فقضى حاجته ورحم سلفك واعطاه واحسن اليه انتهى قال الراوي وخطب معاوية يوما فقال يا ايها الناس ان الله تعالى قال وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلومونني اذا قصرت عنكم في عطاياكم فقال له الاحنف بن قيس انا والله ما نلومك فيما في خزائن الله ولكن وضعت يدك على ما انزل الله من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه ومما يروى عن الشعبي قال استأذنت سودة بنت عمارة بن الاسد على معاوية بن ابي سفيان فأذن لها فلما دخلت عليه قال لها يا بنت الاسد الست القائلة شعرا

شمر كفعل ابيك يا ابن عمارة	يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه	واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخا النبي محمد	علم الهدى ومنارة الايمان
وقد الجيوش وسر امام لوائه	وارمي بابيض صارم وسنان

قالت بلى يا معاوية ومن مثلي من رغب عن الحق واعتذر قال فما حملك على ذلك قالت حب علي واتباع الحق قال والله ما ارى عليك من اثر علي شيئا قالت انشدك الله يا معاوية لا تذكر اعادة ما مضى قال هيهات وما مثلك ومقام اخيك ينسى وما لقيت من احيك قالت صدقت يا معاوية لم يكن اخي ذميم المقام ولا خفي وهو والله كقول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به　　　كأنه علم في رأسه نار

وانا اسالك يامعاوية اعفاءك مما استعفيت به قال قد فعلت فما حاجتك قالت يامعاوية انك اصبحت للناس سيدا ولأمورهم واليا والله سائلك عن امرنا وما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك ويحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل ويسومنا الخسف ويذيقنا الحتف هذا ابن ارطاة قدم علينا فقتل رجالي واخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما لا فعرفناك فقال لها اتهددينني بقومك لقد هممت ان احملك على قتب اشرس واسيرك اليه لينفذ فيك امره فاطرقت وبكت وانشدت تقول

صلى الاله على روح تضمنه　　　قبر فاصبح فيه الحق مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا　　　فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذاك قالت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال ولم قالت اتيته في رجل ولاه علينا ولم يكن بيننا وبينه الا كما بين الغث والسمين فوجدته قائما يصلي فلما نظر الي انفتل من صلاته ثم قال برافة ورحمة ألك حاجة فاخبرته فبكى ثم قال اللهم اشهد علي وعليهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ثم اخرج من جيبه قطعة من جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ اذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام فاخذته منه واوصلته اليه فامتثل ورجع عما كان فيه فقال معاوية اكتبوا لها برد مالها والعدل في احوالها فقالت الي خاصة امر لي ولقومي قال بل انت قالت اذا الفحشاء واللؤم هي والله اما عدلا شاملا والا انا كسائر قومي قال اكتبوا لها بحاجتها هي وقومها ولما انصلت ميسون بنت بجدل

بمعاوية رضى الله عنه ونقلها من البد والى لنام كانت تكثر الحنين على ناسها والتذكر لمسقط راسها فاستمع عليها ذات يوم فسمعها تنشد وتقول

لبيت تخفق الارياح فيه	احب الى من قصر منيف
واكل كسيرة من قعر بيتى	احب الى من اكل الصنوف
واصوات الرياح بكل فج	احب الى من نقر الدفوف
ولبس عباءة وتقر عينى	احب الى من لبس الشفوف
وكلب ينبح الطراق حولى	احب الى من قط الوف
وبكر يتبع الاظعان صعب	احب الى من بغل زفوف
وخرق من بنى عمى ضعيف	احب الى من علج عنيف

قال الراوى فلما سمع معاوية الابيات قال ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتنى علجا عنيفا حكاية اجنبية عن المقام يحكى ان بهرام لما ولى الملك بعد ابيه اقبل على اللهو واللذات والتنزه والصيد ولا يفكر فى ملكه ولا فى رعيته حتى خرجت البلاد عن يده وخربت فى ايامه وقلت العمارة وخلت بيوت الاموال فلما كان فى بعض الايام ركب الى بعض منازهه وصيده وهو يسير نحو المداين وكانت ليلة مقمرة فدعا بالموبذ وهو عند المجوس كالحاخام عند اليهود والقسيس عند النصارى لامر خطر بباله فجعل يحادثه متوسطا فى سيرهما بين خرابات كانت من امهات الضياع قد خربت فى مدة ملكه لا انيس فيها الا البوم واذا ابو بوم يصيح وصاحبته تجاوبه من تلك الخرابات فقال بهرام اترى ان احدا من الناس اعطى فهم لغة هذا الطائر المصوت فى الليل البهيم فقال الموبذ ايها الملك انا ممن خصه الله بذلك فقال فما يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر فقال الموبذ هذا بوم ذكر يخطب بومة ويقول لها مكنينى نفسك حتى يخرج من بيننا اولاد يسبحون الله ويبقى لنا فى هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فاجابت البومة ان الذى تدعونى اليه لى فيه الحظ الاكبر والنصيب الاوفر فى العاجل

والآجل الا انی اشترط علیك خصالا ان اعطیتها اجبتك الی ذلك فقال لها
الذکر وما تطلبیه منی قالت ان تعطینی من خرابات امهات الضیاع عشرین
قریة مما خربت فی ایام هذا الملك السعید فقال له الملك فما الذی قال لها
الذکر قال الموبذ کان من قوله لها ان دامت ایام هذا الملك السعید اقطعت
منها الف قریة خراب فما تصنعین قالت فی اجتماعنا یحصل ظهور النسل وکثرة
الذکر فنقطع لکل ولد من اولادنا ضیعة من هذه الخرابات فقال لها الذکر
هذا اسهل امر سألتنیه وانا ملی بذلك ما حیی هذا الملك فلما سمع الکلام
من الموبذ عمل فی نفسه واستیقظ من نومه وفکر فیما خوطب به فنزل من ساعته
ونزل بنزوله الناس وخلا بالموبذ فقال ایها القائم بامر الدین والناصح للملك
والمنبه له عما اغفله من امور ملکه واضاعة بلاده ورعیته ما هذا الکلام الذی
خاطبتنی به فقد حرکت منی ما کان ساکنا فقال الموبذ صادفت من الملك
السعید جدة ونفث سعد العباد والبلاد فجعلت الکلام مثلا وموعظة علی لسان
الطائر عند سؤال الملك ایای عما سأل فقال له الملك ایها الناصح اکشف لی
عن هذا الغرض ما المراد منه فقال ایها الملك ان الامر لا یتم الا بالشریعة والقیام
لله بطاعته ولا قوام للشریعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام
للرجال الا بالمال ولا سبیل للمال الا بالعمارة ولا سبیل للعمارة الا بالعدل فهو
المیزان المنصوب بین الخلیقة نصبه الرب جل وعلا وجعل له قیما وهو الملك
فقال الملك اما ما وصفت فحق فابن لی عما الیه تقصد واوضح لی فی البیان
قال نعم ایها الملك انك عمدت الی الضیاع فاقطعتها الخدم واهل البطالة
فعمدوا الی ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وترکوا العمارة والنظر
فی العواقب وما یصلح الضیاع وسومحوا فی الخراج لقربهم من الملك ووقع
الحیف علی الرعیة وعمار الضیاع فانجلوا عن ضیاعهم وقلت الاموال
وهلکت الجنود والرعیة وطمع فی ملك فارس من اطاف بها من الملوك

ولأمم

والامم لعلمهم بانقطاع المواد التي بسببها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك ذلك اقام في موضعه ثلاثة ايام واحضر الوزراء والكتاب وارباب الدواوين فانتزعت الضياع من ايدي الخاصة والحاشية وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة واخذوا في العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك واخصبت وكثرت الاموال عند الجباة وقويت الجنود وانقطعت مواد الاعداء واقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى كانت ايامه بعده تدعى بالاعياد مما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل اهـ حكاية اخرى اجنبية حكى عن الاصمعي انه قال دخلت البصرة اريد بادية بني سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القسري فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب ذي جمال وكمال وادب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزة عليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص اصبناه البارحة في منازلنا فنظر اليه فاعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم ادناه منه وسأله عن قصته فقال ان القول ما قالوه والامر على ما ذكروه فقال له ما حملك على ذلك انت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملني الشره في الدنيا وبذا قضى الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك امك اما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر لك عن السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير وانفذ ما امرك الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في امر الفتى ثم ادناه منه وقال له ان اعترافك على رؤس الاشهاد قد رابني وانا ما اظنك سارقا وان لك قصة غير السرقة فاخبرني بها فقال ايها الامير لا يقع في نفسك سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة اشرحها لك الا اني دخلت دار هؤلاء فسرقت منها مالا فادركوني واخذوه مني وحملوني اليك فامر خالد بحبسه وامر

مناد يلينادى فى البصرة الا من احب ان ينظر الى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد فلما استقر الفتى فى الحبس ووضع فى رجليه الحديد تنفس الصعداء ثم انشا يقول

هددنى خالد بقطع يدى ان لم ابح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان ابوح بها تضمن القلب من محبتها
قطع يدى بالذى اعترفت به اهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون فأتوا خالدا واخبروه بذلك فلما جن الليل امر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه اديبا عاقلا لبيبا ظريفا فاعجب به فامر له بطعام فاكلا وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان غدا وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة فانكرها واذكر فيها شبها تدرأ عنك القطع فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ثم امر به الى السجن فلما اصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة الا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه اهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة وأمر باحضار الفتى فاقبل يحجل فى قيوده ولم يبق احد من النساء الا بكى عليه وارتفعت اصوات النساء بالبكاء والنحيب فأمر بتسكيت الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا ايها الامير دخلت دارهم وسرقت مالهم قال خالد لعلك سرقت دون النصاب فقال بل سرقت نصابا كاملا قال فلعلك سرقته من غير حرز مثله قال بل من حرز مثله قال فلعلك شريك القوم فى شئ منه قال بل هو جميعه لهم لا حق لى فيه فغضب خالد وقام اليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء ان يعطى مناه ويابى الله الا ما اراده

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده فحضر واخرج السكين ومد يده ووضع عليها

السكين فبرزت جارية من صف النساء عليها آثار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد ان تقع منها فتنة ثم نادت باعلى صوتها ناشدتك الله ايها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا هي مكتوب فيها هذه الابيات

أخالد هذا مستهام متيم	رمته لحاظي من قسي الحمالق
فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه	حليف الجوى من دائه غير فائق
اقر بما لم يقترفه لانه	رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لانه	كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الابيات تنحى وانعزل عن الناس واحضر المرأة ثم سالها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه اراد زيارتها وان يعلمها بمكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما احس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة فاخذوه وقالوا هذا سارق واتوا به اليك فاعترف بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لغزارة مروئته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بذلك ثم استدعى الفتى اليه وقبل ما بين عينيه وامر باحضار ابي الجارية وقال له يا شيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع وان الله عز وجل عصمني من ذلك وقد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذل له يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وانا اسأ لك ان تاذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ قد اذنت ايها الامير بذلك فحمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذن ابيها على هذا المال

وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج وامر بحمل المال الى دار الفتى مزنوفا فى الصوانى وانصرف الناس مسرورين ولم يبق احد فى سوق البصرة الا نثر عليهما اللوز والسكر حتى دخلا منزلهما مسرورين مزفوفين قال الاصمعى فما رايت يوما اعجب منه اوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح وهذه حكاية تشابه ما تقدم قال حماد الراوية كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذ اتى بشاب حسن الوجه ومعه جارية كانها قضيب بان فقال صاحب الشرطة اصلح الله الامير انى وجدت هذا وهذه مجتمعين فى خلوة وليس لها بمحرم فقال جعفر للفتى ما تقول فقال صدق ولقد طال والله غرامى بها منذ ثلاث سنين والله ما امكننى الخلوة بها الا فى هذا الوقت وانشد يقول شعرا

تمنيت من ربى فوز بقربها	فلما تهيا لى المنى عاقنى العسر
فوالله بل والله ما كان ريبة	وما كان الا اللفظ والغمز والبشر
فدونكمو جلدى ولا تجلدونها	فكم من حرام كان من دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكى بكاء شديدا فقال لها وانت لم تبكين فقالت والله شفقة على ما حل بنا وكيف احتلت حتى خرجت وكيف بلينا بهذه البلية قال التحبينه قالت فلم غررت بنفسى قال لها انت حرة ام مملوكة قالت بل مملوكة فامر بها فدخلت الدار واحضر مولاها فاشتراها منه بمائتى دينار واعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساهما وانشد الفتى يقول

لقد جدت يا ابن الاكرمين بنعمة	جمعت بها بين المحبين فى ستر
فلا زلت بالاحسان كهفا وملجأ	وقد جل ما قد كان منك عن الشكر

قال فضحك وامر لهما بجائزة وانصرفا مسرورين انتهى فى ايام دولة عبد الملك ابن مروان وهو اول من تسمى عبد الملك فى الاسلام وكان يلقب برشح الحجر ذكره فى حياة الحيوان وذكر محمد بن واسع الهيتى ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

الى الحجاج بن يوسف فاذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فاشتر لي ثلاث جوار مولدات نهداً ابكاراً يكون الهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين اي الباسرجية ثم امرهم بما امره به امير المؤمنين وامرهم ان يغوصوا في البلاد حتى يقعوا على الغرض فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا على الغرض و رجعوا الى الحجاج بثلاث جوار نهداً ابكار مولدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج فصيحاً فجعل ينظر الى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لا يقومن بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتاباً الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب امير المؤمنين متعني الله ببقائه يأمر فيه ان اشتري له ثلاث جوار مولدات نهداً ابكاراً وان اكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها اما الجارية الاولى اطال الله بقاء امير المؤمنين فانها لطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حلوة الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء في طرفها دعج يزينها   كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثانية فانها فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال يشفي السقيم كلامها الرخيم وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مسلعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف غزال وثمنها يا امير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم اطنب في الشكر والثناء على امير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوار لامير المؤمنين فقال احد النخاسين ايد الله الامير اني رجل كبير وضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني فتأذن لي ان اجهزه قال نعم فجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت ريح فانكشفت

احداهن وهى الكوفية فظهر نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن
النحاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعته فأتاها على غفلة من اصحابه
وجعل يقول

امكتوم عينى ما تمل من البكاء ... وقلبى باسهام الاسى يتشقق
امكتوم كم من عاشق قتل الهوى ... وقلبى رهين كيف لا اتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا ... ليلا اذا هجعت عيون الحسد

فلما جن الليل انقض ابن النحاس بسيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة
تنتظر قدومه فاخذها واراد الهرب بها ففطن به اصحابه فاخذوه و
كتفوه واوثقوه بالحديد ولم يزل ماسورا معهم الى ان قدموا على عبد الملك
فلما قدموا بالجوارى بين يديه اخذ الكتاب وفتحه وقرأه فوجد الصفة
موافقة فى اثنين ولم توافق فى الثالثة ورأى بوجهها صفرة وهى الجارية الكوفية
فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق عليها الصفة التى ذكرها الحجاج
فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها وهذا الانحال فقالوا يا امير المؤمنين
نقول وعلينا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج احد
النخاسين واتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى امير
المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم انشا يقول هذه الابيات

امير المؤمنين اتيت رغما ... وقد شدت الى عنقى يديا
مقر بالقبيح وسوء فعلى ... ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبى ... وان تعفو فمن جود عليا

فقال له عبد الملك يا فتى ما حملك على ما فعلت استخفافا بنا ام هوى
للجارية فقال وحقك يا امير المؤمنين وعظيم قدرك ما هو الا هوى بالجارية
فقال هى لك بما اعد لها فاخذ الغلام الجارية بكل ما اعد لها امير المؤمنين

من الحلي والجمان وسار بها فرحا مسرورا حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا ثم انتقلا فلما اصبح الصباح واراد الامير الرحيل نبههما فوجدهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما في الطريق ومضى خبرهما الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكى عليهما وتعجب من ذلك انتهى وهذه حكاية تشابهها في العشق حكى عن عبد الله بن معمر القيسي انه قال حججت سنة الى بيت الحرام فلما قضيت حجي عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا ذات ليلة جالس بين القبر والروضة اذا سمعت انينا عاليا وحنينا باديا فانصت اليه فاذا هو يقول هذه الابيات

اشجاك نوح حمائم السدر	فاهجن منك بلابل الصدر
ام عز نومك ذكر غانية	اهدت اليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دنف	يشكو الغرام وقلة الصبر
اسلمت من يهوى لحر جوى	متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف	مغرى بحب شبيهة البدر
ما كنت احسبني بها شجنا	حتى بليت وكنت لا ادري

قال ثم انقطع الصوت ولم ادر من اين جاءني فبقيت حائرا واذا به قد اعاد البكاء والحنين وانشأ يقول هذه الابيات

اشجاك من ريا خيال زائر	والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مقلتك الهوى برسيسه	واهتاج مقلتك الخيال الزاهر
ناديت ليلى والظلام كانه	يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يجري في السماء كانه	ملك ترحل والنجوم عساكر
يا ليل طلت على محب ما له	الا الصباح مساعد وموازر
فاجابني مت حتف انفك واعلمن	ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال فنهضت عند ابتدائه الابيات اؤم الصوت فما انتهى لآخر الابيات الا وانا عنده فرايته غلاما كما نزل عذاره وقد خرق الدمع وجنتيه خرقين

فقلت نعمت غلاما فقال وانت فمن الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسي قال
الك حاجة قلت له كنت جالسا في الروضة فما راعني في هذه الليلة الاصوتك
فبنفسي افديك ما الذي تجده قال اجلس فجلست قال انا عتبة بن الحباب بن
المنذر بن الجموح الانصاري غدوت الى مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم
اعتزلت عن بعيد واذا نسوة يتهادين كالاقمار وفي وسطهن جارية بديعة الجمال
كاملة الملاحة فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصالك ثم
تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا وقفت لها على اثر فانا حيران انتقل من مكان
الى مكان ثم صرخ وانكب على الارض مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت ديباجة خده بورس
ثم انشد يقول هذه الابيات

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة	تراكم تروني بالقلوب على بعدي
فؤادي وطرفي ياسفان عليكم	وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست الذ العيش حتى اراكم	ولو كنت في الفردوس او جنة الخلد

قال فقلت له يا ابن اخي تب الى ربك واستغفر من ذنبك فان بين يديك
هول المطلع فقال هيهات ما انا بسال حتى يؤوب القارظان ولم ازل به حتى
طلع الفجر فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فقمنا اليه فجلسنا حتى صلينا الظهر
واذا نسوة قد اقبلن واما الجارية فليست فيهن فقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة
وصلك وكاشفة ما بك قال وما بالها قلن اخذها ابوها وارتحل الى السماوة
فسالتهن عن الجارية فقلن هي ريا بنت الغطريف السلمي فرفع راسه وانشا يقول

خليلي ريا قد اجد بكورها	وسار الى ارض السماوة غيرها
خليلي اني قد غشيت من البكا	فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له يا عتبة اني وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر والله لابذلنه
امامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضى قم بنا الى مسجد الانصار فقمنا حتى
اشرفنا على ملأ ثم فسلمت فاحسنوا الرد ثم قلت ايها الملأ ما تقولون

في عتبة وابيرق لوامن سادات العرب قلت فانه رمي بداهية من الهوى
فاريد منكم المساعدة الى السماوة قالوا سمعا وطاعة وركبنا وركب القوم
معنا حتى اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادرا
واستقبلنا وقال حييتم يا كرام قلنا وانت حييت انا لك اضياف فقال
نزلتم باكرم منزل ثم نادى يا معشر العبيد انزلوا فنزل العبيد ففرشت الانطاع
والنمارق وذبحت النعم والغنم فقلنا لسنا بذائقين طعامك حتى تقضى
حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا نخطب بنتك الكريمة لعتبة بن الحباب ابن
المنذر العالي المفخر الطيب العنصر فقال يا اخي ان التي تخطبونها امرها الى نفسها
وانا ادخل واخبرها ثم نهض مغضبا ودخل الى ريا فقالت يا ابت مالي ارى
الغضب بين عينيك فقال ورد على قوم من الانصار يخطبونك مني
فقالت سادات كرام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة
فيهم قال لفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت سمعت عن عتبة هذا انه يفي
بما وعد ويدرك ما طلب قال اقسمت لا زوجتك به ابدا فقد نمى الي بعض
حديثك معه قالت ما كان ذلك قال ولكن اقسمت اني ازوجك به قالت
احسن اليهم فان الانصار لا يردون موردا قبيحا فاحسن الرد قال باي شئ
قالت اغلظ عليهم المهر فانهم يرجعون قال ما احسن ما قلت ثم خرج مبادرا
فقال ان فتاة الحي قد اجابت ولكن اريد لها مهر مثلها فمن القائم به قال
عبد الله فقلت انا فقال اريد لها الف سوارة من ذهب احمر وخمسة آلاف
درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الابراد والحبر وخمسة اكرشة من
العنبر قال قلت لك ذلك فهل اجبت قال اجل فانفذ عبد الله نفرا من الانصار
الى المدينة المنورة فاتوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس
لاكل الطعام قال فاقمنا على هذا الحال اربعين يوما ثم قال خذوا فتاتكم
فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف ثم ودعنا وانصرف

وسرنا حتى اذا بقى بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب انها من بنى سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال وانحرف راجعا وبه طعنة ثم سقط الى الارض واتتنا النصرة من سكان تلك الارض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعنا الجارية تقول واعتبتاه فالقت نفسها من على البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح وتقول بحرقة هذه الابيات

تصبرت لا انى صبرت وانما	اعلل نفسى انها بك لاحقه
ولو انصفت روحى لكانت الى الردى	امامك من دون البرية سابقة
فما احد بعدى وبعدك منصف	خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت نحبها واحتفرنا لهما قبرا واحدا وواريناهما التراب ورجعت الى ديار قومى واقمت سبع سنين ثم عدت الى الحجاز ووردت المدينة المنورة للزيارة فقلت لاعودن الى قبر عتبة فاتيت الى القبر فاذا الشجرة عليها عصائب حمر وصفر وخضر فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به ومثل ما تقدم من العشق وما ورد فى كتمان الهوى مع تحقق النظر عند اعلانه ما حكى عن بعض المعمرين من ذوى النعم قال بينما انا فى منزلى اذ دخل علىّ خادم لى ومعه كتاب فقال رجل بالباب دفع الى هذا الكتاب ففتحته فاذا فيه شعر

تجنبك البلاء وتلت خيرا	ونجاك المليك من الغموم
نعندك لو منتت شفاء نفسى	واعضاضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله وقلت للخادم اخرج وائتنى به فخرج فلم ير احدا فعجبت من امره واحضرت الجوارى كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسألتهن عن ذلك فحلفن انهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيئا فقلت انى لم

افعل

افعل ذلك بجلاء بمن يهوى منكن فمن عرفت بحال هذا الفتى فهو هبة منى له بمالها وماثة دينار وكتبت جوابه اشكره على ذلك واساله قبولها ووضعت الكتاب فى جنب البيت ومائة دينار وقلت من عرف شيئا فليأخذه فمكث الكتاب والذهب ياما لا يأخذه احد فغمنى ذلك وقلت هذا قنع ممن يحبه بالنظر فمنعت من يخرج من جوارى من الخروج فما كان الا يوما او بعض يوم اذ دخل على الخادم ومعه كتاب فقال هذا من بعض اصدقائك بعث به اليك فقلت اخرج والتمنى به فخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فاذا فيه هذه الابيات

ماذا اتيت الى روح معلقة	عند التراقى وحادى الموت حاديها
حثثت حاديها ظلما فجد بها	فى السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لى تأتى بفاحشة	وان عقباك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذى اخشى عقوبته	ولا باضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذى سكنت	بيت الفؤاد وابدينا امانيها

قال فغمنى امره وقلت للخادم لا يأتينك احد بكتاب الا قبضت عليه قال وقرب موسم الحاج قال فبينما انا قد افضت من عرفة واذا فتى الى جانبى على ناقة لم يبق منه الا الخيال فسلم على فرددت عليه السلام ورحبت به فقال اتعرفنى فقلت وما انكرك لسوء فقال انا صاحب الكتابين فانكبيت عليه فقلت له يا اخى لقد غمنى امرك واقلقنى كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبتك و مائة دينار فقال بارك الله لك انما اتيتك مستحلا من نظر كنت انظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر الله لك وللجارية فسر معى الى منزلى لاسلمها اليك ومائة دينار ومثلها فى كل سنة فقال لا حاجة لى بذلك فالححت عليه فلم يفعل فقلت له اما اذا ابيت فعرفنى من هى من جوارى لا كرمها من اجلك ما حييت فقال ما كنت لاسميها لاحد وودعنى وانصرف وكان آخر العهد به اهـ وعدنا الى الكلام على ما وقع فى زمان عبد الملك بن مروان

روی انه لما ولی الحجاج الحرمین الشریفین حظی عنده ابراهیم بن محمد بن طلحة
فلما اراد الحجاج الرجوع الی الشام الی عبد الملک بن مروان وقد معه ابراهیم
ابن محمد بن طلحة وقال اتیتک برجل الحجاز فی الشرف والابوة والفضل والمروة
یا امیر المؤمنین مع ما هو علیه من حسن الطاعة وجمیل المناصحة والله لم
یکن فی الحجاز له نظیر فبالله علیک یا امیر المؤمنین الا فعلت معه من الخیر ما هو
مستحقه فقال عبد الملک من هو یا ابا محمد قال له ابراهیم بن محمد بن طلحة
قال یا ابا محمد لقد ذکرتنا بحق واجب ائذن له فی الدخول فلما دخل علی عبد
الملک امر بجلوسه فی صدر المجلس ثم قال ان ابا محمد الحجاج ذکر لنا ما
نعرفه من کمال مروئتک وحسن نصیحتک فلا تدع فی صدرک حاجة الا
اعلمتنا بها حتی نقضیها لک ولا نضیع شکر ابی محمد الحجاج فیک قال ابراهیم ان
الحاجة التی ابتغی بها وجه الله تعالی والتقرب الی النبی صلی الله علیه وسلم
فی القیامة ونصیحة امیر المؤمنین فانا ابدیها یا امیر المؤمنین قال قل قال لا اقولها
وبینی وبینک ثالث قال ولا اصدیقک الحجاج قال لا قال قم فقام خجلا وهو
لا یعرف این تطأ رجله فلما مضی قال لی هات نصیحتک فقال ابراهیم یا امیر المؤمنین
ولیت الحجاج الحرمین الشریفین وفیهما من نعرف من اولاد المهاجرین والانصار
وصحابة رسول الله صلی الله علیه وسلم مع ما نعلمه من ظلمه وعسفه وجوره وبعده عن
الحق وقربه الی الباطل یسومهم الخسف ویطؤهم بالعسف فلیت شعری ای جواب
اعددته لرسول الله صلی الله علیه وسلم اذا سألک فی عرصات القیامة عن
ذلک فبالله علیک یا امیر المؤمنین الا عزلته وادخرتها قربة الی الله تعالی
فقال عبد الملک لقد ظن الحجاج الخیر بغیر اهله ثم قال یا ابراهیم قم فقمت علی
اخس حال وخرجت من المجلس وقد اسودت الدنیا فی وجهی فتبعنی حاجبه وقبض
علی زندی وجلس بی فی الدهلیز ثم دعا عبد الملک بالحجاج فدخل فمکث
طویلا فما شککت الا انهما یتشاوران فی قتلی ثم دعانی فقمت ودخلت

فوافانى الحجاج خارجا فعانقنى وقال جزاك الله عنى خيرا فى هذه النصيحة اما والله لئن عشت لارفعن قدرك وتركنى وخرج ودخلت وانا اقول بهز ابى و هو معدّ ودو فدخلت على عبد الملك فاجلسنى مجلسى الاول ثم قال لى قد علمت صدقك وقد عزلته عن الحرمين وولية العراق واعلمته انك استقللت له الحجاز واستدعيت له العراق وانك تطلب له الزيادة فى الاعمال وهو يظن انك السبب فى توليته العراق وقد تهلل وجهه فرحا لذلك فسر معه اينما توجه بولك خيرا ولا تقطع نصيحتك عنا والله اعلم وفى مروج الذهب للمسعودى وشرح السيرة وغيرهما ان ام الحجاج بن يوسف وهى الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فنقب دبره وابى ان يقبل ثدى امه او غيرها فاعياهم امره فيقال ان الشيطان تصور لهم فى صورة الحارث ابن كلدة فقال ما خبركم فقالوا ولد ليوسف الثقفى من الفارعة ولد وقد ابى ان يقبل ثدى امه فقال اذبحوا له تيسا اسود والعقوه دمه ثم اذبحوا له اسود سالخ واولغوه من دمه واطلوا به وجهه ثلاثة ايام ففعلوا فقبل الثدى فى اليوم الرابع فكان لا يصبر عن سفك الدم وارتكاب امور لا يقدر عليها غيره انتهى من حياة الحيوان فى حرف التاء وحكى ان الحجاج انفرد يوما من عسكره فلقى اعرابيا فقال له يا وجه العرب كيف الحجاج فقال ظالم غاشم قال هلا شكوته الى عبد الملك بن مروان قال اظلم واغشم عليهما لعنة الله فبينما هو كذلك اذ تلاحقت به عساكره فعلم الاعرابى انه الحجاج فقال الاعرابى ايها الامير السر الذى بينى وبينك لا يطلع عليه احد الا الله فتبسم الحجاج واحسن اليه وانصرف وذكر اهل التواريخ ان الحجاج بن يوسف الثقفى سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة فقال يا خالد ائتنى بمحدث من المسجد والناس اذ ذاك يطلبون المقام فى المسجد فانتهى الى شاب قائم يصلى فجلس حتى سلم ثم قال اجب الامير قال ابعثك الامير الى قاصدا قال نعم فمضى معه حتى انتهى الى الباب فقال له خالد كيف انت ومحادثة الامير قال سيجدنى كما يحب ان شاء الله تعالى فلما دخل عليه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل

تروی شیئا من الشعر قال ما من شاعر الا وا روی عنه قال فهل تعرف من انساب
العرب ووقائعها قال لا یذهب عنی شئ من ذلک فلم یزل یجد ثه بکل ما احب
حتی اذا هم بالانصراف قال یا خالد مر للفتی بهر ذون وغلام ووصیفة واربعة
آلاف درهم فقال الفتی اصلح الله الامیر بقی من حدیثی اظرفه واعجبه فعاد الحجاج
الی مجلسه وقال حدثنی فقال اصلح الله الامیر هلک والدی وانا طفل صغیر
فنشأت فی حجر عمی وله ابنة بسنی وکان فی الصبا من التصابی وماکنا فیه اعجوبة
حتی اذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فیها وبذلوا فیها اموالا لجمالها وکمالها فلما
رایت ذلک خامرنی السقم وضنیت ورمیت علی الفراش ثم عمدت الی خابیة عظیمة
فملاتها رملا وحصی واوثقت راسها ودفنتها تحت فراشی فلما تم علی ذلک ایام بعثت
الی عمی فقلت یا عم انی کنت اریدا سافر فوقعت علی مال عظیم وخفت ان اموت
ولا یعلم احد فان حدث بی امر فاخرجه واعتق عنی عشر نسمات واحجج عنی عشر
حجج وجهز عنی عشر رجال یجیو لهم واسلحتهم وتصدق عنی بالف دینار ولا تبل
یا عم فان المال کثیر فلما سمع عمی مقالتی اتی امرأته فاخبرها بقولی فما کان باسرع
من ان اقبلت بجواریها حتی دخلت علی فوضعت یدها علی راسی ثم قالت والله
یا ابن اخی ما علمت بسقمک وما حل بک حتی اخبرنی ابو فلان الساعة واقبلت تلاطفنی
وتعالجنی بالادویة وحملت لی لطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رایت ذلک
تحاملت ثم بعثت الی عمی فقلت یا عمی ان الله عز وجل قد احسن الی وعافانی فابتغ
لی جاریة من خصالها وکمالها وجمالها کیت وکیت ولا یسالونک شیئا الا اعطیته
فقال یا ابن اخی ما یمنعک من ابنة عمک فقلت هی من اعز خلق الله تعالی علی غیر انی
قد خطبتها قبل ذلک فامتنعت قال کلا ان الامتناع کان من قبل امها وهی الآن قد
سمحت ورضیت بذلک قلت شانک فرجع الی امرأته فاخبرها بقولی فجمعت عشیرتها
فزوجونی ایاها فقلت عجل علی بابنة عمی کیف شئت ثم اریک الخابیة فاهدیت
الی ولم تدع شیئا یصنع باشراف النساء الا فعلته ثم زفت ابنتها علی واحضرتها بکل ما

وجدت اليه سبيلا واخذ عمى متاعا من التجار بعشرة آلاف درهم وكان يأتينا
فى كل صباح من قبل ابويها الطائف وتحف مدة فلما كان بعد ذلك باياماتانى
عمى وقال يا ابن اخى انا قد اخذنا من التجار متاعا بعشرة آلاف درهم وليسوا
صابرين على حبس الثمن قلت شانك والخابية فمر مسرعا حتى جاء بالرجال و
الحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا بها الى منزله فلما بطحها كان فيها ما
عملت فما كان باسرع من ان جاءت امها بجواريها فلم تدع فى منزلى كثيرا ولا
قليلا الاحملته فبقيت مهانا على الارض وجفتنا كل الجفاء فهذا حالى اصلح الله
الامير فانا من خجلى وضيق صدرى آوى الى المساجد فقال الحجاج يا خالد مر
للفتى بثياب ديباج وفرس ارمنية وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم
وقال يافتى اغد الى خالد غدا حتى تستوفى منه المال فخرج الفتى من عند الحجاج
قال فلما انتهيت الى باب دارى سمعت ابنة عمى تقول ليت شعرى ما ابطأ ابن عمى
اقتل ام مات ام عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت يا ابنة عمى البشرى وقرى
عينا فانى ادخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت وحكيت لها ما كان من امرى
فلما سمعت الفتاة مقالتى لطمت وجهها وصاحت فسمع ابوها وامها واخوتها
صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها ما شانك فقالت لابيها لا وصل الله رحمك ولا
جزاك عنى وعن ابن اخيك خيرا الجفيته وضيعته حتى اصابته الخفة وذهب عقله
اسمع مقالته فقال العم يا ابن اخى ما حالك فقلت والله ما بى من باس الا انى ادخلت
على الحجاج وذكر له من امره ما كان وانه امر له بمال جزيل فقال العم لما سمع مقالته
هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما اصبحوا بعثوا الى المعالج
فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويمهله اخرى فيقول الفتى والله ما بى من بأس وانما
ادخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما رأى الفتى ان ذكر الحجاج لا يزيده الا بلاء
كف عنه وعن ذكره ثم قال له ما تقول فى الحجاج قال ما رأيته ثم خرج المعالج فقال
لهم قد ذهب عنه الاذى ولكن لا تعجلوا الحل قيده نبقى الفتى مقيدا مغلولا فلما كان

بعد ايام ذكره الحجاج فقال ياخالد مافعل بالفتى فقال اصلح الله الامير ما رايته
منذ خرج من حضرة الامير قال فابعث اليه احدا قال فبعث اليه خالد حرسيا فمر الحرسي
على عم الفتى فقال له ما فعل ابن اخيك فان الحجاج يطلبه قال ان ابن اخي لفي
شغل عن الحجاج قد ابتلى ببلاء في عقله قال لا ادري ما تقول لابد من الذهاب
به الساعة فدخل عليه العم فقال يا ابن اخي ان الحجاج قد بعث في طلبك
افاحملك قال لا الا بين يديه فحمل في قيوده وغله على ظهور الرجال حتى ادخل
على الحجاج فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى اليه فكشف قيده وغله
وقال اصلح الله الامير ان آخر امري اعجب من اوله وحدثه بحديثه فعجب
الحجاج وقال ياخالد اضعف للفتى ما كنا قد امرنا له فقبض المال جميع وحسن
حاله ولم يزل مسامرا للحجاج حتى مات انتهى وحضر اعرابي عند الحجاج فقدم الطعام
فاكل الناس منه ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الاعرابي حتى اكل منها لقمة ثم
قال من اكل من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من اكلها وبقي الاعرابي ينظر
الى الحجاج مرة والى الحلوى مرة ثم قال ايها الامير اوصيك باولادي خيرا ثم اندفع
يأكل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وامر له بصلة وحكى ان الحجاج امر
صاحب حراسته ان يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه فطاف
ليلة فوجد ثلاث صبيان يتمايلون وعليهم اثر الشراب فاحاط بهم وقال لهم
من انتم حتى خالفتم الامير فقال الاول

انا ابن من دانت الرقاب له ... ما بين مخزومها وهاشمها
تأتي اليه الرقاب صاغرة ... يأخذ من مالها ومن دمها

فامسك عن قتله وقال لعله من اقارب امير المؤمنين وقال الثاني

انا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره ... وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء ناره ... فمنهم قياما حولها وقعود

فامسك عن قتله وقال لعله من اشراف العرب وقال الثالث

انا ابن الذی خاض الصفوف بعزمه	وفوّمها بالسیف حتی استقامت
وکاباه لا تنفک رجلاه منهما	اذا الخیل فی یوم الکریهة ولت

فاسئل عن قتله وقال لعله من شجعان العرب فلما اصبح رفع امرهم الی الحجاج فاحضرهم وکشف عن حالهم فاذا الاول ابن حجام والثانی ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا اولادکم الادب فوالله لولا الفصاحة لضربت اعناقهم ثم اطلقهم وانشد

کن ابن من شئت واکتسب ادبا	یغنیك محموده عن النسب
ان الفتی من یقول ها انا ذا	لیس الفتی من یقول کان ابی

وقیل امر الحجاج بقتل اسری فقتل منهم جماعة فقال رجل منهم وقد عرض للقتل یا حجاج ان کنا اسأنا فی الذنب فما احسنت فی العفو والله تعالی یقول فاذا لقیتم الذین کفروا فضرب الرقاب حتی اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله فی الکفار فکیف بالمسلمین

وقد قال الشاعر

وما نقتل الاسری ولکن نفکهم	اذا اثقل الاعناق حمل الغلائل

فقال الحجاج اف لهؤلاء الجیف والله لو قال هؤلاء مثل ما قال هذا الرجل ما قتلت منهم احدا ولکن اطلقوا بقیتهم قال الراوی ولما ولی الحجاج العراق قال علی بالمرأة الحروریة فلما حضرت قال لها کنت بالامس فی وقعة ابن الزبیر تحرضین الناس علی قتل رجالی ونهب اموالی قالت نعم قد کان ذلك یا حجاج فالتفت الحجاج الی وزرائه وقال ما ترون فی امرها فقالوا عجل بقتلها فضحکت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال ما اضحکك قالت وزراء اخیك فرعون خیر من وزرائك هؤلاء قال وکیف ذلك قالت لانه استشارهم فی موسی فقالوا ارجه واخاه ای انظره الی وقت آخر وهؤلاء یسئلونك تعجیل قتلی فضحك الحجاج وامر لها بعطاء واطلقها وحکی ان هند بنت

النعمان كانت احسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي الف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد ابيها المعرة وكانت هند فصيحة اديبة فاقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فاقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية	سلالة افراس تحللها بغل
فان ولدت فحلا فلله درها	وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فانفذ اليها عبد الله بن طاهر وانفذ اليها معه مائتي الف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك ابو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا الف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا الف درهم هي لك بشارتك بخلاصي من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فارسل اليها يخطبها لنفسه فارسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين ان الكلب ولغ في الاناء فلما قرا عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فغسل الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب امير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين اني لا اجري العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط اقول ان يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي انت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها اولا فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا وارسل الى الحجاج يأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة امير المؤمنين اجاب ولم يخالف وامتثل الامر وارسل الحجاج الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة

بلد

بلد هند فركبت هند فى محمل وركب حولها جواريها وخدمها فترحل الحجاج وهو حاف واخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها فاخذت تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها يا دايتى اكشفى لى ستارة المحمل لنشم رائحة النسيم فكشفته فوقع وجهها فى وجهه فضحكت عليه فانشد يقول

فان تضحكى يا هند يا طول ليلة	تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته تقول

وما نبالى اذا ارواحنا سلمت	بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع	اذ النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت من بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الارض وقالت يا جمال انه سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من امرها ما كان اذكر فى حياة الحيوان قال عون بن ابى شداد العبدى بلغنى ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير ارسل قائدا من الشام يسمى المتلمس بن الاحوص ومعه عشرون رجلا فبينما هم يطلبونه اذا هم براهب فى صومعة له فسألوه عنه فقال الراهب صفوه لى فوصفوه فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجى ربه بأعلى صوته فدنوا منه فسلموا عليه فرفع رأسه فاتم بقية صلوته ثم رد عليهم السلام فقالوا له ارسل الحجاج اليك فاجبه قال ولابد من الاجابة قالوا لابد فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قام فمشى معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال الراهب يا معشر الفرسان اصبتم صاحبكم قالوا نعم قال اصعدوا الى الدير فان الاسد واللبوة يأويان الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك وابى سعيد ان يدخل الدير فقالوا

مانراك الا تريد الهرب قال لا ولكن لا ادخل منزل مشرك ابدا قالوا فانا لا ندعك فان السباع تقتلك قال سعيد ان معى ربى يصرفها عنى ويجعلها حرسا لى من كل سوء ان شاء الله تعالى قالوا فانت نبى من الانبياء قال ما انا من الانبياء ولكن عبد من عبيد الله خاطئ مذنب قالوا احلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم فقال لهم الراهب اصعدوا الدير واوتروا القسى لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فانه كره الدخول على فى الصومعة لمكانكم فدخلوا واوتروا القسى فاذاهم بلبوة قد اقبلت فلما دنت من سعيد تحككت به وتمسحت به ثم ربضت قريبا منه واقبل الاسد فصنع مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك واصبحوا نزل اليه وساله عن شرائع الاسلام وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففسر سعيد ذلك كله فاسلم الراهب وحسن اسلامه واقبل القوم على سعيد يعتذرون اليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذى وطئه بالليل وصلوا عليه وقالوا يا سعيد حلفنا للحجاج بالطلاق والعتاق ان نحن رايناك لا ندعك حتى نشخصك اليه فمرنا بما شئت قال امضوا لشأنكم فانه لابد من الرجوع لخالقى ولا راد لقضائه فساروا حتى وصلوا واسط فلما انتهوا قال لهم سعيد يا معشر القوم قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست اشك ان اجلى قد حضر وان المدة قد انقضت فدعونى الليلة آخذ اهبة الموت واستعد لمنكر ونكير واذكر عذاب القبر وما يحثى على من التراب فاذا اصبحتم فالميعاد بينى وبينكم المكان الذى تريدون فقال بعضهم لا تريدوا اثرا بعد عين وقال بعضهم قد بلغتم امنيتكم واستوجبتم جوائزكم من الامير فلا تعجزوا عنه فقال بعضهم هو على ادفعه اليكم ان شاء الله فنظروا الى سعيد قد دمعت عيناه واغبر لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه فقالوا باجمعهم يا خير اهل الارض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل اليك الويل لنا كيف ابتلينا ما عذرنا عند خالقنا يوم الحشر الاكبر والمجاوبة له قال كفيله اسألك يا سعيد بالله الا ما زودتنا من دعائك وكلامك فانا لا نلقى مثلك ابدا فدعا لهم سعيد ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم مختفون الليل كله

فلما انكشف عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب فقالوا صاحبكم ورب الكعبة
فنزلوا اليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به الى الحجاج فدخل عليه المتلمس فسلم عليه
وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل بين يديه قال ما اسمك قال سعيد بن جبير
قال انت شقي ابن كسير قال بل امي كانت اعلم باسمي منك قال شقيت انت وشقيت
امك قال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا قال لو علمت ان ذلك بيدك
لاتخذتك الها قال فما قولك في محمد قال نبي الرحمة قال فما قولك في علي اني الجنة
ام في النار قال لو دخلتهما وعرفت اهلهما عرفت من فيهما قال فما قولك في
الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فايهم احب اليك قال ارضاهم لخالقي قال
فايهم ارضى للخالق قال علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا
تضحك قال ايضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار قال فما بالنا نضحك
قال لم تستو القلوب قال ثم امر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه
بين يديه فقال سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيمة فصالح
والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما ارضعت ولا خير في شيء جمع للدنيا الا
ما طاب وزكا ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك يا سعيد اختر
اى قتلة تريد ان اقتلك قال اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها
في الآخرة قال افتريد ان اعفو عنك قال ان كان العفو من الله بلى واما انت فلا
قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر برده
وقال له ما اضحكك قال عجبت من جرائتك على الله وحلم الله عليك فامر بالنطع
فبسط بين يديه وقال اقتلوه قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين قال وجهوه لغير القبلة قال سعيد فاينما تولوا فثم
وجه الله قال كبوه لوجهه فقال سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها
نخرجكم تارة اخرى فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم لا تسلطه على احد يقتله بعدي فذبح

على النطع رحمه الله فكانت رأسه بعد قطعها تقول لا اله الا الله وعاش الحجاج بعدها خمسة عشر يوما وذلك فى سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضى الله عنه تسعا واربعين سنة والله اعلم

خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

كان يختم القرآن فى ثلاث وكان يختم فى رمضان سبع عشرة ختمة قال ابراهيم بن علية كان يعطينى اكياس الدنانير اقسمها فى الصالحين وكان يقول لولا ان الله عز وجل ذكر اللواط فى كتابه العزيز ما ظننت ان احدا يفعله قال الحافظ ابن عساكر كان الوليد عند اهل الشام من افضل خلفائهم بنى المسجد بدمشق وفرض للمجذومين ما يكفيهم وقال لا تسألوا الناس واعطى كل مقعد خادما وكل اعمى قائدا وذكر ان جملة ما انفق على بناء المسجد الاموى اربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل وما كمل بناءه الا اخوه سليمان لما ولى الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لما ادرج فى اكفانه غلت يداه الى عنقه نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ونسأله حسن الخاتمة انتهى من حياة الحيوان

خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان

فما يذكر من محاسنه ان رجلا دخل عليه فقال يا امير المؤمنين انشدك الله والاذان فقال سليمان اما انشدك الله فقد عرفناه فما الاذان قال قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فقال سليمان ما ظلامتك قال ضيعتى الفلانية غلبنى عليها عاملك فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وقال والله لا رفعت خدى من الارض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الارض لما سمع كلام ربه الذى خلقه وخوله فى نعمه خشى من لعن الله وطرده رحمه الله قيل انه اطلق من سجن الحجاج ثلثمائة

الف نفس ما بين رجل وامرأة وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز
وزيراو مشيرا وكان شرها فى الاكل نكاحا قال ابن خلكان فى ترجمته انه كان
يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامى قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان افتتح خلافته
بخير وختمها بخير افتتحها باقامة الصلاة لمواقيتها الاولى وختمها باستخلافه لعمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه وقال ابو سويد حدثنى ابو زيد الاسدى قال دخلت
على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج
الاخضر فى وسط بستان ملتف قد اثمر واينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن
احسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح
على الاشجار وتمايلت فقلت السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته وكان
مطرقا فرفع رأسه وقال يا ابا زيد فى مثل هذا الحين نصابحنا فقلت اصلح الله
الامير اوقامت القيامة قال نعم على اهل المحبة ثم اطرق مليا ورفع رأسه وقال يا ابا زيد
ما يطيب فى يومنا هذا قلت اعز الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها
غادة هيفاء ملفوفة لفاء اشربها من كفها وامسح فى بعدها فاطرق سليمان مليا
لا يرد جوابا تتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما راين الوصائف ذلك تنحين عنه
ثم رفع رأسه فقال يا ابا زيد حضرت فى يوم انقضاء اجلك ومنتهى مدتك وتصرم
عمرك والله لاضربن عنقك او لتخبرنى ما اثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم
ايها الامير كنت جالسا على باب اخيك سعد بن عبد الملك فاذا انا بجارية قد خرجت
من باب القصر كانها غزال انفلتت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى
يبين منها بياض ثديها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صراران قد
اشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذوائبين تضرب حقويها ولها صدغان كانهما
نونان وحاجبان قد تقوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وانف كانه
قصبة بلور وفم كانه جرح يقطر دما وهى تقول عباد الله من لى بدواء من لا يسلي
وعلاج من لا يسمى طال الحجاب وابطأ الجواب فالقلب طائر والعقل عازب والنفس

والهة والفؤاد مختلس والنوم مختبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة والى العزاء سبيل لكان امرا جميلا ؟ ثم اطرقت مليا ورفعت رأسها فقلت ايتها الجارية انسية انت ام جنية سماوية ام ارضية فقد اعجبني ذكاء عقلك واذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كانها لم ترني ثم قالت اعذرايها المتكلم فما اوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معانده ثم انصرفت فوالله صلى الله الامير ما اكلت طيبا الا غصصت به لذكرها وما رايت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان يا ابا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا ابا زيد ان تلك الجارية التي رايتها هي الذلفاء التي قيل فيها

كانما الذلفاء ياقوتة ... اخرجت من كيس دهقان

شراؤها على اخي الف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله انه مات انما يموت بحبها ولا يدخل القبر الا بعضها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت هيبة قم يا ابا زيد في دعة الله يا غلام ثقله ببدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة له صارت اليه الذلفاء فامر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها انواع الزهر من اصفر فاقع واحمر ساطع وابيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان كان به يأنس واليه يسكن فامره ان يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل في اكل وشرب وسمر وترانم جوهر الى ان انصرف شئ من الليل فذهب الى فسطاطه وذهب سنان ايضا فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرى اصلحك الله قال وما قراكم قالوا اكل وشرب وسماع قال اما الاكل والشرب فمباحان لكم واما السماع فقد عرفتم غيرة امير المؤمنين ونهيه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا اغنيكموه قالوا غننا بصوت كذا او كذا قال فشرع يتغنى بهذه الابيات

مجحوبة سمعت صوتي فارقها | من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها | اوجهها عنده ام عنده القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق | فدمعها الطرف رق الصوت يحدره
لو مكنت لمشت نحوي على قدم | وكاد من لينها للمشي ينفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق ولطافة الالات ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ماهذا يا ذلفاء فقالت

الا رب شخص رائع ومشوه | قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله | الى امة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا الحال فوالله لقد خامر قلبك منه يا غلام علي بسنان فدعت الذلفاء خادما لها وقالت له ان سبقت رسول امير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وانت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول امير المؤمنين فلما اتى به قال يا سنان الم انهك عن مثل هذا قال يا امير المؤمنين حملني الشمول وانا عبد امير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى امير المؤمنين ان يعفو عني فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن اما علمت ان الفرس اذا صهل تودقت له الحجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى صغت اليه المرأة واياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك انتهى وقيل كان في ايام سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني اسد كانت له مروءة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبر بالاخوان فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج الى اخوانه الذين كان يتفضل عليهم وكان يواسيهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا ابنة عمي قد رايت من اخواني تغيرا وقد عزمت على ان الزم بيتي الى

ان يأتيني الموت فاغلق بابه واقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعي متولي الجزيرة فبينما هو في مجلسه اذ ذكر خزيمة ابن بشر فقال عكرمة الفياض ما حاله فقالوا انه قد صار الى امر لا يوصف وانه اغلق بابه ولزم بيته وانما سمي بذلك لاجل كرمه فما وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافيا فقال لو الا فامسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد الى اربعة الآف دينار فجعلها في كيس واحد ثم امر باسراج دابته وخرج سرا من اهله فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس من الغلام ثم ابعده عنه وتقدم الى الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمة فناوله الكيس وقال اصلح بهذا شانك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه عن يده ثم امسك بلجام الدابة وقال له من انت جعلت فداك فقال له عكرمة يا هذا ما جئتك في هذا الوقت والساعة وانا اريد ان تعرفني قال فما اقبله الا ان عرفتني من انت فقال انا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى ابنة عمه فقال لها ابشري فقد اتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهي كثيرة قومي فاسرجي قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق واما عكرمة فانه رجع الى منزله فوجد امرأته فقدته وسالت عنه فاخبرت بركوبه فانكرت ذلك وارتابت وقالت له والي الجزيرة يخرج بعد هدو من الليل منفردا من غلمانه في سر من اهله الا الى زوجة او سرية فقال اعلمي اني ما خرجت في واحدة منهما قالت فخبرني فيم خرجت قال يا هذه ما خرجت في هذا الوقت وانا اريد ان يعلم بي احد قالت لا بد ان تخبرني قال فتكتميه اذن قالت فاني افعل فاخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله ورده عليه ثم قال اتحبين ان احلف لك ايضا قالت لا فان قلبي قد سكن وركن الى ما ذكرت واما خزيمة لما اصبح صالح الغرماء واصلح ما كان من حاله ثم انه تجهز يريد سليمان بن عبد الملك وكان نازلا يومئذ بفلسطين فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فاخبره

بمكانه وكان مشهوراً بمروّته وكرمه وكان سليمان به عارفاً فاذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك يا خزيمة ما ابطأك عنا قال سوء الحال قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفي يا امير المؤمنين قال فبم نهضت الينا الآن قال لم اعلم يا امير المؤمنين الا اني بعد هدء من الليل لم اشعر الا ورجل يطرق الباب وكان من امره كيت وكيت واخبره بقصته من اولها الى آخرها فقال سليمان هل تعرف الرجل فقال خزيمة ما عرفته يا امير المؤمنين وذلك انه كان متنكراً وما سمعت من لفظه الا اني جابر عثرات الكرام قال فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لكافأناه على مروّته ثم قال علي بقناة فاتي بها فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملاً عوضاً عن عكرمة الفياض فخرج خزيمة طالب الجزيرة فلما اقترب منها خرج عكرمة واهل البلد للقائه فسلما على بعضهما بعضاً ثم سارا جميعاً الى ان دخلا البلد فنزل خزيمة في دار الامارة و امر ان يؤخذ لعكرمة كفيل وان يحاسب فحوسب فوجد عليه فضول اموال كثيرة فطالبه باداءها قال ما لي الى شيء من سبيل قال لابد منها قال ليست عندي فاصنع ما انت صانع فامر به الى الحبس ثم انفذ اليه من يطالبه فارسل يقول اني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فامر ان يكبل بالحديد فاقام شهراً او اكثر فاضناه ذلك فاضرّ به وبلغ ابنة عمه خبره فجزعت واغتمت لذلك ثم دعت مولاة لها وكانت ذا عقل ومعرفة وقالت لها امضي الساعة الى باب هذا الامير خزيمة بن بشر وقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك فقولي لا اقولها الا للامير خزيمة بن بشر فاذا دخلت عليه فسليه ان يخليك فاذا فعل ذلك فقولي له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك كافاته بالحبس والضيق و الحديد ففعلت الجارية ذلك فلما سمع خزيمة كلامها نادى برفيع صوته واسوأتاه وانه لهو قالت نعم فامر لوقته بدابته فاسرجت وبعث الى وجوه اهل البلد فجمعهم اليه واتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فرآه قاعداً في قاعة الحبس

متغيرا اضناه الضر والالم وثقل القيود والاغلال فلما نظر اليه عكرمة والى الناس
احشمه ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة حتى اكب على رأسه فقبلها فرفع عكرمة اليه
رأسه وقال ما اعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافاتي قال يغفر الله لنا
ولك ثم اتى بالحداد ففك القيود عنه وامر خزيمة ان توضع القيود في رجل نفسه
فقال عكرمة ماذا تريد فقال اريد ان ينالني من الضر مثل ما نالك فقال اقسم
عليك بالله لا تفعل فخرجا جميعا حتى وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة واراد
الانصراف عنه فقال ما انت ببارح قال وما تريد قال اغير حالك وان حيائي
من ابنة عمك اشد حياء منك ثم امر بالحمام فاخلى ودخلاه معا فقام خزيمة
وتولى امره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالا كثيرا ثم سار
معه الى داره واستأذنه في الاعتذار الى ابنة عمه فاعتذر اليها وتذمم من ذلك
قال ثم سأله بعد ذلك ان يسير معه الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم
بالرملة فانعم له بذلك وسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل
الحاجب فاعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والي الجزيرة يقدم بغير
امرنا ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل قال له قبل ان يسلم ما وراءك يا خزيمة
قال الخير يا امير المؤمنين قال فما الذي اقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت
ان اسرك به لما رايت من تلهفك وتشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة
الفياض قال فاذن له بالدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وادناه من
مجلسه وقال يا عكرمة ما كان خيرك له الا وبالا عليك ثم قال سليمان اكتب
حوائجك كلها وما تحتاج اليه في رقعة ففعل ذلك فامر بقضائها من ساعته
وامر له بعشرة الآف دينار وسفطين ثيابا ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة و
ارمينية واذربيجان وقال له امر خزيمة اليك ان شئت ان تبقيه وان شئت عزلته
قال بل ردده الى عمله يا امير المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزالا عاملين
لسليمان مدة خلافته والله اعلم

خلافته

خلافة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

امه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو تابعي جليل قال الامام احمد بن حنبل ليس احد من التابعين قوله حجة الا عمر بن عبد العزيز كان رضي الله عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابدا مؤمنا تقيا صادقا ازال ما كانت بنو امية تذكر به رضي الله عنه على المنابر وجعل مكان ذلك قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولما ولى الخلافة رضي الله عنه وفد الشعراء اليه واقاموا ببابه اياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء بن حيوة وكان جليس عمر فلما رآه جرير داخلا قام اليه وانشد يقول هذه الابيات

يا ايها الرجل المرخي عمامته　　هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر شيئا من امرهم ثم مر بهم عدي ابن ارطاة فقال جرير ابياتا آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة　　قد طال مكثي عن اهلي وعن وطني

قال فدخل عدي على عمر وقال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة فقال ويحك يا عدي مالي والشعراء قال اعز الله امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح واعطى ولك في رسول الله اسوة حسنة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فاعطاه حلة قطع بها كلامه قال او تروي من قوله قال نعم وانشد يقول

رايتك يا خير البرية كلها　　نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا　　عن الحق لما اصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان امرا مدنسا　　واطفأت بالاسلام نارا تضرما
فمن مبلغ عن النبي محمدا　　وكل امرئ يجزى بما كان قدما
اقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه　　وقد كان قدما ركنه قد تهدما

فقال ويلك يا عدي من بالباب منهم قال عمر بن ربيعة قال اليس هو الذي

يقول شعرا

ثم نبهتها فمدت كعابا — طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم انها لي قالت — ويلتي قد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان استر له لا يدخل على والله ابدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال او ليس هو الذي يقول

هما دلتاني من ثمانين قامة — كما انقض باز أكتم الرأس كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا — احي فيرجى ام قتيل نحاذره

لا يدخل على والله ابدا فمن سواء منهم قال الاخطل قال يا عدي هو الذي قال

ولست بصائم رمضان طوعا — ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيسى بكورا — الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعود ادعوا — قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني ساشربها شمولا — واسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل على ابدا وهو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص قال هو الذي يقول

الله بيني وبين سيدها — يفر بها عني واتبعه

فمن بالباب دون من ذكرت ايضا قال جميل بن معمر قال او ليس هو الذي يقول

فيا ليتنا نحيا جميعا وان امت — يوافق موتي موتها وضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لكان اصلح والله لا يدخل على ابدا فهل احد سوى من ذكرت قال جرير قال او ليس هو الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا — وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد هو الذي يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله

ولا تقل الا حقا فانشد قصيدته الرائية المشهورة التى منها هذه الابيات

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا　　من الخليفة ما نرجو من المطر

جاء الخلافة او كانت له قدرا　　كما اتى ربه موسے على قدر

هذى الارامل قد قضيت حاجتها　　فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

الخير ما دمت حيا لا يفارقنا　　بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير لا ارى لك فيما ههنا حقا قال بلى يا امير المومنين انا ابن سبيل منقطع فاعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الامر ولم نملك الا ثلثمائة درهم فمائة اخذها عبد الله ومائة اخذتها ام عبد الله يا غلام اعطه المائة الاخرى فاخذها جرير وقال والله لهى احب الى مما اكتسبته فى عمرى ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جرير فقال ما يسؤكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض وانشد يقول

رايت رقى الشيطان لا يستفزه　　وقد كان شيطانى من الجن راقيا

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

قال ابو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى قال يونس الكاتب خرجت الى الشام فى خلافة هشام بن عبد الملك ومعى جارية غانية وكنت علمتها جميع ما تحتاج اليه وانا اقدر فيها انها تساوى مائة الف درهم قال فلما اقتربنا من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية منه واصبت من طعام كان معى واخرجت ركوة كان فيها نبيذ فبينما انا كذلك واذا بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس اشقر ومعه خادمان فسلم على وقال اتقبل ضيفا قلت نعم فاخذت بركابه ونزل وقال اسقنا من شرابك فسقيته فقال ان شئت ان تغنى صوتا فغنيته

حازت من الحسن ما لا حازه البشر　　فلذلى فى هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ثم قال قل لجاريتك فلتغن فامرتها فغنت

جوهرة حار قلبى فى محاسنها　　فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ولم يزل مقيما الى ان صلينا العشاء ثم قال ما اقدمك
علينا هذا البلد قلت اردت بيع جاريتي هذه قال فبكم املت فيها من الثمن قلت ما اقضي
به ديني واصلح به حالي قال ثلاثون الفا قلت ما احوجني الى فضل الله والمزيد فيه
قال ايقنعك اربعون الفا قلت فيها قضاء ديني وابقى صفر اليد قال قد اخذناها
بخمسين الفا من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك واشركك في
حالي ابدا ما بقيت فقلت قد بعتكها قال افتثق بي ان اوصل ذلك غدا اليك
واحملها معي او تكون عندك الى ان احمل ذلك اليك غدا فحملني السكر والحياء
مع الخشية منه على ان قلت نعم قد وثقت بك فخذها بارك الله لك فيها فقال
لاحد غلمانه احملها على دابتك وارتدف وراءها وامض بها ثم ركب فرسه وودعني
وانصرف فما هو الا ان غاب عني ساعة فعرفت موضع خطائي وغلطي وقلت ماذا
صنعت بنفسي اسلم جاريتي الى رجل لا اعرفه ولا ادري من هو وهب اني
عرفته فمن اين الصلة اليه فجلست متفكرا الى ان صليت الصبح ودخلوا اصحابي
دمشق وجلست حائرا لا ادري ما اصنع وقرعتني الشمس وكرهت المقام فهممت
بالدخول الى دمشق ثم قلت لم آمن ان الرسول يأتي فلا يجدني فاكون قد جنيت
على نفسي جناية ثانية فجلست في ظل جدار هناك فلما اضحى النهار واذا احد الغلمان
الذين كانا معه قد اقبل علي فما اذكر اني سررت بشئ اعظم من سروري ذلك
الوقت بالنظر اليه فقال لي يا سيدي ابطأنا عليك فلم اذكر له شيئا مما كان بي ثم
قال لي اتعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن هشام ولي العهد فسكت عند ذلك
ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الى ان وصلنا الى داره فدخلت
اليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت علي فقلت ما كان من امرك قالت انزلني
هذه الحجرة وامر لي بما احتاج اليه فجلست عندها ساعة واذا انا قد اتاني خادم له
فقال لي قم فقمت فادخلني على سيده فاذا هو صاحبي بالامس وهو جالس على
سريره فقال من تكون فقلت يونس الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اليك

بضنين

بضنين وكنت اسمع بخبرك فكيف كان مبيتك فى ليلتك قلت بخير اعزك الله قال فلعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتى الى رجل لا اعرفه ولا اعرف اسمه ولا من اى البلاد هو فقلت معاذ الله ايها الامير ان الذى ولو اهديتها الى الامير كانت اقل واخس وما قدر هذه الجارية فقال والله ولكنى ندمت على اخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفنى وقد دهمته وسفهت عليه فى استعجالى لاخذ الجارية افتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال بعتنى هذه الجارية بخمسين الف درهم قلت نعم قال هات يا غلام المال فوضعوه بين يديه فقال هات يا غلام الف دينار فأتى بها ثم قال يا غلام هات خمسمائة دينار اخرى فجاء بها ثم قال هذا ثمن جاريتك نضمه اليك وهذه الالف دينار لحسن ظنك بنا وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاع لاهلك رضيت قلت رضيت وقبلت يده وقلت والله قد ملأت عينى ويدى ثم قال والله انى لم ادخل بها ولا شبعت من غنائها على بها فجاءت فامرها بالجلوس فجلست فقال لها غنى فانشدت تقول شعرا

ايا من حاز كل الحسن طرا ويا حلو الشمايل والدلال
جميع الحسن فى عجم وعرب وما فى الكل مثلك يا غزالى
فاعطف يا مليح على محب بوعدك او بطيف من خيال
حلا لى فيك ذلى وافتضاحى وطاب لمقلتى سهر الليالى
وما انا فيك اول مستهام فكم قبلى قتلت من الرجال
رضيتك لى من الدنيا نصيبا وانت اعز من روحى ومالى

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تاديبى لها وتعليمى اياها ثم قال يا غلام قدم له دابة بسرجها وآلتها لركوبه وبغلا لحمل حوائجه وثقله ثم قال يا يونس اذا بلغك ان هذا الامر قد افضى الى فالحق بى فوالله لاملأن لك يدك ولاعلين قدرك ولاغنينك ما بقيت قال فاخذت المال وانصرفت فلما افضت الخلافة اليه سرت اليه فوفى والله بوعده وزاد فى اكرامى وكنت معه على اسر حال واسنى منزلة وقد اتسعت احوالى

وكثرت اموالى وصار لى من الضياع والاملاك ما يكفينى الى مماتى ويكفى من بعدى ولم ازل معه حتى قتل عفا الله عنه وقيل انه لما حج هشام فى ايام ابيه طاف بالبيت و جهد ان يصل الى الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من اهل الشام فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين على بن الحسين على بن ابيطالب رضى الله عنهم اجمعين وكان من احسن الناس وجها واطيبهم ارجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من اهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه مخافة ان يرغب فيه اهل الشام وكان ابو فراس الفرزدق حاضرا فقال انا الله اعرفه فقال الشامى من هذا يا ابا فراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرام
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا راته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
فى كفه خيزران ريحه عبق ... من كف اروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته ... كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدما وعظمه ... جرى بذاك له فى لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

حمال اثقال اقوام اذا افترحوا — حلو الشمائل يحلو عنده نعم

ما قال لا قط الا فى تشهده — لولا التشهد كانت لاءه نعم

عم البرية بالاحسان فانقشعت — عنها الغياهب والاملاق والعدم

من معشر حبهم دين وبغضهم — كفر وقربهم منجى ومعتصم

ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم — او قيل من خير اهل الارض قيل هم

لا يستطيع جوادا بعد غايتهم — ولا يدانيهم قوم وان كرموا

هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت — والاسد اسد الشرى والبأس محتدم

لا ينقص العسر بسطا من اكفهم — سيان ذلك ان اثروا وان عدموا

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم — فى كل بدء ومختوم به الكلم

يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم — خلق كريم وايد بالندى هضموا

اى الخلائق ليست فى رقابهم — لاولية هذا او له نعم

من يعرف الله يعرف اولية ذا — فالدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام ذلك غضب وحبس الفرزدق فانفذ له زين العابدين رضى الله عنه اثنى عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله لا للعطاء والصلات فقال زين العابدين انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نعيد فيه فقبلها الفرزدق اه

ومما يحكى ان هشام بن عبد الملك كان ذات يوم فى صيده وقنصه اذ نظر الى ظبى تتبعه الكلاب فتبعه واحالته الى خباء اعرابى يرعى غنما فقال هشام يا صبى دونك هذا الظبى فأتنى به فرفع الصبى رأسه اليه وقال له يا جاهل بقدر الاخيار لقد نظرت الى باستصغار وكلمتنى باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام يا صبى ويلك ما تعرفنى فقال قد عرفنى بك سوء ادبك اذ بدأتنى بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال له الاعرابى لا قرب دارك ولا احيا مزارك ما اكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم حتى احدقت به الجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال هشام اقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا

عليه ورجع هشام الى قصره وجلس فى مجلسه وقال على الغلام البدوى فاتى به
فلما راى الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وابناء الدولة وارباب الصولة
لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث تقع قدماه
الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس راسه الى الارض وسكت الغلام وامتنع
من الكلام فقال بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين فالتفت
اليه مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعنى من ذلك طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق
فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبى قد حضرت فى يوم حضر فيه اجلك وخاب
فيه املك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبى والله يا هشام لئن كان فى المدة تأخير
ما ضرنى من كلامك قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من امرك ومحلك يا اخس
العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال له مسرعا لقيت الخذل ولا ملك
الويل والهبل اما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها
فاذا كان الله يجادل جدالا فمن هشام حتى لا يخاطب خطابا فعند ذلك قام هشام
واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف على برأس هذا الغلام فقد اكثر الكلام فيما
لا يخطر على الاوهام فقام السياف واخذ الغلام وبركه فى نطع الدم وسل سيف
النقمة على راسه وقال يا امير المؤمنين عبدك المدل بنفسه المنقلب فى رمسه اضرب
عنقه وانا برئ من دمه قال نعم فاستأذنه فاذن له ثم استأذنه ثالثة فهم ان يأذن له
فضحك الصبى حتى بدت نواجذه فازداد هشام منه تعجبا وقال يا صبى اظنك معتوها
ترى انك مفارق الدنيا ومزايل الحياة وانت تضحك هزؤا بنفسك فقال يا امير المؤمنين
لئن كان فى المدة تأخير ولم يكن فى الاجل تقصير ما ضرنى منك قليل ولا كثير ولكن
ابياتا حضرت الساعة فاسمعها فقتلى لا يفوت فاكثر الصموت فقال هشام هات
واوجز فهذا اول اوقاتك من الآخرة وآخر اوقاتك من الدنيا فانشأ يقول هذه الابيات

نبئت ان الباز علق مرة	عصفور بر ساقه المقدور
فتعلق العصفور فى اظفاره	والباز منهمك عليه يطير

فانی لسان الحال یخبر قائلا ۔ ها قد ظفرت وانی ماسور
مثلی فما یغنی لمثلك جوعة ۔ ولئن اکلت فاننی محقور
فتبسم الباز المدل بنفسه ۔ طربا واطلق ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال قرابتی من رسول الله صلی الله علیه وسلم لو تلفظ بهذا من اول وقت من اوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطیته یا خادم احش فاه درا وجوهرا واحسن جائزته ودعه یمضی الی حال سبیله وقیل وفد عروة بن اذینة علی هشام بن عبد الملك فشکا الیه فقره فقال الست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقی ۔ ان الذی هو رزقی سیاتینی
اسعی الیه فیعیینی تطلبه ۔ وان قعدت اتانی لیس یعیینی

وخرجت الآن من الحجاز الی الشام فی طلب الرزق فقال یا امیر المؤمنین وعظت فابلغت وخرج فرکب ناقته وکرا الی الحجاز راجعا فلما کان اللیل نام هشام علی فراشه فذکر عروة فقال رجل من قریش قال حکمة ووفد علی فرددته خائبا فلما اصبح وجه الیه بالفی دینار فقرع علیه الرسول باب داره بالمدینة فاعطاه المال فقال ابلغ عنی امیر المؤمنین السلام وقل له کیف رایت قولی سعیت فاکدیت فرجعت خائبا فجلست فی داری فاتانی رزقی فی منزلی انتهی

ابتداء دولة العباسیة

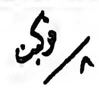
کان القائم بهذه الدولة ابو مسلم الخراسانی وکان اسمه عبد الرحمن بن مسلم فمن قوله هذه الابیات

ادرکت بالحزم والکتمان ما عجزت ۔ عنه ملوك بنی مروان اذ حشدوا
ما زلت اسعی بجهدی فی دمارهم ۔ والقوم فی غفلة والناس قد رقدوا
حتی ضربتهم بالسیف فانتبهوا ۔ من نومة لم ینمها قبلهم احد
ومن رعی غنما فی ارض مسبعة ۔ ونام عنها تولی رعیها الاسد

اولهم ابو عبد الله السفاح

ذکر ابن الجوزی فی کتاب الاذکیاء عن خالد بن صفوان انه دخل یوما علی ابی العباس

السفاح وليس عنده احد فقال يا امير المؤمنين انى والله ما زلت منذ قلدك الله
خلافته اطلب ان اصير معك بمثل هذا الموقف فى الخلوة فان رأى امير المؤمنين
ان يأمر بامساك الباب فعل حتى نفرغ فامر الحاجب بذلك فقال يا امير المؤمنين
انى فكرت فى امرك واستجليت الفكر فيك فلم ار احدا له قدرة واتساع فى الاستمتاع
بالنساء ولا اضيق فيهن عيشا منك انك ملكت نفسك امراة من نساء العالمين
فاقتصرت عليها فان مرضت مرضت وان غابت غبت وان عزلت عزلت وحرمت
يا امير المؤمنين على نفسك التلذذ بما تشتهى منهن فان منهن الطويلة التى تشتهى لحسنها
والبيضاء التى تحب لرؤيتها والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة والطائف
واليمامة ذوات الالسنة العذبة والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك وما يشتهى
من نضارتهن ونظافتهن وتحلل خالد لسانه فاطنب فى صفات ضروب الجوارى وشوقه
اليهن فلما فرغ من كلامه قال له السفاح ويحك ملأت مسامعى ما اشغل خاطرى
والله ما سلك مسامعى كلام احسن من هذا فاعد على كلامك فقد وقع منى موقعا
فاعاد عليه خالد كلامه باحسن مما ابتدأ به ثم قال له انصرف فانصرف وبقى ابو العباس
مفكرا فدخلت عليه ام سلمة زوجته وكان قد حلف لها انه لا يتزوج عليها ولا يتخذ
عليها سرية ووفى لها فلما رأته على تلك الحالة قالت له انى لانكرك يا امير المؤمنين
فهل حدث شئ تكرهه او اتاك خبر ارتعت له قال لا فلم تزل به حتى اخبرها بمقالة
خالد فقالت له وما قلت لابن الفاعلة فقال لها اينصحنى وتشتمينه فخرجت الى مواليها
وامرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت من الدار مسرورا بما القيت الى امير المؤمنين
ولم اشك فى الصلة فبينما انا واقف اذ اقبلوا يسألوا عنى فحققت الجائزة فقلت لهم
ها انا واقف فاستبق الى احدهم بخشبة فغمزت برذونى فلحقنى وضرب كفل البرذون
فركضت ففتهم واستخفيت فى منزلى اياما ووقع فى قلبى انى أتيت من ام سلمة
فبينما انا ذات يوم جالس فى المنزل فلم اشعر الا بقوم قد هجموا على فقالوا اجب امير المؤمنين
فسبق الى قلبى انه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون لم ار دم شيخ اضيع من دمى



ركبت الى دار امير المؤمنين فاصبته جالسا ولحظت فى المجلس بيتا عليه ستور رقاق
وسمعت حسا خفيفا خلف الستر فاجلسنى ثم قال يا خالد انت وصفت لامير المؤمنين
صفة فاعدها فقلت نعم يا امير المؤمنين اعلمتك ان العرب ما اشتقت اسم
الضرتين الا من الضر وان احد لم يكن من النساء اكثر من واحدة الا كان فى
ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا من كلامك اولا قلت بلى يا امير المؤمنين
واخبرتك ان الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشيب الرؤس فقال
برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك اولا او مر فى
حديثك قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن
يشيبنه ويهرمنه قال والله ما سمعت هذا منك اولا قلت بلى يا امير المؤمنين و
اخبرتك ان ابكار الاماء رجال الا انه ليست لهن خصاء قال امير المؤمنين افتكذبنى
قلت افتقتلنى قال خالد فسمعت ضحكا خلف الستر ثم قلت واخبرتك ان عندك
ريحانة قريش وانت تطمح بعينيك الى النساء والجوارى فقيل لى من وراء الستر صدقت
والله يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما فى خاطره عن لسانك
فقال السفاح ما بك قاتلك الله قال خالد فانسللت وخرجت فبعثت الى ام سلمة بعشرة
آلاف درهم وبرذونا وتخت ثياب انتهى (وروى) ان ابا دلامة الشاعر كان واقفا
بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال سلنى حاجتك فقال له ابو دلامة اريد كلب
صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة اتصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما
يقود الكلب والصيد فقال اعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا
منه فقال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا امير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها
فقال اعطوه دارا تجمعهم ثم قال وان تكن لهم الدار فمن اين يعيشون قال قد اقطعتك
عشر ضياع غامرة من فيافى بنى اسرائيل قال وما معنى الغامرة يا امير المؤمنين
قال ما لا نبات فيها قال قد اقطعتك انا يا امير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى
سعد فضحك منه وقال اعطوها كلها عامرة قال الحافظ فانظر الى حذقه بالمسالة و

ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسألة على ترتيب وفكاهة حتى نال ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليها بارك الله فيه انتهى وروى عن الحسن بن الحصين قال لما افضت الخلافة الى بني العباس كان من جملة ما اختفى ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك فلم يزل مختفيا الى ان اضناه واضجره الاختفاء فاخذ له امانا من السفاح وكان ابراهيم رجلا اديبا بليغا حسن المحاضرة فحظي عند السفاح فقال له لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثني باعجب ما رايت في اختفائك فلم ايام تكدر فقال يا امير المؤمنين وهل سمع باعجب من حديثي لقد كنت مختفيا في منزل انظر منه الى البطحاء فبينما انا على مثل ذلك واذا باعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في ذهني انها خرجت تطلبني فخرجت متنكرا حتى اتيت الكوفة من غير الطريق وانا والله متحير ولا اعرف بها احدا واذا انا بباب كبير في رحبة منيعة فدخلت لتلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار واذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه فدخل الرحبة فرآني واقفا مرتابا فقال لي ألك حاجة قلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة في داره فقال هذه لك وهيأ لي ما احتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب واقمت عنده ووالله ما سألني قط من انا ولا ممن اخاف وهو في اثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود متعوبا متأسفا كأنه يطلب شيئا فاته ولم يجده فقلت له يوما اراك تركب في كل يوم وتعود متعوبا متأسفا كأنك تطلب شيئا فاتك فقال لي ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل ابي وقد بلغني انه مختف من السفاح وانا اطلبه لعلي اجده آخذ بثاري منه فتعجبت والله يا امير المؤمنين من هروبي وشؤم بختي الذي ساقني الى منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثاره مني فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالني من الشدة فسألت الرجل عن اسم ابيه وعن سبب قتله فعرفت الخبر فوجدته صحيحا فقلت يا هذا قد وجب علي حقك وان من حقك ان ادلك على قاتل ابيك واقرب عليك الخطوة واسهل عليك ما بعد فقال أتعلم اين

هو

هو قلت نعم فقال اين هو فقلت والله هو انا فخذ بثارك مني فقال لي اظن ان الاختفاء اضناك
فكرهت الحياة قلت نعم والله انا قتلته يوم كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت
عيناه واطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه الي وقال لي اما ابي سيلقاك غدا يوم القيمة
فيحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية واما انا فلست مخفرا ذمتي ولا مضيعا نزيلي
اخرج عني فاني لا آمن نفسي عليك بعد هذا اليوم ثم وثب يا امير المؤمنين الى صندوق
فاخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار وقال خذ هذه واستعن بها على اختفائك فكرهت
اخذها وخرجت من عنده وهو اكرم رجل رايت فبقي السفاح يهتز طربا ويتعجب
وعن الهيثم بن عدي قال كان ابو العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال
فحضرت ذات ليلة في مسامرة ابراهيم بن مخرمة الكندي وناس من بني الحارث
ابن كعب وهم اخواله وخالد بن صفوان بن ابراهيم التميمي فخاضوا في الحديث و
تذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم يا امير المؤمنين ان اليمن هم العرب الذين دانت
لهم الدنيا وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا اربابا ورثوا ذلك كابرا عن كابر
اولا عن آخر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسيات والتبابعة ومنهم من
مدحته الزبر ومنهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتز لموته العرش ومنهم من كلمه
الذئب ومنهم الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس شئ له خطر الا واليهم
ينسب فرس رائع او سيف قاطع او درع حصينة او حلة مصونة او درة مكنونة
ان سئلوا اعطوا وان سيموا ابوا وان نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابر ولا
ينالهم مفاخر هم العرب العرباء وغيرهم المتعربة قال ابو العباس السفاح ما اظن
التميمي يرضى بقولك ثم قال له ما تقول يا خالد فقال ان اذنت في الكلام تكلمت فقال قد
اذنت في الكلام فتكلم ولا تهب احدا فقال اخطأ يا امير المؤمنين المقتحم بغير علم و
الناطق بغير صواب فكيف يكون ما قال وان القوم ليست لهم السن فصيحة ولا لغة
صحيحة ولا حجة رجيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة وهم منا على منزلتين ان جاوزوا
عن قصدنا اكلوا وان جاوزوا احكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات

وغير ذلك مما سنأتي عليه ونفخر عليهم بخير الانام واكرم الكرام محمد عليه افضل الصلاة
والسلام ولله المنة علينا وعليهم لقد كانوا اتباعه فيه عزوا وله اكرموا فمنا النبي صلى الله عليه
والسلم ومنا الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم المقام والمنبر والركن
والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء مع مالا يخفى من المآثر ولا يدرك من المفاخر
فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصي
واسد الله وسيد الشهداء وذو الجناحين وسيف الله عرفوا الله واتاهم اليقين
فمن زاحمنا زحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم التفت الى براهيم فقال اعالم انت
بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجحمة قال فما اسم السن قال الميذن
قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتر قال فما اسم اللحية
قال الزب قال فما اسم الذئب قال الكنع قال افمؤمن انت بكتاب الله قال نعم قال فان
الله تعالى يقول انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وقال تعالى بلسان عربي
مبين وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا
نزل الم تر ان الله قال العين بالعين ولم يقل الجحمة بالجحمة وقال السن بالسن
ولم يقل الميذن بالميذن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال
يجعلون اصابعهم في آذانهم ولم يقل شناترهم وقال لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي
ولم يقل بزبي وقال تعالى يأكله الذئب ولم يقل يأكله الكنع ثم قال اسألك عن
اربع ان انت اقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول
منا او منكم قال منكم قال فالقرآن نزل علينا او عليكم قال عليكم قال فالبيت
الحرام لنا او لكم قال لكم قال فالخلافة فينا او فيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد

هذه الاربع فهو لكم

خلافة ابي جعفر المنصور

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكانت له جارية
تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلا جدا حتى انه كان يلقب بالدوانيقي لانه كان

يحاسب على الدوانق فكان اذا جاءه شاعر بقصيدة قال له ان كانت مطروقة بان يكون
احد يحفظها او احد انشاءها اى بان كان اتى بها احد قبلك فلا نعطيك لها جائزة
وان لم يكن احد يحفظها نعطك زنة ماهى مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة
فيحفظها الخليفة من اول مرة ولو كانت الف بيت ويقول للشاعر اسمعها منى و
ينشدها بكمالها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين
مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرأها ثم يقول الخليفة وهذه الجارية التى
خلف الستارة تحفظها ايضا وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرأها بحروفها
فيذهب الشاعر بغير شئ قال الراوى وكان الاصمعى من جلسائه وندمائه
فنظم ابياتا صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها فى عباءة وجعلها على
ظهر بعير وغير حليته فى صفة اعرابى غريب وضرب له لثاما ولم يبين منه غير
عينيه وجاء الى الخليفة وقال انى امتدحت امير المؤمنين بقصيدة فقال يا اخا
العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطيك زنة ما هى مكتوبة عليه

فانشد الاصمعى هذه القصيدة

صوت صفير البلبلى	هيج قلب الثملى
الماء والزهر معا	مع زهر لحظ المقل
وانت يا سيد دلى	وسيد ى ومولى لى
وكم وكم تيمنى	غزيل عقيقلى
قطفت من وجنته	باللثم ورد الخجلى
وقلت بس بسبسنى	فلم يجد بالقبلى
وقال لا لا لا لا	وقد غدا مهرولى
والخود مالت طربا	من فعل هذا الرجلى
وولولت ولولة	ولى ولى يا ويل لى
فقلت لا تولولى	وبينى اللؤلؤ لى

لما راته اشمطا — يريد غير القبلى
وبعدها ما يكتفى — الا بطيب الوصلى
قالت له حين كذا — انهض وجد بالنقلى
وفتية سقونى — قهيوة كالعسلى
ثم تمتها فى انفقى — ازكى من الفنونفلى
فى وسط بستان حسن — بالزهر والسرولى
والعود دندن دنلى — والطبل طبطبطبلى
والرقص ارطب طبطبلى — والسقف سقسقسقلى
شوواشاهوا شووا — على ورق سفرجلى
وغرد القمرى يصيح — من ملل فى مللى
فلو ترانى راكبا — على حمار اهزلى
يمشى على ثلاثة — كمشية العرنجلى
والناس ترجم جملى — فى السوق بالقلقللى
والكل كعكع كعكع — خلفى ومن حوليلى
لكن مشيت هاربا — من خشية العقنقلى
الى لقاء ملك — معظم مبجلى
يأمرلى بخلعة — حمراء كالدمردملى
اجر فيها ماشيا — مبغددا للذيل
انا الاديب الالمعى — من حى ارض الموصلى
نظمت قطعا زخرفت — تعجز الادبلى
اقول فى مطلعها — صوت صفير البلبلى

(قال الراوى) فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر الى المملوك والى الجارية فلم يحفظها احد منهما فقال يا اخا العرب هات الذى هى مكتوبة فيه نعطك زنته

فقال

فقال يا مولاى انى لم اجد ورقا اكتب فيه وكان عندى قطعة عمود من رخام من عهد ابى وهى ملقاة ليس لى بها حاجة فنقشتها فيه فلم يسع الخليفة الا انه اعطاه وزنها ذهبا فنفد ما فى خزينته من المال فاخذه وانصرف فلما ولى قال الخليفة يغلب على ظنى ان هذا الاصمعى فاحضره وكشف عن وجهه فاذا هو الاصمعى فتعجب منه ومن صنيعه واجازه على عادته ثم قال يا امير المؤمنين ان الشعراء فقراء واصحاب عيال وانت تمنعهم العطاء بشدة فهمك وفهم هذا المملوك وهذه الجارية فاذا اعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك انتهى والله اعلم وذكر الغزالى وابن بليان وغيرهما ان اباجعفر المنصور حج ونزل فى دار الندوة وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف اذ سمع قائلا يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فهرول المنصور فى مشيته حتى ملأ سمعه ثم رجع الى دار الندوة وقال لصاحب شرطته ان بالبيت رجلا يطوف فائتنى به فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليمانى فقال اجب امير المؤمنين فلما دخل عليه قال ما الذى سمعتك آنفا تشكو الى الله من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما امرضنى فقال له يا امير المؤمنين ان الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق واهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا انت هو فقال له المنصور ويحك كيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء ببابى وملك الارض فى قبضتى فقال الرجل سبحان الله يا امير المؤمنين هل دخل احدا من الطمع ما دخلك استرعاك الله امور المؤمنين واموالهم فاهملت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبين رعيتك حجابا من الجص والآجر وحجبة معهم السلاح وامرت ان لا يدخل عليك الا فلان وفلان نفرا استخلصتهم لنفسك وامرتهم على رعيتك ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الجائع ولا العارى ولا احد الا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الاموال ولا تقسمها قالوا هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه فاجمعوا على ان لا يصل اليك من اموال الناس

الا ما اراد و انصار هؤلاء شركاءك فی سلطانك وانت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم الی بابك وجدك او قفت رجلا ينظر فی مظالم الناس فان كان الظالم من بطانتك علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوّف من وقت الی وقت فاذا اجتهد وظهرت انت صرخ بين يديك فضربه اعوانك ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وانت ترى ذلك ولا تنكر ولقد كانت الخلفاء قبلك من بنی امية اذا اتت اليهم الظلامة ازيلت فی الحال ولقد كنت اسافر الصين يا امير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك الذی به قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك ايها الملك لا ابكى الله لك عينا الا من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بی وانما ابكی لمظلوم يصرخ بالباب فلا اسمعه ثم قال ان كان سمعی ذهب فان بصری لم يذهب نادوا فی الناس لا يلبس احد ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرفی النهار ويدور فی البلد لعله يجد احدا لابسا ثوبا احمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا يا امير المؤمنين رجل مشرك غلبت عليه رأفته على شح نفسه بالمشركين وانت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا امير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحدى ثلاث ان قلت انما اجمع المال لمصالح الملك فقد اراك الله عبرة فی الملوك والقرون من قبلك ما اغنى عنهم ما اعدوا من الاموال والرجال والكراع حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما اجمع للولد فقد اراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئا بل ربما مات فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما اجمعه لغاية هی اجسم من الغاية التی انت فيها فوالله ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم قال وكيف اعمل وقد فرت منی العباد ولم تقربنی والصالحون ولم يدخلوا علی فقال يا امير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر المظلوم وخذ المال مما حل وطاب واقسم بالحق والعدل وانا ضامن من هرب ان يعود اليك فقال المنصور نفعل ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فأذن للصلاة فقام وصلى فلما انقضى صلاته طلب الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة علی بالرجل الساعة فخرج يتطلبه فوجده عند

الركن ٥

الركن اليمانى فقال له اجب امير المؤمنين فقال ليس الى ذلك من سبيل فقال اذن
يضرب عنقى فقال ولا الى ضرب رقبتك من سبيل ثم اخرج من مزود كان معه
رقا مكتوبا فقال له خذه فان فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات
شهيدا ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا
فاخذه صاحب الشرطة واتى به المنصور فلما رآه قال له ويلك او تحسن السحر قال لا
والله يا امير المؤمنين ثم قص عليه القصة فامر المنصور بنقله وامر له بالف دينار وهو
هذا اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت
بما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية
عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى
سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم وغم
اصبحت او امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى
وسترك على قبيح عملى اطمعنى ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك آمنا
واسألك مستأنسا فانك انت المحسن الى وانا المسئ الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد
الى بالنعم واتبغض اليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فجد
بفضلك واحسانك على انك انت الرؤف الرحيم انتهى من حياة الحيوان (و
حدث عبد الله البلتاجى) قال دخل ابن ابى ليلى على ابى جعفر المنصور
وكان ابن ابى ليلى قاضيا فقال ابو جعفر ان القاضى قد يرد عليه من طرائف الناس
ونوادرهم امور فان كان ورد عليك شئ فحدثنيه فقد طال على يومى قال والله
يا امير المؤمنين قد ورد على منذ ثلاثة ايام امر ما ورد على مثله اتتنى عجوز تكاد ان تنال
الارض بوجهها او تسقط من انحنائها فقالت انا بالله وبالقاضى ان يأخذ لى بحقى و
ان يعيننى على خصمى قلت ومن خصمك قالت ابنة اخ لى فدعوت بها فجاءت امرأة
ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهبت العجوز تتظلم فقالت الشابة اصلح الله القاضى
امرها فلتسكت حتى اتكلم بحجتى وحجتها فان لحنت بشئ فلترد على فان اذنت لى اسفرت

فقالت العجوز ان اسفرت فضيت لها فقلت لها اسفري فاسفرت عن وجه والله ماظننت
انه يكون مثله الا في الجنة فقالت اصلح الله القاضي هذه عمتي مات والدي وتركني
يتيمة في حجرها فربتني فاحسنت التربية حتى اذا بلغت مبلغ النساء قالت لي يا بنت
اخي هل لك في التزويج قلت ما اكره ذلك يا عمة قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه
اهل الكوفة فلم ترض الا رجلا صيرفيا فتزوجني فكنا كانا ريحانتان مايظن ان الله
خلق غيرنا وما اظن ان الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح علي بما رزقه الله تعالى
فلما رات العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك وكانت لها ابنة فشوقتها
وهيأتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها فقال يا عمة هل لك ان تزوجيني
ابنتك قالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط قالت تصير امر ابنة اخي الى قال قد صيرت
امرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة وزوجت ابنتها من زوجي فكان
يغدو عليها ويروح فقلت لها يا عمتي اتأذنين لي ان انتقل عنك قالت نعم فانتقلت
عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال مالي لا ارى ربيبتنا
قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا ان نعزيها بمصيبتها
فلما بلغني مجيئه الي تهيأت له وتشوفت فلما دخل علي عزاني بمصيبتي ثم قال ان فيك
بقية من الشباب فهل لك ان اتزوج بك قلت ما اكره ذلك ولكن على شرط قال لي
وما الشرط قلت تصير امر عمتي بيدي قال فاني قد فعلت وصيرت امرها بيدك قلت
فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة قالت فقدم علي بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم
فاقام عندي ما اقام ثم انه اغتسل وتوفي فلما انقضت عدتي جاء زوجي الاول الصيرفي
يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت وتشوفت له فلما دخل علي قال لي يا فلانة
انك لتعلمين انك كنت اعز الناس علي واحبهم الي وقد حلت المراجعة فهل لك
في ذلك قلت ما اكره ذلك ولكن اجعل امر ابنة عمتي بيدي قال فاني قد فعلت
قلت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة اصلح الله القاضي فرجعت الى زوجي فما اعتدائي
عليها فقالت العجوز انا فعلت مرة وفعلت هي مرة بعد اخرى فقالت ان الله وقت

فى هذا وقتا وقد قال ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله
فواحدة بواحدة والبادى اظلم فقال القاضى ان زوج العمة لم يكن له ان يتزوج
ابنة اخيها وهى فى عدته فارادت العجوز ان تتولى التفريق بينه وبينها استيفاء لها او
مجازاة لها على فعلها فقلت لها قد فرقت بينكما قومى الى منزلك انتهى وذكر
المنصور يوما فى مجلسه زوال ملك بنى امية وما جرى عليهم وانهم عاشوا سعداء
وماتوا فقراء فقال له اسماعيل بن على الهاشمى ان عبد الله بن مروان بن محمد فى حبسك
وله قصة مع ملك النوبة فاحضره واسأله عنها فاحضره فقال السلام عليك يا امير
المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المنصور رد السلام امن ولم تسمح نفسى بذلك
ولكن اقعد فقعد فقال ما قصتك مع ملك النوبة فقال يا امير المؤمنين كنت
ولى عهد ابى فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلمانى ودفنت لكل واحد الف دينار
واوسقت خمس بغال وشددت فى وسطى جوهر الدقيقة عظيمة وخرجت هاربا
الى بلاد النوبة فلما اقربنا بعثت غلاما لى فقلت امض الى هذا الملك واقرئه السلام
وخذ لنا منه الامان وابتغ لنا ميرة فمضى وابطأ حتى اسات به الظن ثم اقبل ومعه
رجل فدخل وسلم وقال الملك يقرئك السلام ويقول لك من انت وما جاء بك الى
بلادى امحارب ام راغب فى دينى ام مستجير بى فقلت له رد على الملك وقل له ما
انا بمحارب ولا راغب فى دينك ولا ممن يبتغى بدينه بدلا بل مستجير به فذهب
الرسول ورجع الى وقال الملك يقول لك انى اجئ اليك غدا فلا تحدث نفسك
حدثا ولا شيئا من الميرة فقلت لاصحابى افرشوا الفرش ففرش لى وجلست من الغد
ارقبه واذا هو قد اقبل وعليه بردان قد اتزر باحدهما وارتدى بالآخر حافى الرجلين
ومعه عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت امره وسولت
لى نفسى قتله فلما قرب اذا سواد عظيم قلت ما هذا قالوا الخيل فوافى بها عشرة
آلاف عنان ووافت الخيل عند دخوله فاحدقوا بنا فلما دخل جلس على الارض
قال فقلت لترجمانه لم لم يقعد على الموضع الذى وطئ له فسأله فقال قل له انه

ملك وكل ملك حقه ان يكون متواضعا لله وعظمته اذ رفعه الله على عباده ثم
نكث باصبعه الارض طويلا ورفع راسه وقال فلم كيف سلبتم هذا الملك
فاخذ منكم وانتم اقرب الناس الى نبيكم فقلت جاء من هو اقرب منا قرابة اليه
فسلبنا وغلبنا وطردنا فخرجت اليك مستجيرا بالله ثم بك قال فلم كنتم تشربون
الخمر وهو محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا فى ديننا وفى ملكنا
من غير راينا قال فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة
وهى محرمة عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا و فى ملكنا
بغير رايبنا قال فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتم على القرى وكلفتم اهلها ما لا طاقة
لهم به بالضرب والاهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تخطوا زرعهم فى طلب دراج قيمته
نصف درهم والتكاليف والعناء محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد وغلمان واتباع
قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم واتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم الله العز
والبسكم الذل ونصر اعداءكم عليكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد وانى اخاف
ان ينزل بك النقمة اذا كنت من الظلمة فتشملنى معك فان النقمة اذا نزلت شملت
فاخرج بعد ثلاث فان وجدتك بعدها اخذت ما معك وقتلتك ومن معك
ثم وثب قائما وخرج واقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فاخذنى عاملك وبعث بى
اليك وها انا ذا والموت احب الى من الحياة فرق له المنصور وهم باطلاقه فقال
له اسمعيل بن على فى عنقى بيعة هذا قال فما ترى قال ينزل فى دار من دورنا و
يجرى عليه ما يجرى على مثله ففعل به ذلك انتهى وخطب المنصور يوما بالشام
فقال ايها الناس ينبغى لكم ان تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله فى زمانى منذ
وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذى كان يجيئكم فقال له اعرابى ان الله اكرم من
ان يجمع علينا انت والطاعون ودخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه فقال له
المنصور سل حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة انه اذا وجدنى سكران
لا يحدنى فقال له المنصور هذا حد لا سبيل الى تركه فقال مالى حاجة غيرها

فقال

فقال لكتابته اكتب الى عاملنا بالمدينة من اتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلد الذي جاء به مائة فكان الشرطة يمرون عليه وهو سكران ويقولون من يشتري ثمانين بمائة فيمرون عليه ويتركونه انتهى (وحدث) احمد بن موسى قال ما رايت رجلا اثبت جنانا ولا احسن معرفة ولا اظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بان عنده اموالا لبني امية فامر المنصور حاجبه الربيع ان يحضره فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا ان عندك ودائع واموالا وسلاحا لبني امية فاخرجها لنا لنجمع ذلك الى بيت المال فقال الرجل يا امير المؤمنين انت وارث لبني امية قال لا قال فلم تسأل اذن عما في يدي من اموال بني امية ولست بوارثهم ولا وصي فاطرق المنصور ساعة ثم قال ان بني امية ظلموا الناس وغصبوا اموال المسلمين فقال الرجل يحتاج امير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم تشهد ان المال الذي لبني امية هو الذي في يدي وانه هو الذي غصبوه من الناس وان امير المؤمنين يعلم ان بني امية كانت لهم اموال لانفسهم غير اموال المسلمين التي اغتصبوها على ما ينهم امير المؤمنين قال فسكت المنصور ساعة ثم قال يا ربيع صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شئ ثم قال للرجل ألك حاجة قال نعم قال ما هي قال ان تجمع بيني وبين من سعى بي اليك فوالله يا امير المؤمنين ما لبني امية عندي مال ولا سلاح وانما احضرت بين يديك وعلمت ما انت فيه من العدل والانصاف واتباع الحق واجتناب المظالم فايقنت ان الكلام الذي صدر مني هو انجح واصلح لما سألتني عنه فقال المنصور يا ربيع اجمع بينه وبين الذي سعى به فجمع بينهما فقال يا امير المؤمنين هذا اخذ لي خمسمائة دينار وهرب ولي عليه مسطور شرعي فسأل المنصور الرجل فاقر بالمال قال فما حملك على السعي كاذبا قال اردت قتله ليخلص لي المال فقال الرجل قد وهبتها له يا امير المؤمنين لاجل وقوفي بين يديك وحضوري مجلسك ووهبته خمسمائة دينار اخرى لكلامك لي فاستحسن المنصور فعله واكرمه ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول ما

رایت مثل هذا الشیخ قط ولا اثبت من جنانه ولا من حججی مثله ولا رایت مثل حلمه ومروته انتهی

خلافة المهدی

اسمه محمد بن المنصور (حدثنا) داؤد بن رشید قال قلت للهیثم بن علی بای شئ استحق سعید بن عبد الرحمن ان ولاه المهدی القضاء وانه له منه تلك المنزلة الرفیعة فقال ان خبره باتصاله بالمهدی ظریف فان احببت شرحته لك قلت واللّٰه قد احببت قال اعلم انه فی الربیع الحاجب حین افضت الخلافة الی المهدی وقال له استأذن لی علی امیر المؤمنین فقال له من انت وما حاجتك قال انا رجل قد رایت لامیر المؤمنین اعزه اللّٰه رؤیا صالحة وقد احببت ان تذکرنی له فقال الربیع یا هذا ان القوم لا یصدقون فیما یرونه لانفسهم فکیف بما یراه لهم غیرهم فاحتل بحیلة غیر هذه فقال له ان لم تخبره بمکانی سألت من یوصلنی الیه واخبره انی سألتك الاذن لی علیه فلم تفعل فدخل الربیع علی المهدی فقال له یا امیر المؤمنین انکم قد اطمعتم الناس فی انفسکم فقد احتالوا علیکم بکل ضرب فقال له المهدی هکذا تصنع الملوك فماذا قال رجل بالباب یزعم انه رأی لامیر المؤمنین ایده اللّٰه رؤیا حسنة وقد احب ان یقصها علیك فقال المهدی یا ربیع انی واللّٰه اری الرؤیا لنفسی فلا تصح لی فکیف یمکن ادعاؤها من لعله قد افتعلها قال واللّٰه قلت له مثل هذا فلم یقبل قال هات الرجل قال فادخل علیه سعید وکان له رؤیا وجمال ومروة ظاهرة ولحیة عظیمة ولسان طلق فقال له ما رایت بارك اللّٰه فیك قال رایت یا امیر المؤمنین آتیا اتانی فی منامی فقال اخبر امیر المؤمنین انه یعیش ثلاثین سنة فی الخلافة وآیة ذلك انه یری فی لیلته الآتیة فی منامه کانه یقلب یواقیت ثم یعدها فیجدهم ثلاثین یاقوتة کانها قد وهبت له فقال المهدی ما احسن ما رایت ونحن نمتحن رؤیاك فی لیلتنا المقبلة علی ما اخبرتنا فان کان الامر علی ما ذکرت اعطیناك فوق ما ترید وان کان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا ان الرؤیا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال سعید یا امیر المؤمنین فماذا اصنع انا الساعة

اذا صرت منزلی وعیالی واخبرتهم انی کنت عند امیر المؤمنین اکرمه الله
ثم رجعت صفر الید فقال له المهدی فکیف نعمل فقال یعجل لی امیر المؤمنین
اعزه الله تعالی ما احب واحلف له بالطلاق انی قد صدقت فامر له بعشرة
آلاف درهم وأمر بان یؤخذ له کفیل لیحضر من غد ذلک الیوم فقبض المال
وقال له من یکفلک فمد عینیه الی خادم حسن الوجه والزی وقال هذا یکفلنی
فقال له المهدی اتکفله یا غلام فاحمر وخجل وقال نعم یا امیر المؤمنین فکفله
وانصرف سعید بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما کانت تلک اللیلة
رأی المهدی ما ذکره له سعید حرفا بحرف واصبح سعید فوافی الباب واستأذن
فأذن له فلما وقعت عین المهدی علیه قال له این مصداق ما قلت لنا علیه
فقال له سعید وما رأی امیر المؤمنین فتلجلج فی جوابه فقال له امرأتی
طالق ان لم تکن رایت شیئا قال له المهدی ما اجراک علی هذا الحلف بالطلاق
فقال لانی احلف علی صدق قال له المهدی فقد والله رایت ذلک مبینا
فقال له سعید الله اکبر فانجز لی یا امیر المؤمنین ما وعدتنی قال حبا وکرامة
ثم امر له بثلاثة آلاف دینار وعشرة تخوت ثیاب من کل صنف وثلاثة مراکب
من انفس دوابه محلاة فاخذ ذلک وانصرف فلحق به الخادم الذی کان
کفله وقال له سالتک بالله هل لهذه الرؤیا من اصل فقال سعید لا والله فقال
الخادم کیف وقد رأی امیر المؤمنین ما ذکرته قال هذا من المخاریف التی لا اب
لها وذلک لما القیت له هذا الکلام خطر بباله وحدث به نفسه واسر به قلبه
واشتغل به فکره ففی ساعة نام خیل له ما حل فی قلبه واشتغل به فکره فنام
فرآه فقال له الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقة واحدة وبقیت معی علی
ثنتین وازید مهرها عشرة دراهم واحصل علی عشرة آلاف درهم وثلاثة
آلاف دینار وعشر تخوت من اصناف الثیاب وثلاثة مراکب فاوهة فبهت الخادم
وتعجب من ذلک فقال له سعید قد اصدقتک وجعلت ذلک مکافاتک علی

كفالتك فاستنزعلى ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظى عنده وقلده القضا على العسكر فلم يزل حتى مات انتهى (ويحكى) ان المهدى خرج يتصيد فغاربه فرسه حتى دخل الى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى قال نعم فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه قعبا فلما شرب قال يا اخا العرب اتدرى من انا قال لا والله قال انا من خدم امير المؤمنين الخاصة قال له بارك الله فى موضعك ثم سقاه قعبا آخر فشربه فقال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكنى امير المؤمنين فاخذ الاعرابى الركوة واوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه واحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال انتهى (وقيل) كان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد واعتدالها وكانت بنت ستة عشر سنة قال فتلاعب عليها ابو نواس لينيلها فمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من نواحى القصر فمسكها فبكت وقالت الموت دون ذلك فقال ابو نواس فى نفسه هذا جزع الابكار فتركها مدة فاتفق له انه خرج من القصر ليلة وقد رفرق الدجى فوجدها نائمة سكرانة فتقرب منها وحل سراويل من وسطها ودهمها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن انه يكون اتاها ادم فلم يجد وقام عنها وندم على ما كان منه واخذ يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر	سرقت الحذين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها	طويلا وملحب الكواعب من امرى

فمازلت بالاشعار حتى خدعتها · وو وضتها والشعر من خدع السحر
الطالها شيئا فقالت بعبرة · اموت به داء وودمعها يجرى
فلما تعانقنا توسطت لجة · غرقت بها يا قوم فى لجج البحر
فصحت اغثنى يا غلام فجاءلى · وقد زلقت رجلى ورحت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه · تداركنى بالحبل رحت الى القعر
فاقسمت عمرى لا ركبت سفينة · ولا سرت طول الدهر الا على الظهر

(حكاية اجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرايت مجنونا فيه فلم ار قط أظرف منه ولا احسن شيا وبيده الواحدة (على صدره فلما دنوت منه انشأ يقول)

الله يعلم اننى كمد · لا استطيع ابث ما اجد
روحان لى روح تملكها · بلد واخرى حازها بلد
وارى القيامة ليس ينفعها · صبر وليس لمثلها جلد
واظن طاعتى كشاهدتى · بمكانها تجد الذى اجد

فقلت احسنت والله لله درك يا مجنون فاهوى بشىء يرمينى به فبعدت عنه فقال لى اشدتك ما تحبه واستحسنته وتقول لى يا مجنون وتكون مع الزمان على فقلت له اخطأت فقال اذن اعترفت بخطائك ثم قال انشد لى شعرا (ايضا فقلت نعم فانشأ يقول)

ما اقتل البين للمحب وما · اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسى على البلاء لقد · اسرع فى مهجتى وفى كبدى
ياحسرة ان ابيت معتقلا · بين اعتلاج الهموم والسهد

(فقلت احسنت والله زدنا فقال)

ان فتشونى فمحرق الكبد · او كشفونى فناحل الجسد
اضعف ما بى وزادنى الما · ان لست اشكو النوى الى احد

الا ما اراد وافصار هؤلاء شركاءك في سلطانك وانت غافل عنهم د
الى بابك وجدك او قفت رجلا ينظر في مظالم الناس فان كان الظالم
على صاحب المظالم بالمظلوم وسوف من وقت الى وقت فاذا اجتهد
صرخ بين يديك فضربه اعوانك ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وانت
لا تنكر ولقد كانت الخلفاء قبلك من بني امية اذا اتت اليهم الظلامة از
ولقد كنت اسافر الصين يا امير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك
قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك ايها الملك لا ابكى الله لك
من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي وانما ابكي لمظلوم يصرخ با
فلا اسمعه ثم قال ان كان سمعي ذهب فان بصري لم يذهب نادوا في الناس لا
احد ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرفي النهار ويدور في البلد لعله
لابسا ثوبا احمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا يا امير المؤمنين رجل مشرك غلبت
رأفته على شح نفسه بالمشركين وانت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا امير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحدى ثلاث ان قلت انما اجمع المال
لمصالح الملك فقد اراك الله عبرة في الملوك والقرون من قبلك ما اغنى عنهم ما اعدوا من
الاموال والرجال والكراع حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما اجمع للولد فقد
اراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئا بل ربما مات
فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما اجمعه لغاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله
ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم
قال وكيف اعمل وقد فرت مني العباد ولم تقربني والناصحون ولم يدخلوا علي فقال
يا امير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ المال مما حل وطاب
واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن من هرب ان يعود اليك فقال المنصور نفعل
ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فأذن للصلاة فقام وصلى فلما اقضى صلاته طلب
الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة علي بالرجل الساعة فخرج يتطلبه فوجده عند

به ثم بغى عليه لينصرنه الله
ج العمة لم يكن له ان يتزوج
بينه وبينها استيفاء لها و
الى منزلك انتهى و ذكر
عليهم وانهم عاشوا سعدا
مروان بن محمد في جيش
السلام عليك يا امير
ولم تسمح نفسي بذلك
امير المؤمنين كنت
واحد الف دينار
وخرجت هاربا
واقرئه السلام
ثم اقبل ومعه
بك الى
له ما
عب
ك

فقالت العجوز ان اسفرت قضيت لها فقلت لها اسفري فاسفرت عن وجه والله ما ظننت
انه يكون مثله الا في الجنة فقالت اصلح الله القاضي هذه عمتي مات والدي وتركني
يتيمة في حجرها فربتني فاحسنت التربية حتى اذا بلغت مبلغ النساء قالت لي يا بنت
اخي هل لك في التزويج قلت ما اكره ذلك يا عمة قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه
اهل الكوفة فلم ترض الا رجلا صيرفيا فتزوجني فكنا كانا ريحانتان ما يظن ان الله
خلق غيري وما اظن ان الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح على بما رزقه الله تعالى
فلما رات العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك وكانت لها ابنة فشوقتها
وهيأتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها فقال يا عمة هل لك ان تزوجيني
ابنتك قالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط قالت تصير امر ابنة اخي الي قال قد صيرت
امرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا بتة وزوجت ابنتها من زوجي فكان
يغدو عليها ويروح فقلت لها يا عمتي اتاذنين لي ان انتقل عنك قالت نعم فانتقلت
عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال ما لي لا ارى ربيبتنا
قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا ان نعزيها بمصيبتها
فلما بلغني مجيئه الي تهيأت له وتشوفت فلما دخل علي عزاني بمصيبتي ثم قال ان فيك
بقية من الشباب فهل لك ان اتزوج بك قلت ما اكره ذلك ولكن على شرط قال لي
وما الشرط قلت تصير امر عمتي بيدي قال فاني قد فعلت وصيرت امرها بيدك قلت
فاني قد طلقتها ثلاثا بتة قالت فقدم علي بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم
فاقام عندي ما اقام ثم انه اغتسل وتوفي فلما انقضت عدتي جاء زوجي الاول الصيرفي
يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت وتشوفت له فلما دخل علي قال لي يا فلانة
انك لتعلمين انك كنت اعز الناس علي واحبهم الي وقد حلت المراجعة فهل لك
في ذلك قلت ما اكره ذلك ولكن اجعل امر ابنة عمتي بيدي قال فاني قد فعلت
قلت فاني قد طلقتها ثلاثا بتة اصلح الله القاضي فرجعت الى زوجي فما اعتدائي
عليها فقالت العجوز انا فعلت مرة وفعلت هي مرة بعد اخرى فقالت ان الله وقت

فى هذا و قتا و قد اتكل و من عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله
فواحدة بواحدة والبادى اظلم فقال القاضى ان زوج العمة لم يكن له ان يتزوج
ابنة اخيها وهى فى مدته فارادت العجوز ان تتولى التفريق بينه وبينها استيفاء لها و
مجازاة لها على فعلها فقلت لها قد فرقت بينكما قومى الى منزلك انتهى و ذكر
المنصور يوما فى مجلسه زوال ملك بنى امية وما جرى عليهم وانهم عاشوا سعداء
وماتوا فقراء فقال له اسماعيل بن على الهاشمى ان عبدالله بن مروان بن محمد فى حبسك
وله قصة مع ملك النوبة فاحضره واسأله عنها فاحضره فقال السلام عليك يا امير
المؤمنين و رحمة الله وبركاته فقال المنصور رد السلام امن ولم تسمح نفسى بذلك
ولكن اقعد فقعد فقال ما قصتك مع ملك النوبة فقال يا امير المؤمنين كنت
ولى عهد ابى فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلمانى و دفنت لكل واحد الف دينار
واوسقت خمس بغال و شددت فى وسطى جوهر الدقيقة عظيمة وخرجت هاربا
الى بلاد النوبة فلما اقربنا بعثت غلاما لى فقلت امض الى هذا الملك واقرئه السلام
وخذ لنا منه الامان وابتغ لنا ميرة فمضى وابطأ حتى اسات به الظن ثم اقبل ومعه
رجل فدخل وسلم وقال الملك يقرئك السلام ويقول لك من انت وما جاء بك الى
بلادى امحارب ام راغب فى دينى ام مستجير بى فقلت له رد على الملك وقل له ما
انا بمحارب ولا راغب فى دينك ولا ممن يبتغى بدينه بدلا بل مستجير به فذهب
الرسول ورجع الى وقال الملك يقول لك انى اجىء اليك غدا فلا تحدث نفسك
حدثا ولا شيئا من الميرة فقلت لاصحابى افرشوا الفرش ففرش لى وجلست من الغد
ارقبه واذا هو قد اقبل وعليه بردان قد ائتزر باحدهما وارتدى بالآخر حافى الرجلين
ومعه عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت امره وسولت
لى نفسى قتله فلما قرب اذا سواد عظيم قلت ما هذا قالوا الخيل فوافى بها عشرة
آلاف عنان ووافت الخيل عند دخوله فاحدقوا بنا فلما دخل جلس على الارض
قال فقلت لترجمانه لم لم يقعد على الموضع الذى وطىء له فسأله فقال قل له انه

ملك وكل ملك حقه ان يكون متواضعا لله وعظمته اذ رفعه الله على عباده ثم نكث باصبعه الارض طويلا ورفع راسه وقال فقل لي كيف سلبتم هذا الملك فاخذ منكم وانتم اقرب الناس الى نبيكم فقلت جاء من هو اقرب منا قرابة اليه فسلبنا وغلبنا وطردنا فخرجت اليك مستجيرا بالله ثم بك قال فلم كنتم تشربون الخمر وهو محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا من غير رأينا قال فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة وهي محرمة عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا بغير رأينا قال فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتم على القرى وكلفتم اهلها ما لا طاقة لهم به بالضرب والاهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تخطوا زرعهم في طلب دراج قيمته نصف درهم والتكليف والعناء محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد وغلمان واتباع قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم واتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم الله العز والبسكم الذل ونصر اعداءكم عليكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد واني اخاف ان ينزل بك النقمة اذا كنت من الظلمة فتشملني معك فان النقمة اذا نزلت شملت فاخرج بعد ثلاث فان وجدتك بعدها اخذت ما معك وقتلتك ومن معك ثم وثب قائما وخرج واقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فاخذني عاملك وبعث بي اليك وها انا ذا والموت احب الي من الحياة فرق له المنصور وهم باطلاقه فقال له اسمعيل بن علي في عنقي تبعة هذا قال فما ترى قال ينزل في دار من دورنا ويجري عليه ما يجري على مثله ففعل به ذلك انتهى وخطب المنصور يوما بالشام فقال ايها الناس ينبغي لكم ان تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله في زماني منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم فقال له اعرابي ان الله اكرم من ان يجمع علينا انت والطاعون ودخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه فقال له المنصور سل حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة انه اذا وجدني سكران لا يحدني فقال له المنصور هذا حد لا سبيل الى تركه فقال ما لي حاجة غيرها

فقال

فقال لكتابته اكتب الى عاملنا بالمدينة من اتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلد الذى جاء به مائة فكان الشرطة يمرون عليه وهو سكران ويقولون من يشترى ثمانين بمائة فيمرون عليه ويتركونه انتهى (وحدث) احمد بن موسى قال ما رايت رجلا اثبت جنانا ولا احسن معرفة ولا اظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بان عنده اموالا لبنى امية فامر المنصور حاجبه الربيع ان يحضره فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا ان عندك ودائع واموالا وسلاحا لبنى امية فاخرجها لنا لنجمع ذلك الى بيت المال فقال الرجل يا امير المؤمنين انت وارث لبنى امية قال لا قال فلم تسأل اذن عما فى يدى من اموال بنى امية ولست بوارث لهم ولا وصى فاطرق المنصور ساعة ثم قال ان بنى امية ظلموا الناس وغصبوا اموال المسلمين فقال الرجل يحتاج امير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم تشهد ان المال الذى لبنى امية هو الذى فى يدى وانه هو الذى غصبوه من الناس وان امير المؤمنين يعلم ان بنى امية كانت لهم اموال لانفسهم غير اموال المسلمين التى اغتصبوها على مايتهم امير المؤمنين قال فسكت المنصور ساعة ثم قال يا ربيع صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شئ ثم قال للرجل ألك حاجة قال نعم قال ما هى قال ان تجمع بينى وبين من سعى فى اليك فوالله يا امير المؤمنين ما لبنى امية عندى مال ولا سلاح وانما احضرت بين يديك وعلمت ما انت فيه من العدل والانصاف واتباع الحق واجتناب المظالم فايقنت ان الكلام الذى صدر منى هو انجح واصلح لما سألتنى عنه فقال المنصور يا ربيع اجمع بينه وبين الذى سعى به فجمع بينهما فقال يا امير المؤمنين هذا اخذ لى خمسمائة دينار وهرب ولى عليه مسطور شرعى فسأل المنصور الرجل فاقر بالمال قال فما حملك على السعى كاذبا قال اردت قتله ليخلص لى المال فقال الرجل قد وهبتها له يا امير المؤمنين لاجل وقوفى بين يديك وحضورى مجلسك ووهبته خمسمائة دينار اخرى لكلامك لى فاستحسن المنصور فعله واكرمه ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول ما

دایت مثل هذا الشیخ قط ولا اثبت من جنانه ولا من حجتی مثله ولا رایت مثل حلمه ومروته اشهو

خلافة المهدی

اسمه محمد بن المنصور (حدثنا) داؤد بن رشید قال قلت للهیثم بن علی بای شئ
استحق سعید بن عبد الرحمن ان ولاه المهدی القضاء وانزله منه تلک المنزلة الرفیعه
فقال ان خبره باتصاله بالمهدی ظریف فان احببت شرحته لک قلت والله قد
احببت قال اعلم انه فی الربیع الحاجب حین افضت الخلافة الی المهدی وقال له
استأذن لی علی امیر المؤمنین فقال له من انت وما حاجتک قال انا رجل قد رایت
لامیر المؤمنین اعزه الله رؤیا صالحة وقد احببت ان تذکرنی له فقال الربیع یا هذا
ان القوم لایصدقون فیما یرونه لانفسهم فکیف بما یراه لهم غیرهم فاحتل بحیلة
غیر هذه فقال له ان لم تخبره بمکانی سألت من یوصلنی الیه واخبره انی سألتک
الاذن لی علیه فلم تفعل فدخل الربیع علی المهدی فقال له یا امیر المؤمنین انکم
قد اطمعتم الناس فی انفسکم فقد احتالوا علیکم بکل ضرب فقال له المهدی هکذا
تصنع الملوک فماذا قال رجل بالباب یزعم انه رأی لامیر المؤمنین ایده الله رؤیا
حسنة وقد احب ان یقصها علیک فقال المهدی یا ربیع انی والله اری الرؤیا
لنفسی فلا تصح لی فکیف یمکن ادعاؤها من لعله قد افتعلها قال والله قلت له
مثل هذا فلم یقبل قال هات الرجل قال فادخل علیه سعید وکان له رؤیا وجمال
ومروة ظاهرة ولحیة عظیمة ولسان طلق فقال له ما رایت بارک الله فیک قال رایت
یا امیر المؤمنین آتیا اتانی فی منامی فقال اخبر امیر المؤمنین انه یعیش ثلاثین سنة
فی الخلافة وآیة ذلک انه یری فی لیلته الآتیة فی منامه کانه یقلب یواقیت ثم یعدها
فیجدهم ثلاثین یاقوتة کانها قد وهبت له فقال المهدی ما احسن ما رایت ونحن
نمتحن رؤیاک فی لیلتنا المقبلة علی ما اخبرتنا فان کان الامر علی ما ذکرت اعطیناک
فوق ما ترید وان کان الامر بخلاف ذلک لم نعاقبک لعلمنا ان الرؤیا الصالحة
ربما صدقت وربما اختلفت قال سعید یا امیر المؤمنین فماذا اصنع انا الساعة

اذا صرت منزلى وعيالى واخبرتهم انى كنت عند امير المؤمنين اكرمه الله
ثم رجعت صفر اليد فقال له المهدى فكيف نعمل فقال يعجل لى امير المؤمنين
اعزه الله تعالى ما احب واحلف له بالطلاق انى قد صدقت فامر له بعشرة
آلاف درهم وأمر بان يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال
وقال له من يكفلك فمد عينيه الى خادم حسن الوجه والزى وقال هذا يكفلنى
فقال له المهدى اتكفله يا غلام فاحمر وخجل وقال نعم يا امير المؤمنين فكفله
وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليلة
رأى المهدى ما ذكره له سعيد حرفا بحرف واصبح سعيد فوافى الباب واستأذن
فأذن له فلما وقعت عين المهدى عليه قال له اين مصداق ما قلت لنا عليه
فقال له سعيد وما رأى امير المؤمنين فضجع فى جوابه فقال له امرأتى
طالق ان لم تكن رايت شيئا قال له المهدى ما اجرأك على هذا الحلف بالطلاق
فقال لانى احلف على صدق قال له المهدى فقد والله رايت ذلك مبينا
فقال له سعيد الله اكبر فانجز لى يا امير المؤمنين ما وعدتنى قال حبا وكرامة
ثم امر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب
من انفس دوابه محلاة فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذى كان
كفله وقال له سالتك بالله هل لهذه الرؤيا من اصل فقال سعيد لا والله فقال
الخادم كيف وقد رأى امير المؤمنين ما ذكرته قال هذا من المخاريق التى لا اب
لها وذلك لما القيت له هذا الكلام خطر بباله وحدث به نفسه واسر به قلبه
واشتغل به فكره ففى ساعة نام خيل له ما حل فى قلبه واشتغل به فكره فنام
فرآه فقال له الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقة واحدة وبقيت معى على
ثنتين وازيد مهرها عشرة دراهم واحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة
آلاف دينار وعشر تخوت من اصناف الثياب وثلاثة مراكب فاوهت فبهت الخادم
وتعجب من ذلك فقال له سعيد قد اصدقتك وجعلت ذلك مكافاتك على

كفالتك فاستر على ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظى عنده وقلده القضاء على العسكر فلم يزل حتى مات انتهى (ويحكى) ان المهدى خرج يتصيد فعاربه فرسه حتى دخل الى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى قال نعم فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه قعبا فلما شرب قال يا اخا العرب اتدرى من انا قال لا والله قال انا من خدم امير المؤمنين الخاصة قال له بارك الله فى موضعك ثم سقاه قعبا آخر فشربه فقال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكنى امير المؤمنين فاخذ الاعرابى الركوة واوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه واحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال انتهى (وقيل) كان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكانت بنت سنة عشر سنة قال فتلاعب عليها ابو نواس لينيلها فمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من نواحى القصر فمسكها فبكت وقالت الموت دون ذلك فقال ابو نواس فى نفسه هذا جزع الابكار فتركها مدة فاتفق له انه خرج من القصر ليلة وقد رفرق الدجى فوجدها نائمة سكرانة فتقرب منها وحل سراويل من وسطها ودهمها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن انه يكون اتاها ادم فلم يجد وقام عنها وندم على

(ماكان منه واخذ يقول)

وناهدة الثديين من خدم القصر	مرفرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها	طويلا وملحب الكواعب من امرى

فماذك

فمازلت بالاشعار حتى خدعتها ... وروضتها والشعر من خدع السحر
الطالبها شيئاً فقالت بعبرة ... اموت به داء ودمعتها تجرى
فلما تعانقنا توسطت لجة ... غرقت بها يا قوم فى لجج البحر
فصحت اغثنى يا غلام فجاءنى ... وقد زلقت رجلى ورحت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه ... تداركنى بالحبل رحت الى القعر
فاقسمت عمرى لا ركبت سفينة ... ولا سرت طول الدهر الا على الظهر

(حكاية اجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرايت مجنوناً فيه فلم ار قط أظرف منه ولا احسن شياباً وبيده الواحدة على صدره فلما دنوت منه انشأ يقول

الله يعلم اننى كمد ... لا استطيع ابث ما اجد
روحان لى روح تملكها ... بلد واخرى حازها بلد
وارى القيامة ليس ينفعها ... صبر وليس لمثلها جلد
واظن غائبتى كشاهدتى ... بمكانها تجد الذى اجد

فقلت احسنت والله لله درك يا مجنون فاهوى بشئ يرمينى به فبعدت عنه فقال لى اشد تك ما تحبه واستحسنته وتقول لى يا مجنون وتكون مع الزمان على فقلت له اخطأت فقال اذن اعترفت بخطائك ثم قال انشد لى شعراً ايضاً فقلت نعم فانشأ يقول

ما اقتل البين للمحب وما ... اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسى على البلاء لقد ... اسرع فى مهجتى وفى كبدى
ياحسرة ان ابيت معتقلاً ... بين اعتلاج الهموم والسهد

فقلت احسنت والله زدنا فقال

ان قتلونى فحرق الكبد ... او كشفونى فناحل الجسد
اضعف ما بى وزادنى الما ... ان لست اشكو النوى الى احد

فقلت احسنت والله زدنا فقال يا فتى اراك كلما انشدتك بيتا قلت زدنا وما ذاك الا لمفارقة حبيب وخل اريب ثم قال احسبك ابا العباس المبرد بالله انت هو قلت انا ذلك فمن ابن عرفتني فقال وهل يخفى القمر ثم قال يا ابا العباس انشدني من شعرك شيئا تنتعش به روحي فانشدته فقلت

بكيت حتى بكى من رحمتي الطلل ... وبكائي بكت عيناي اذ رحلوا
يا منزل الحي اين الحي قد نزلوا ... نفسي تساق اذا ما سيقت الابل
انعم صباحا سقاك الله من طلل ... عينا وجاد عليك الوابل الهطل
سقيا لعهدهم والدار جامعة ... والشمل ملتئم والحبل متصل
فطال ما قد نعمنا والحبيب بها ... والدهر يبعد والواشون قد غفلوا
قد غير الدهر ما قد كنت اعرفه ... والدهر ذو دول بالناس ينتقل
بانوا فبان الذي قد كنت آمله ... والبين اعظم ما يبلى به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق ... والدمع منسكب والركب مرتحل
كان قلبي لما سار عيسهم ... صب به دنف او شارب ثمل
لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم ... وثوروها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجن ناظرها ... ترنو الي ودمع العين منهمل
يا حادي العيس عرج بي اودعهم ... يا حادي العيس في ترحالك الاجل
اني وحقك لا انسى مودتهم ... يا ليت شعري لطول العهد ما فعلوا

قال ابو العباس المبرد فلما اتممت شعري قال لي ما فعلوا قلت ماتوا فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فحركته فوجدته قد مات رحمة الله عليه انتهى

خلافة موسى الهادي ابن محمد

لم ار فيه شيئا ومن رأى فيه شيئا فليضعه قال بعض الفضلاء من حيث ان المؤلف امر بان من راى فيه شيئا فليضعه فرايت هذا النوع واليم مذكورا في تاريخ الاسحاقي فاحببت ذكره امتثالا لامره فقلت ذكر صاحب السكردان

ان الهادی کان یوما فی بستان یتنزه علی حمار ولا سلاح معه وبحضرته
جماعة من خواصه واهل بیته فدخل علیه حاجبه واخبره ان بالباب بعض
الخوارج له باس ومکاید وقد ظفر به بعض القواد فامر الهادی بادخاله فدخل
علیه بین رجلین قد قبضا علی یدیه فلما ابصر الخارجی الهادی جذب یدیه
من الرجلین واختطف سیف احدهما وقصد الهادی ففر کل من کان حوله وبقی
وحده وهو ثابت علی حماره حتی اذا دنا منه الخارجی وهم ان یعلوه بالسیف
اومأ الی وراء الخارجی واوهمه ان غلاما وراءه وقال یاغلام اضرب عنقه
فظن الخارجی ان غلاما وراءه فالتفت الخارجی فنزل الهادی مسرعا عن حماره
فقبض علی عنق الخارجی وذبحه بالسیف الذی کان معه ثم عاد الی ظهر حماره
من فوره واتباع الهادی ینظرون الیه ویتسللون علیه وقد ملئوا منه حیاء
ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فی ذلک بکلمة. ولم یفارق السلاح بعد ذلک الیوم
ولم یرکب الاجوادا من الخیل فانظر الی هذا المقدار فی ثبات جاش الملوک
فانه قل من یفعل ذلک وهذه مرتبة لم یصل الیها احد الا نادرا (حکی عن
عبد الحق) انه قال مما ابتلی به الهادی من المحبة انه کان مغرما بجاریة تسمی
غادرا وکانت من احسن النساء وجها واطیبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دینار
فبینما هو یشرب مع ندمائه اذ فکر ساعة وتغیر لونه وقطع الشراب فقیل له
ما بال امیر المؤمنین قال وقع فی قلبی انی اموت وان اخی هارون یلی الخلافة
ویتزوج غادرا فامضوا واتونی براسه ثم رجع عن ذلک وامر باحضاره وحکی
له ما خطر بباله فجعل هارون یترفق به فقال لا ارضی حتی تحلف لی بکل
ما احلفک به انی اذامت لا تتزوج بها فرضی بذلک وحلف ایمانا عظیمة ودخل
الی الجاریة وحلفها ایضا علی مثل ذلک فلم یلبث بعد ذلک سوی شهر ومات
وولی الخلافة هارون الرشید فطلب الجاریة فقالت یا امیر المؤمنین کیف
تصنع بالایمان فقال قد کفرت عنک وعنی ثم تزوج بها ووقعت فی قلبه

موقعا عظیما وافتتن بها اعظم من اخیه الهادی حتی کانت تسکر وتنام فی حجره فلا
یتحرك ولا ینقلب فبینما هی فی بعض اللیالی وهی فی حجره نائمة اذ انها انتبهت فزعة
مرعوبة فقال لها ما بالك فدیتك قالت رایت اخاك الهادی الساعة فی النوم

فانشد فی هذه الابیات

اخلفت عهدی بعد ما	جاورت سکان المقابر
ونسیتنی وحنثت فی	ایمانك الزور الفواجر
ونکحت غادرة اخی	صدق الذی سماك غادر
لا یهنك الالف الجدید	ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتنی قبل الصباح	وصرت حیث غدوت صائر

قالت ثم ولی عنی وکانت الابیات مکتوبة فی قلبی ما نسیت منها کلمة فقال
لها هذه احلام الشیطان فقالت کلا والله یا امیر المؤمنین ثم اضطربت
بین یدیه وماتت فی تلك الساعة ولا تسأل عن هارون الرشید وما لقی

بعدها انتهی

خلافة هارون الرشید بن محمد المهدی

هو اخو موسی الهادی وهو خامس بنی العباس قال ابراهیم الموصلی فی تهنئة
الخلافة حین ولی الرشید بعد اخیه موسی الهادی

الم تران الشمس کانت مریضة	فلما اتی هارون اشرق نورها
تلبست الدنیا جمالا بملکه	فهارون والیها ویحیی وزیرها

وقدم اعرابی حین ولی هارون الخلافة فقیل له فیم جئت قال اتیت برسالة قال
انت بها قال اتانی آت فی منامی فقال انت امیر المؤمنین فابلغه هذه الابیات

توارثت الخلافة من قریش	تزف الیکما ابدا عروسا
الی هارون تهدی بعد موسی	تمیس وما لها ان لا تمیسا

فاعطاه الرشید عطاء جزیلا وصرفه بویع له بالخلافة فی اللیلة التی توفی فیها

اخوه وولد فى تلك الليلة المأمون وكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها فى بنى العباس مات فيها خليفة وولى فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وزارته وسيأتى ايقاع الرشيد بالبرامكة وسبب ذلك ويحكى ان هارون الرشيد مر فى بعض الايام وصحبته جعفر البرمكى واذا هو بعدة بنات يستقين الماء فعرج عليهن يريد الشرب واذا احداهن تقول

قولى لطيفك ينثنى	عن مضجعى وقت المنام
كى استريح وتنطفى	نار تاجج فى العظام
دنف تقلبه الاكف	على بساط من سقام
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من دوام

فاعجب امير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها فقال لها يا بنت الكرام هذا من قولك ام من منقولك قالت من قولى قال ان كان كلامك صحيحا فامسكى المعنى وغيرى القافية فانشدت تقول

قولى لطيفك ينثنى	عن مضجعى وقت الوسن
كى استريح وتنطفى	نار تاجج فى البدن
دنف تقلبه الأكف	على بساط من شجن
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من ثمن

فقال لها والآخر مسروق قالت بل كلامى فقال ان كان كلامك ايضا فامسكى المعنى وغيرى القافية فقالت

قولى لطيفك ينثنى	عن مضجعى وقت الرقاد
كى استريح وتنطفى	نار تأجج فى الفؤاد
دنف تقلبه الأكف	على بساط من حداد
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من سداد

فقال لها و كالآخر مسروق فقالت بل كلامي فقال لها ان كان كلامك فلم سكت المعنى وغير القافية فقالت

قولی لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت الهجوع
كى استريح و تنطفى	نار تأجج فى الضلوع
دنف تقلبه الأكف	على بساط من دموع
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من رجوع

فقال لها امير المؤمنين انت من اى هذا الحى قالت من اوسطه بيتا واعلاه عمودا فعلم امير المؤمنين انها بنت كبير الحى ثم قالت وانت من اى راعى الخيل فقال من اعلاها شجرة واينعها ثمرة فقبلت الارض وقالت ايد الله امير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لجعفر لابد من اخذها فتوجه جعفر الى ابيها وقال له امير المؤمنين يريد ابنتك فقال حبا وكرامة تهدى جارية الى امير المؤمنين مولانا ثم جهزها وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من اعز نسائه واعطى والدها ما يستره بين العرب من الانعام ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة الى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت الى حجرتها وقلعت كل ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن واقامت النعى له فقيل لها ما سبب هذا فقالت مات والدى فمضوا الى الخليفة فاخبروه فقام واتى اليها وسألها من اعلمها بهذا الخبر قالت وجهك يا امير المؤمنين قال كيف ذلك قالت منذ انا عندك ما رايتك هكذا ولم يكن لى من اخاف عليه الا والدى لكبره وتعيش رأسك انت يا امير المؤمنين ثم غرغرت عيناه بالدموع وعزاها فيه واقامت مدة وهى حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم اجمعين (وحكى) ان امير المؤمنين هارون الرشيد ارق ذات ليلة فقام يتمشى فى قصره بين المقاصير فراى جارية من جواريه نائمة فاعجبته

فداس على رجلها فانتبهت فرأته امير المؤمنين فاستحيت منه وقالت يا

(امين الله ما هذا الخبر فاجابها بقوله)

قلت ضيف طارق في ارضكم ... هل تضيفوه الى وقت السحر

(فاجابته تقول)

بسرور وهناء سيدي ... اخدم الضيف بسمعي والبصر

فبات عندها الى الصباح فسأل امير المؤمنين من بالباب من الشعراء قيل له ابو نواس فامر به فدخل عليه فقال له هات على يا امين الله ما

(هذا الخبر فانشأ يقول)

طال ليلي حين وافاني السهر ... فتفكرت فاحسنت الفكر
قمت امشي في المجال ساعة ... ثم اجرى في مقاصير الحجر
فاذا وجه جميل مشرق ... زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موطئا ... فدنت مني ومدت للبصر
واشارت لي بقول مفصح ... يا امين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق في ارضكم ... هل تضيفوه الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدي ... اخدم الضيف بسمعي والبصر

قال فتعجب امير المؤمنين من ذلك وامر له بصلة (ويحكى) ان هارون الرشيد هجر جارية له ثم لقيها في بعض الليالي في القصر سكرى تدور في جوانب القصر وعليها مطرف خز وهي تسحب اذيالها من التيه والعجب وسقط رداؤها عن منكبيها والريح ابان نهدها كانهما رمانتان ولهما ردفان ثقيلان فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين هجرتني هذه المدة وليس لي علم بملاقاتك فانظرني الى غد حتى اتهيأ وآتيك فلما اصبح قال للحاجب لا تدع احدا يدخل علي الا فلانة وانتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسألها انجاز الموعد فقالت يا امير المؤمنين كلام الليل يمحوه النهار فقام واستدعى من

بالباب من الشعراء فدخل عليه ابو نواس والرقاشي وابو مصعب فقال لهم هاتوا على كلام الليل يمحوه النهار فقال الرقاشي انا قائل في ذلك ثلاث

(ابيات وانشأ يقول)

انسلوها وقلبك مستطار	وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما	فتاة لا تزور ولا تزار
فولت وانثنت تيها وقالت	كلام الليل يمحوه النهار

(وقال ابو مصعب وانا قائل في ذلك ثلاثة ابيات وانشأ يقول)

اما والله لو تجدين وجدي	لما وسعتك في بغداد دار
اما يكفيك ان العين عبرى	ومن ذكراك في الاحشاء نار
تبسمت الفتاة بغير ضحك	كلام الليل يمحوه النهار

(وقال ابو نواس وانا قائل في ذلك اربعة ابيات وانشأ يقول)

وخود اقبلت في القصر سكرى	ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح اردافا ثقالا	وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الرداء عن منكبيها	من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتي فقالت	كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد قاتلك الله كانك كنت معنا او مطلعا علينا وامر لكل بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم ولأبي نواس بعشرة آلاف درهم انتهى (وذكر) الخطيب في بعض مصنفاته ان الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيئا فاعجبه ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد الى مجلسه وقال من بالباب من الشعراء قالوا ابو نواس وبشار فقال ليحضرا جميعا فاحضرا فقال الرشيد ليقل كل منكما ابياتا توافق ما في نفسي فانشأ بشار يقول

تحببتكم والقلب صار اليكمو	بنفسي ذاك المنزل المتحبب

اذا ذكروا الهجران لا عن ملالة ... وذكراهم يبنى الى محبب
وقالوا التجنبنا ولا قرب بيننا ... فكيف وانتم حاجتى تتجنب
على انهم احلى من الشهد عندنا ... واعذب من ماء الحياة والطيب

فقال احسنت ولكن ما اصبت ما فى نفسى فقل انت يا ابا نواس فجعل يقول

نضت عنها القميص لصب ماء ... فورّد وجهها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت ... بمعتدل ارق من الهباء
ومدت راحة كالماء منها ... الى ماء معد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت ... على عجل لتأخذ للرداء
رأت شخص الرقيب على التدانى ... فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل ... فظل الماء يجرى تحت ماء
فسبحان الاله وقد براها ... كاحسن ما تكون من النساء

فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم يا امير المؤمنين قال امعنا كنت قال لا والله ولكن شئ خطر ببالى فامر له باربعة آلاف درهم وصرفه انتهى ويحكى ان امير المؤمنين الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فقام من فرشه وتمشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه محصورة فلما اصبح قال على بالاصمعى فخرج الطواشى الى البوابين فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين ارسلوا احدا خلف الاصمعى فلما حضر اعلم الخليفة به فاجلسه ورحب به وقال يا اصمعى اريد منك ان تحدثنى باجود ما سمعت من اخبار النساء واشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبنى سوى ثلاثة ابيات انشدهن ثلاث بنات فقال حدثنى بحديثهن فقال اعلم يا امير المؤمنين انى توجهت سنة الى البصرة فاشتد على الحر فطلبت مقيلا اقيل فيه فلم اجد فبينما انا التفت يمينا وشمالا اذا انا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت الساباط وجلست على

الدكة واردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم جارية حسناء وهي تقول يا اختي انا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلثمائة دينار وكل منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت لها الثلثمائة

دينار لها فقلن حبا وكرامة فقالت الكبرى

عجبت له ان زار في النوم مضجعي ... ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فقالت الوسطى

وما زارني في النوم الا خياله ... فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى

بنفسي واهلي من ارى كل ليلة ... ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فقلت ان كان لهذا المقال جمال فقد تم الامر على كل حال فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول اجلس يا شيخ فطلعت على الدكة ثانيا وجلست فدفعت الي ورقة فنظرت خطا في نهاية الحسن مستقيم الالفات مجوف الهاآت مدور الواوات مضمونها نعلم الشيخ اطال الله بقاءه انا ثلاث بنات اخوات جلسنا على وجه الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا ان كل من قالت البيت الاعذب الاملح كان لها الثلثمائة دينار وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجارية علي بدواة وقرطاس فغابت قليلا وخرجت الي بدواة مفضضة واقلام مذهبة

فانشأت اقول

احدث عن خود تحدثن مرة ... حديث امرئ ساس الامور وجربا

ثلاث كبكرات الصباح جحافل ... حللن بقلب للمشوق معذبا

خلون وقد نامت عيون كثيرة ... من الرأي قد يشهون ان تتغيبا

فبحن بما يخفين من داخل الحشا ... نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا

فقالت عروب ذات عز عزيزة ... وتبسم عن عذب المقالة انسبا

عجبت له ان زار فی النوم مضجعی	ولو زارنی مستیقظا کان اعجبا
فلما انقضی ما زخرفت و تضاحکت	تنفسطت الوسطی و قالت تطربا
وما زارنی فی النوم الا خیاله	فقلت له اهلا و سهلا و مرحبا
واحسنت الصغری و قالت مجیبة	بلفظ لها قد کان اشهی و اعذبا
بنفسی و اهلی من اری کل لیلة	ضجیعی و ریاه من المسک اطیبا
فلما تدبرت الذی قلن و انبری	لی الحکم لم اترک لذی اللب متعبا
حکمت لصغراهن فی الشعر انی	رایت الذی قالت هو الحق اصوبا

قال الاصمعی ثم دفعت الرقعة الی الجاریة فلما صعدت الی القصر فاذا برقص و تصفیق و دنیا دانیة و قیامة قائمة فقلت ما بقی لی اقامة فنزلت عن الدکة و اردت الانصراف واذا بالجاریة تنادی و تقول اجلس یا اصمعی فقلت و من اعلمک انی الاصمعی فقالت یا شیخ ان خفی علینا اسمک فما خفی علینا نظمک فجلست واذا بالباب قد فتح و خرجت منه الجاریة الاولی و علی یدها طبق من فاکهة و طبق من حلوی فتفکهت و تحلیت و شکرت صنعها و اردت الانصراف واذا بالجاریة تنادی و تقول اجلس یا اصمعی فرفعت بصری الیها فنظرت کفا احمر فی کم اصفر فخلته البدر یشرق من تحت الغمام و رمت لی بصرة فیها ثلثمائة دینار و قالت هذا صار لی و هو منی لک هبة فی نظیر حکومتک فقال لی امیر المؤمنین لای شیء حکمت للصغری و لم تحکم للکبری و لا للوسطی فقلت له یا امیر المؤمنین اطال الله بقاءک

از بیت الکبری قالت

عجبت له ان زار فی النوم مضجعی و هو محمول معلق علی شرط قد یقع و لا یقع و اما الوسطی مر بها طیف خیال فی النوم فسلمت علیه و بیت الصغری ذکرت انها ضاجعة مضاجعة حقیقة و شمت منه انفاسا اطیب من المسک و فدته بنفسها و اهلها و لا یفدی بالنفس الا من هو اعز من النفس فقال الخلیفة احسنت یا اصمعی ثم دفع الی ثلثمائة دینار

فاخذتها وانصرفت فكنت اقول لله دره من شعر اخذت فی حکومتی منه
ثلثمائة دینار و فی حکایة مثلها والله اعلم و مما حکی عن الاصمعی فی نوادره
قال سهرت لیلة عند الرشید فی الرقة فقال لی من معك یا عبد الله یؤنسك
فقلت یا امیر المؤمنین مالی انیس غیر الوحدة فامسك واقبل فی حدیثه ماشاء
الله ثم نهض ونهض من بحضرته فلما صرت الی منزلی واذا بخادم الامیر یقرع الباب
فخرجت فاذا ضوء شمع وضجة وغوغاء ومعهم جاریة فلما رآنی الخادم دنا منی وقبل
یدی وقال لی یقول لك امیر المؤمنین قد امر لك بمن یؤنسك وهی جاریة من
خواصه وشیء من المال فشکرت امیر المؤمنین ودعوت له وتقدم الخادم بادخال
الجاریة ومعها من الآلات والخدم والجواری والفرش ما لم ار مثله الا عند امیر المؤمنین
ثم ودعنی الخادم وانصرف فلما نظرت الی الجاریة رایتها احسن الناس وجها واکملهم
قدا وشکلا وظرفا واکثرهم مجونا فداخلنی لها هیبة وانقباض فقالت ما هذا
الحیاء البارد السمج الذی لا وجه له ابن ملحان ونوادره ثم قالت لجاریة من الجواری
هات ما عندك فجاءت باحسن ما یکون من الوان الطعام فاکلنا وهی مع
ذلك تباسطنی وتؤانسنی بالحدیث والملاعبة ثم دعت بالشراب فشربت و
سقتنی ثم قالت ما بقی بعد الاکل والشرب الا النوم والخلوة فقامت ولبست
من الثیاب ما ارادت والبستنی ثیابا فاخرة مبیضة وتفرق من کان عندنا
ثم اضطجعت الی جانبی فلما جمعنا الفراش اصابنی من الحصر وانقطاع الانعاظ
ومخاوة الایر ما لم اکن اعهده قبل ذلك فجعلت تقلبه بیدها وتغمزه فلم یزداد
الا انکماشا وموتا فلما اعیتها الحیلة فیه ویئست من قیامه ومضی من اللیل اکثره
قالت عظم الله اجرك فی ایرك ثم نهضت ولبست ثیاب الحداد ودعت بسفط
فاخرجت منه منادیل صفرا وحنوطا وقالت نم علی ظهرك یا بطال فاستولی علی
الخجل حتی انی لم اقدر اخالفها فی شیء مما تامرنی به فی جمیع ما تفعله فی غسلته
وحنطته وکفنته بتلك المنادیل فلما فرغت همت بجواریها وقامت معهن فی بکاء

ونحیب

وتحيب ونوح وندب وصراخ باشد مايكون وماذا الوا على ذلك الى وقت السحر ثم قالت ما بقى الا ما يتولاه الرجال من الصلاة والدفن وولت عنى فقمت وانا احزن خلق الله حالا فلبست ثيابى وصليت الفجر وسرت من وقتى وساعتى الى الرشيد فانكر الحجاب حضورى فى ذلك الوقت واعلم الرشيد بى فأذن لى فدخلت وهو قاعد فى مصلاه فقال لى ويحك ما دهاك فى هذا الوقت فقلت يا امير المؤمنين خبرى عجيب وامرى غريب فبالله عليك يا امير المؤمنين الا ما رحمتنى وارحتنى من هذه الجارية التى انفذتها الى فلا حاجة لى بها فقال لى امير المؤمنين وما السبب لذلك وما الخبر الذى دهاك وليس لها عندك حين من الزمان فشرحت له القصة من اولها الى آخرها حتى بلغت الى اقامة الصلاة فاشتد ضحكه حتى انه كاد ان يستلقى على قفاه وسمعت الضحك من كل ناحية فى الدار من الجوارى وغيرهن ثم قال نحن الى هذه احوج منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم انه امر بحملها الى داره وعوضنى عنها خمسين الف درهم وترك جميع ما حمل معها فى منزلى وخرجت مجردة فحظيت بعد ذلك عند الرشيد حتى انه لم يتقدم عليها احد من نظائرها وسميت من وقتها هذا ابا الاصمعية الى ان توفيت رحمة الله عليهم اجمعين

وعن ابى اسحق ابراهيم الموصلى قال استأذنت الرشيد ان يهب لى يوما من الايام للانفراد بجوارى واخوانى فاذن لى فى يوم السبت فاتيت منزلى واخذت فى اصلاح طعامى وشرابى وما احتجت اليه وامرت البوابين بغلق الابواب وان لا يأذنوا لاحد بالدخول على فبينما انا فى مجلسى والحريم قد حففن بى واذا بشيخ ذى هيبة وجمال وعليه خفان قصيران وقميص ناعم وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكازة مقمعة من فضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار والرواق فداخلنى غيظ عظيم لدخوله على وهممت بطرد البوابين فسلم على احسن سلام فرددت عليه وامرته بالجلوس فجلس واخذ يحدثنى باحاديث العرب واشعارها حتى ذهب ما بى من الغضب وظننت ان غلمانى تحروا مسرتى لادخاله

مثله على لا دبه وظرفه فقلت هل لك فى الطعام فقال لا حاجة لى فيه قلت فالشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا وسقيته مثله ثم قال يا ابا اسحاق هل لك ان تغنينا شيئا فنسمع من صنعتك ما قد فقت به العام والخاص فغاظنى قوله ثم سهلت الامر على نفسى فاخذت العود وضربت وغنيت فقال احسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت اما رضى بما فعله فى دخوله بغير اذنى واقتراحه علىّ حتى سمانى باسمى ولم يجمل مخاطبتى ثم قال هل لك ان تزيد ونكافئك فتمت واخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيته وقمت به قياما تاما لقوله ونكافئك فطرب وقال احسنت يا سيدى ثم قال اتاذن لى فى الغناء فقلت شانك واستضعفت عقله فى ان يغنى بعد الذى سمعه منى فاخذ العود وجسه فوالله خلت ان العود ينطق بلسان عربى واندفع يغنى هذه الابيات

ولى كبد مقروحة من يبيعنى	بها كبدا ليست بذات قروح
اباها على الناس ان يشترونها	ومن يشترى ذا علة بصحيح
ائن من الشوق الذى فى جوانحى	انين غصيص بالشراب طريح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت ان الابواب والحيطان وكل ما فى البيت تجيبه وتغنى معه وبقيت مبهوتا لا استطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى

ثم اندفع يغنى فقال

الا يا حمامات اللوى عدن عودة	فانى الى اصواتكن حزين
فعدن ولما عدن كدن يمتننى	وكدت باسرارى لهن ابين
دعون بترداد الهدير كانما	شربن الحميا او بهن جنون
فلم تر عينى مثلهن حمائما	بكين ولم تدمع لهن عيون

قال ثم سكت قليلا وغنى هذه الابيات

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد	فقد زادنى مسراك وجدا على وجدى
لئن هتفت ورقاء فى رونق الضحى	على فنن من غصن بان ومن رند
بكيت كما يبكى الوليد صبابة	وابديت من شكواى ما لم اكن ابدى

وقد زعموا ان المحب اذا دنا يمل وان البعد يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع اذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم قال يا ابراهيم هذا الغناء الماخوري خذه وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك فقلت اعده علي فقال لست تحتاج الى اعادة فقد اخذته وفرغت منه ثم غاب من بين يديه فارتعبت منه وقمت الى السيف وجردته ثم عدوت نحو ابواب الحريم فوجدتها مغلقة فقلت للجواري اي شيء سمعتن فقلن سمعنا غناء اطيب شيء واحسنه فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البوابين عن الشيخ فقالوا اي شيخ فوالله مادخل اليك اليوم احد فرجعت لتأمل امره فاذا هو قد هتف بي من جوانب البيت وقال لا بأس عليك يا ابا اسحاق فانما هو ابو مرة قد كنت نديمك اليوم فلا تفزع فركبت الى الرشيد فاخبرته الخبر فقال اعد الاصوات التي قد اخذتها فاخذت العود وضربت فاذا هي راسخة في صدري فطرب الرشيد عليها وجعل يشرب ولم يكن له همة على الشراب وقال كان الشيخ علم انك تداخذت الاصوات وفرغت منها فليته متعنا بنفسه يوما واحدا كما متعك ثم امر لي بصلة فاخذتها وانصرفت انتهى وقال الرشيد يوما للفضل بن يحيى وهو بالرقة قد قدم اسماعيل ابن صالح بن علي وهو صديقك واريد ان اراه فقال ان اخاه عبد الملك في حبسك وقد نهاه ان يجيئك قال الرشيد فاني اتعلل حتى يجيئني عائدا فتعلل فقال الفضل لاسماعيل الا تعود امير المؤمنين قال بلى فجاءه عائدا فاجلسه ثم دعا بالغداء فاكل واكل اسماعيل بين يديه فقال له الرشيد كاني قد نشطت برؤيتك الى شرب قدح فشرب وسقاه ثم امر فاخرج جواري يغنين وضربت ستارة وامر بسقيه فلما شرب اخذ الرشيد العود من يد جارية ووضعه في حجر اسماعيل وجعل في عنقه سبحة وجيها

عشر حبات من درّ شراؤها بثلاثين الف دينار وقال غن يا اسماعيل وكفر عن يمينك بثمن هذه السبحة فاندفع يغني شعر الوليد بن يزيد في غالية اخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحته وهي التي ينسب اليها سوق الغالية فقال

فاقسم ما ادنيت كفي لريبة	ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها	ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
واعلم اني لم تصبني مصيبة	من الدهر الا قد اصابت فتى مثلي

فسمع الرشيد احسن غناء من احسن صوت فقال للربيع يا غلام فجئ بالرمح فعقد له لواء على امارة مصر قال اسماعيل فوليتها سنتين فاوسعتهم عدلا وانصرفت بخمسمائة الف دينار وبلغ اخاه عبد الملك ولايته فقال عني والله الخبيث لهم ليس هو بصالح انتهى ويروى انه لما دخل هارون الرشيد الى مكة شرفها الله تعالى وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك لينفرد بالطواف فسبقه اعرابي فشق ذلك على الرشيد فالتفت الى حاجبه منكرا عليه فقال الحاجب للاعرابي تخل عن الطواف حتى يطوف امير المؤمنين فقال الاعرابي ان الله قد ساوى بين الامام والرعية في هذا المقام فقال عز وجل سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم فلما سمع الرشيد من الاعرابي ذلك راعه امره فامر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد الى الحجر الاسود ليستلمه فسبقه الاعرابي فاستلمه ثم اتى الرشيد الى المقام ليصلي فسبقه الاعرابي فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه ائتني بهذا الاعرابي فاتاه الحاجب فقال اجب امير المؤمنين فقال مالي اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو احق بالقيام الي والسعي فقام الرشيد حتى وقف بازاء الاعرابي وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرشيد يا اخا العرب اجلس هنا بامرك فقال الاعرابي ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلنا فيه سواء فان شئت تجلس وان شئت تنصرف قال الراوي فعظم ذلك على الرشيد

وسمع ما لم يكن في ذهنه وما ظن انه يواجهه بمثل هذا الكلام في مجلس الرشيد
وقال يا اعرابي اريد ان اسالك عن فرضك فان انت اقمت به فانت بغيره اقوم
وان انت عجزت عنه فانت اعجز فقال الاعرابي سؤالك هذا سؤال تعلم
ام سؤال تعنت فتعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال بل سؤال تعلم فقال له الاعرابي
قم فاجلس مقام السائل من المسؤل قال فقام الرشيد وجثى على ركبتيه بين يدي
الاعرابي فقال قد جلست فاسأل عما بدا لك فقال له اخبرني عما افترض الله عليك فقال
له تسألني عن اي فرض عن فرض واحد ام عن خمسة ام عن سبعة عشر ام عن اربعة
وثلاثين ام عن خمسة وثمانين ام عن واحدة في طول العمر ام عن واحدة من اربعين
ام عن خمسة من مائتين قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزاء به ثم
قال له سألتك عن فرضك فاتيتني بحساب الدهر قال يا هرون لولا ان الدين
بالحساب لما اخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة فقال تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين قال فظهر الغضب في وجه الرشيد واحمرت عيناه حين قال يا هارون
ولم يقل له يا امير المؤمنين وبلغ منه مبلغا شديدا غير ان الله تعالى عصمه منه
وحال بينه وبينه لما علم ان الله هو الذي انطق الاعرابي بذلك فقال له الرشيد
يا اعرابي ان فسرت ما قلت نجوت والا امرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة
فقال له الحاجب يا امير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى ولهذا المقام الشريف
قال فضحك الاعرابي من قولهما حتى استلقى على قفاه فقال مم تضحك قال عجبا
منكما اذ لا ادري ايكما اجهل الذي يستوهب اجلا قد حضر ام يستعجل اجلا لم
يحضر قال فهال الرشيد ما سمعه منه وهانت نفسه عليه ثم قال الاعرابي اما
سؤالك عما افترض الله علي فقد افترض علي فرائض كثيرة فقولي لك عن فرض
واحد فهو دين الاسلام واما قولي عن خمسة فهي الصلوات واما قولي لك عن
سبعة عشر فهي سبعة عشر ركعة واما قولي لك عن اربعة وثلاثين فهي السجدات

واما قولي لك عن خمسة وثمانين فهي التكبيرات واما قولي لك عن واحدة في طول العمر فهي حجة الاسلام واحدة في طول العمر كله واما قولي لك واحدة من اربعين فهي زكاة الشياه شاة من اربعين شاة واما قولي لك خمس من مائتين فهي زكاة الورق قال فامتلأ الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل ومن حسن كلام الاعرابي وعظم الاعرابي في عينه وتبدلت بغضته محبة ثم قال الاعرابي سألتني فاجبتك وانا اريد ان اسألك فاجبني قال قل فقال الاعرابي ما تقول في رجل نظر الى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة فلما كان وقت الظهر حلت له فلما كان وقت العصر حرمت عليه فلما كان وقت المغرب حلت له فلما كان وقت العشاء حرمت عليه فلما كان وقت الصبح حلت له فلما كان وقت الظهر حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت عليه فلما كان وقت العشاء حلت له فقال والله يا اخا العرب لقد اوقعتني في بحر لم يخلصني منه غيرك فقال له انت خليفة ليس فوقك شيء ولا ينبغي ان تعجز عن مسألة فكيف عجزت عن مسألتي وانا رجل بدوي لا قدرة لي فقال الرشيد قد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك فاشتهي اكراما لي ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حبا وكرامة ولكن على شرط ان تجبر الكسير وترحم الفقير ولا تزدري بالحقير فقال حبا وكرامة ثم قال ان قولي لك عن رجل نظر الى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراما فهو رجل نظر الى امة غيره وقت الفجر فهي حرام عليه فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلت له فلما كان وقت العصر اعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له فلما كان وقت العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر اعتق عنها فحلت له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء تاب ورجع الى الاسلام فحلت له قال فاغتبط وفرح به واشتد اعجابه به ثم امر له بعشرة آلاف درهم فلما حضرت قال لا حاجة لي بها ردها

الى اصحابها فقال له اريد ان اجري لك جراية تكفيك مدة حياتك قال الذي اجرى عليك يجري علي قال فان كان عليك دين قضيناه عنك قال لا ولم يقبل عنه شيئا ثم انشد يقول

هب الدنيا تواتينا سنينا ... فتكدر ساعة وتلذ حينا

فما ابغي بشيء ليس يبقى ... واتركه غدا للوارثينا

كأني بالتراب علي يحثى ... وبالاخوان حولي نادبينا

ويوم تزفر النيران فيه ... وتقسم جهرة للسامعينا

وعزة خالقي وجلال ربي ... لانتقمن منهم اجمعينا

وقد شاب الصغير بغير ذنب ... فكيف يكون حال المجرمينا

فلما فرغ من انشاده تأوه الرشيد وساله عن اهله وبلاده فاخبره انه موسى الرضى ابن موسى كاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد باقر ابن علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين وكان يتزيا بزي اعرابي زهدا في الدنيا وتباعدا عنها فقام اليه الرشيد وقبل ما بين عينيه ثم قرأ الله اعلم حيث يجعل رسالته ثم انصرف رحمة الله عليهم اجمعين (وقال السجستاني) ارق الرشيد ليلة فوجه الى الاصمعي والى حسين الخليع فاحضرهما وقال عللاني وابدأ انت يا حسين فقال حسين نعم يا امير المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدرا الى البصرة ممتدحا محمد بن سليمان الزينبي بقصيدتي فقبلها وامرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقي فاصابني حر شديد فدنوت من باب دار كبيرة لاستسقي فاذا انا بجارية كانها قضيب تتثنى وسنا العينين ازجة الحاجبين مفتوحة الجبين عليها قميص جلناري ورداء عدني قد غلب شدة بياض بدنها على حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطي القباطي وعكن كالقراطيس لها جمة جعدة بالمسك محشوة وهي يا امير المؤمنين متقلدة خرزا من الذهب والجوهر يزهو بين نهديها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان أسيلان

وانف اقنى يحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهي والهة حيرانة ذاهبة في الدهليز ورائحة تخطر على اكباد محبيها في مشيتها وقد خالط اصوات

نعلها خلاخيلها فهي كما قال الشاعر فيها

كل جزء من محاسنها كائن من حسنها مثلا

فهبتها يا امير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدهليز والدار والشارع قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب حزين وحريق مسعر فقلت لها يا سيدتي اني شيخ غريب اصابني عطش افتأمرين بشربة من ماء تؤجرين عليها قالت اليك عني يا شيخ فاني مشغولة عن الماء وادخار الزاد قلت لاي علة يا سيدتي قالت لاني عاشقة لمن لا ينصفني واريد من لا يريدني ومع ذلك فانني ممتحنة برقباء فوق رقباء قلت وهل يا سيدتي على بسيطة الارض من تريدينه ولا يريدك قالت نعم وذلك لفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت وما وقوفك في هذا الدهليز قالت ههنا طريقه وهذا اوان اجتيازه فقلت لها يا سيدتي فهل اجتمعتما في وقت من الاوقات اوجب حديثا في هذا القرب فتنفست الصعداء وارخت دموعها على خدها كالطل سقط على ورد ثم انشأت تقول

وكنا كغصنى بانة فوق روضة	نشم جنى اللذات في عيشة رغدا
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع	فيا من رأى فردا يحن الى فرد

قلت يا هذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت ارى الشمس على حائطهم احسب انها هو وربما اراه بغتة فأبهت ويهرب الدم والروح من جسدي وابقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل فقلت لها اعذريني فانت على ما بك من الصبا وشغل البال بالهوى وانحال الجسم وضعف القوى ارى بك من اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يمسك الهوى لكنت مفتنة في ارض البصرة قالت والله قبل محبة هذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى افتتنني هذا الغلام قلت يا هذه فما الذي فرق بينكما قالت نوائب الدهر وحديثي و

حديث شان من الشون وذلك انى كنت قعدت فى يوم نيروز ودعوت عدة من
مستظرفات البصرة من النساء الجميلات وكانت فيهن الحوراء جارية شيراز و
كان شراؤها عليه من عمان بثمانية آلاف درهم وكانت بى ولعه فلما دخلت رمت
بنفسها على تقطعنى قرصا وعضا ثم خلونا نتمزز القهوة الى ان يدرك طعامنا
ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبنى والاعبها فتارة انا فوقها وتارة هى فوقى فحملها
السكر الى ان ضربت يدها الى تكتى فحلتها من غير ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلى
ملاعبة فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا حبيبى فرأى ذلك فاشمأز لذلك
وصدف عنى صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجا
فانا يا شيخ منذ ثلاث سنين اسأل بجمعته فلا ينظر الى بطرف ولا يكتب الى بحرف ولا
يكلم لى رسولا ولا يسمع منى قليلا فقلت لها يا هذه من العرب هو ام من العجم فقالت
ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها شيخ هو ام شاب فنظرت الى شزرا
وقالت انك احمق هو مثل القمر ليلة البدر اجرد امرد له طرة كحنك الغراب لا يعيبه
شىء غير انحرافه عنى قلت لها ما اسمه قالت ماذا تصنع به قلت اجتهد فى لقائه
فاتعرف الفصل بينكما قالت على شرط ان تحمل اليه رقعة قلت لا اكره ذلك فقالت
اسمه ضمرة بن المغيرة ويكنى بابى السخاء وقصره بالمربد ثم صاحت فى الدار يا جوارى الدواة
والقرطاس وشمرت عن ساعدين كانهما طوقان من فضة وكتبت بعد البسملة
سيدى ترك الدعاء فى صدر رقعتى ينبى عن تقصيرى ودعائى ان دعوته هجنة
وعونه ولولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لكان لما تكلفته خادمتك
من كتابة هذه الرقعة معنى مع ياسها منك لعلمها بترك الجواب سيدى جد بنظرة
وقت اجتيازك فى الشارع الى الدهليز تحيى بها نفسا ميتة واخطط بخط يدك بسطها
الله بكل فضيلة رقعة واجعلها عوضا عن تلك الخلوات التى كانت بيننا فى
الليالى الخاليات التى انت ذاكر لها سيدى الست لك محبة مدنفة فان رجعت
الى الاحبة كنت لك شاكرة وبعد خادمة والسلام فتناولت الكتاب وخرجت فلبسته

غدوة الى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا باللؤلؤ ورأيت غلاما زان المجلس
وفاق على من فيه جمالا وبهجة قد رفعه الامير فوقه فسالت عنه فاذا هو ضمرة بن المغيرة
فقلت في نفسي بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها ثم قمت وقصدت المربد فوقفت
على باب داره فاذا هو قد ورد في موكب فوثبت اليه وبالغت في الدعاء له وناولته
الرقعة فلما قرأها وفهم معناها قال لي يا شيخ قد استبدلنا بها فهل لك ان
تنظر الى البديل قلت نعم فصاح في الدار اخرجوا الربد فاذا انا بجارية تخابو طية الكعبين
ناهدة الثديين تمشي مشية مستوحل من غير وجل فناولها الرقعة وقال اجيبي
عنها فلما قرأتها اصفرت وعرقت وقالت يا شيخ استغفر الله مما جئت به فخرجت
يا امير المؤمنين وانا اجر رجلي حتى اتيتها واستأذنت عليها فقالت ما وراءك فقلت
البؤس واليأس قالت ما عليك منه فاين الله والقدرة ثم امرت لي بخمسمائة دينار
ثم جزت بعد ايام ببابها فوجدت غلمانا وفرسانا فدخلت فاذا اصحاب ضمرة
يسألونها الرجوع اليه فقالت لا والله لا نظرت له وجها فسجدت لله يا امير المؤمنين
شماتة بضمرة ونفرته من الجارية فاوردت على منه رقعة فاذا فيها بعد التسمية
سيدتي لولا ابقائي عليك ادام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك وبسطت
شطرا غيي عليك وسلكت ظلامتي قبلك اذ كنت الجانية على نفسك ونفسي و
المظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواي والله المستعان
على ما كان من سوء اختيارك والسلام واوقفني على ما حمله اليها من الهدايا والتحف العظيمة
فاذا هو بمقدار ثلاثين الف دينار ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها ضمرة فقال
الرشيد لولا ان ضمرة سبقني اليها لكان لها معي شأن من الشؤن انتهى
وحكى مسرور الخادم قال ارق الرشيد ارقا شديدا ليلة من الليالي فقال يا
مسرور من على الباب من الشعراء فخرجت الى الدهليز فوجدت جميل بن
معمر العذري فقلت له اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فدخلت ودخل
معي الى ان صار بين يدي هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافة فرد عليه وامره

بلام.

بالجلوس فقال له الرشيد يا جميل اعندك شيء من الاحاديث العجيبة قال نعم يا امير المؤمنين ايما احب اليك ما عاينته ورايته او ما سمعته ووعيته فقال بل حدثني عما عاينته ورايته فقال نعم يا امير المؤمنين اقبل علي بكلك واصغ الي باذنك قال فعمد الرشيد الى مخدة من الديباج الاحمر المزركش بالذهب محشوة بريش النعام فجعلها تحت فخذه ثم مكن منها مرفقيه وقال هلم بحديثك فقال اعلم يا امير المؤمنين اني كنت مفتونا بفتاة محبا لها وكنت آلفها اذ هي سولي وبغيتي من الدنيا وان اهلها رحلوا بها لقلة المرعى فاقمت مدة لم ارها ثم ان الشوق اقلقني وجذبني اليها فراودتني نفسي بالمسير اليها فلما كانت ذات ليلة من الليالي هزني الوجد اليها فقمت وشددت رحلي على ناقتي واعتممت بعمتي ولبست اطماري وتقلدت بسيفي وتنكبت بحجفتي وركبت ناقتي وخرجت طالبا لها وكنت اجد في السير فسرت وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وانا مع ذلك اكابد هبوط الاودية وصعود الجبال اسمع زئير الاسد وعواء الذئاب واصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهل عقلي وطاش لبي ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالى فبينما انا اسير كذلك اذ غلبني النوم فاخذتني الناقة عن غير الطريق التي كنت فيها وزاد علي النوم واذا انا بشيء لطمني في رأسي فانتبهت فزعا مرعوبا فاذا انا باشجار وانهار وماء واطيار على تلك الاغصان تزعق بلغاتها والحانها واشجار ذلك المرج مشتبكة بعضها ببعض فنزلت عن ناقتي واخذت زمامها بيدي ولم ازل انلطف بها الى ان خرجت بها من تلك الاشجار الى ارض فلاة فاصلحت كورها واستويت راكبا على ظهرها ولا ادري الى اين اذهب ولا الى ما تسوقني الاقدار فسددت نظري في تلك البرية فلاحت لي نار في صدرها فوكزت ناقتي وصرت طالبا لها الى ان وصلت الى تلك النار فقربت منها وتاملت واذا بخباء مضروب ورمح مركوز ودابة قائمة وخيل واقفة وابل سائمة فقلت في نفسي يوشك ان يكون لهذا الخباء شان عظيم فاني لا ارى في هذه البرية سواه ثم تقدمت الى جانب الخباء وقلت السلام عليكم يا اهل الخباء

ورحمة الله وبركاته فخرج الى من الخباء غلام من ابناء تسعة عشر سنة كانه البدر اذا اشرق والشجاعة لائحة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا اخا العرب انى اظنك ضالا عن الطريق فقلت الامر كذلك ارشدني يرحمك الله تعالى فقال يا اخا العرب ان بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش ان يفترسك فانزل عندى على الرحب والسعة فاذا كان الغد ارشدتك الى الطريق قال فنزلت عن ناقتى وعقلتها بفاضل زمامها ونزعت ما كان على من اطمار وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها والى نار فاضرمها واججها ثم دخل الى الخباء واخرج ابزارا ناعمة وملحا مطيبا واقبل يقطع من اللحم ويشوى على النار ويطعمنى ويتنهد تارة ويبكى تارة اخرى ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديدا وانشد يقول

لم يبق الا نفس خافت	ومقلة انسانها باهت
لم يبق فى اعضائه مفصل	الا وفيه سقم ثابت
فدمعه جار واحشاؤه	توقد الا انه ساكت
تبكى له اعداؤه رحمة	يا ويح من يرثى له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا امير المؤمنين علمت ان الغلام عاشق ولهان لا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوى فقلت فى نفسى انا فى منزل الرجل واتهجم عليه فى السؤال فوردعت نفسى واكلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما فرغ من الاكل قام الشاب ودخل الخباء واخرج طشتا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير واطرافه مزركشة بالذهب الاحمر وقمقما مملوءا من ماء الورد الممسك قال فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت فى نفسى ما اعرف الظرف فى البادية ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعة ثم انه قام ودخل الى الخباء وقطع بينى وبينه بقطع من الديباج الاحمر ثم خرج وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك فى هذه الليلة تعب وفى سفرك هذا نصب مفرط قال جميل فدخلت فاذا انا بفراش

من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما كان على من الثياب و نمت بليلة لم ار في عمري مثلها فلم ازل كذلك وانا متفكر في امر هذا الشاب الى ان جن الليل ونامت العيون فلم اشعر الا بجس خفي لم اسمع الطف منه ولا ارق حاشية فرفعت سجاف المضرب ونظرت فاذا انا بصبية لم ار احسن منها وجها وهي الى جانبه وهما يبكيان و يتشاكيان الم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما الى التلاق فقلت يا لله العجب من هذا الشخص الثاني وهذا فرد بيت فاني لم ار فيه غير هذا الفتى وليس حوله احد ثم قلت في نفسي لا شك ان هذه الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام وقد تفرد بها في هذا المكان وتفردت به فحققتها فاذا هي انسية عربية اذا رمقت يخجل الشمس المضيه وقد اضاء الخباء من نور وجهها فلما تحققت انها محبوبته غلبتني الغيرة على الحب فارخيت الستر وغطيت وجهي ونمت فلما اصبحت لبست ثيابي وتوضأت لصلاتي وصليت ما كان على من الفرض ثم قلت له يا اخا العرب هل لك ان ترشدني الى الطريق فقد تفضلت على فنظر الي وقال على رسلك يا وجه العرب الضيافة ثلاثة ايام وما كنت بالذي يدعك الا لثلاثة ايام قال جميل فاقمت عنده ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه فقال اما نسبي فانا من بني عذرة وانا فلان ابن فلان وعمي فلان فاذا هو ابن عمي يا امير المؤمنين وهو من اشرف بيت في بني عذرة قال فقلت يا ابن العم ما حملك على ما اراه منك من الانفراد في هذه البرية وكيف تركت عبيدك واماءك وانفردت بنفسك في هذا المكان فلما سمع يا امير المؤمنين كلامي تغرغرت عيناه بالبكاء ثم قال يا ابن العم اني كنت محبا لابنة عمي مفتونا بها هائما بحبها مجنونا عليها لا اطيق الفراق عنها فزاد عشقي لها فخطبتها من عمي فابى ان يزوجنيها و زوجها من رجل من بني عذرة ودخل بها واخذها الى المحلة التي هو فيها من العام الاول فلما بعدت عني وحجبت عن النظر اليها حملتني لوعات الهوى وشدة الشوق والجوى على تركي اهلي ومفارقتي عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي وانفردت

بهذا البيت فى هذه البرية والفت وحدتى فقلت واين ابياتهم قال هم قريب فى ذروة هذا الجبل وهى كل ليلة عند نوم العيون وهدو من الليل تنسل من الحى سرا بحيث لا يشعر بها احد فاقضى منها بالحديث وطرا وتقضى هى كذلك وها انا مقيم كذلك على هذا الحال انسلى بها ساعة من الليل ليقضى الله امرا كان مفعولا او يأتينى الامر على رغم الحاسدين او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين قال جميل فلما حدثنى الغلام يا امير المؤمنين غمنى امره وصرت من ذلك فى حيرة لما اصابنى عليه من الغيرة فقلت له يا ابن العم هل لك ان ادلك على حيلة اشير بها عليك وفيها ان شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يفرج الله عليك الذى تخشاه فقال لى قل يا ابن العم فقلت له اذا كان الليل وجاءت الجارية فاطرحها على ناقتى فانها سريعة الرواح واركب انت جوادك وانا اركب بعض هذه النوق واسير بكم الليلة جميعها فما يصبح الصباح الا وقد قطعت بكم برارى وقفارا وتكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وارض الله واسعة فضاها وانا والله مساعدك ما حييت بروحى ومالى وسيفى فلما سمع ذلك قال لى يا ابن العم حتى اشاورها فى ذلك فانها عاقلة لبيبة بصيرة بالامور قال جميل فلما جن الليل وحان وقت مجيئها وهو منتظر الوقت المعلوم فابطأت عن عادتها فرايت الفتى وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح التى تهب من نحوها وانشد يقول

ريح الصبا تهدى الى نسيم	من بلدة فيها الحبيب مقيم
يا ريح فيك من الحبيب علامة	افتعلمين متى يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكى ثم قال لى يا ابن العم ان لبنت عمى فى هذه الليلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها عنى عائق ثم قال لى كن مكانك حتى آتيك بالخبر ثم اخذ سيفه وجحفته ثم غاب عنى ساعة من الليل ثم اقبل وعلى يده شئ يحمله ثم صاح الى فاسرعت اليه فقال اتدرى يا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال لقد فجعت فى ابنة عمى فى تلك الليلة لانها كانت توجهت الينا كعادتها

اذ عرض لها في طريقها اسد فافترسها ولم يبق منها الا ما ترى ثم انه طرح ما كان على يده فاذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها ثم بكى بكاء شديدا ورمى الترس من يده واخذ كساء على يده ثم قال لي لا تبرح الى ان آتيك ان شاء الله تعالى ثم سار فغاب عني ساعة ثم عاد بيده رأس الاسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فاتيته به فغسل فم الاسد وجعل يقلبه ويبكي ويئن وزاد حزنه عليها وانشد يقول

الا ايها الليث المغر بنفسه	هلكت لقد هيجت لي بعدها شجنا
وصيرتني فردا وقد كنت الفها	وصيرت بطن الارض لي ولها وطنا
اقول لدهر خانني بفراقها	وغار عليها ان اكون لها حزنا

ثم قال يا ابن العم سالتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك الا حفظت وصيتي انك سترانى الساعة ميتا بين يديك فاذا كان كذلك فغسلني وكفني انا وهذا الفاضل من مشاش الجارية في هذا الثوب وادفنا في قبر واحد واكتب على قبرنا هذه الابيات وانشأ يقول

كنا على ظهرها والعيش في رغد	والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف الفتنا	وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال ثم بكى بكاء شديدا ثم دخل المضرب وغاب عني ساعة وخرج وجعل يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة فارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم علي وكبر عندي حتى كدت ان الحق به من شدة حزني عليه ثم تقدمت اليه وفعلت به ما امرني من الغسل وكفنتهما جميعا ودفنتهما في قبر واحد واقمت عند قبرهما ثلاثة ايام ثم ارتحلت واقمت سنين اتردد الى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا امير المؤمنين قال فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه واجازه جائزة حسنة والله اعلم

حكاية اجنبية قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي بينما انا ذات يوم في منزلي وكان زمن الشتاء وقد انتشرت السحب وتراكمت الامطار بقطر كافواه القرب وامتنع الغادي والمقبل من المسير في الطرقات لما فيها من الامطار والوحل وانا ضيق الصدر

اذ لم يأتني احد من اخواني ولم اقدر على المسير اليهم من شدة الوحل والطين فقلت لغلامي احضر لي ما اتشاغل به فاحضر لي طعاما وشرابا فتنغصته اذ لم يكن معي من يؤانسني ولم ازل اتطلع من الطاقات واراقب الطرقات واقبل الليل فتذكرت جارية لبعض اولاد المهدي كنت اهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك الملاهي فقلت في نفسي لو كانت الليلة عندنا لتم سروري وطابت ليلتي مما انا فيه من الفكر والقلق واذا بداق يدق الباب وهو يقول ايدخل محبوب على الباب واقف فقلت في نفسي لعل غرس التمني اثمر فقمت الى الباب فاذا بصاحبتي وعليها مرط اخضر قد اتشحت به وعلى رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد غرقت في الطين الى ركبتيها وابتل ما عليها من المزاريب وهي في حال عجيب فقلت لها يا سيدتي ما الذي اتى بك في مثل هذه الاوحال فقالت قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني الا الاجابة والاسراع نحوك فعجبت من ذلك وكرهت ان اقول لها اني لم ارسل اليك احدا فقلت الحمد لله على جمع الشمل بعد ما قاسيت من الم الصبر ولو كنت ابطأتي علي ساعة كنت احق بالسعي اليك فاني كثير الصبابة نحوك ثم قلت لغلامي هات الماء فاقبل بمخانة فيها ماء حار حتى اصلح لها حالها ثم امرته ان يصب الماء على رجليها وتوليت غسلهما ثم دعوت ببدلة من افخر الملبوس فالبستها اياها بعد ان نزعت ما كان عليها وجلسنا ثم استدعيت بالطعام فابت فقلت هل لك في الشراب فقالت نعم فتناولت اقداحا ثم قالت من يغني لي فقلت لها انا يا سيدتي فقالت لا احب فقلت بعض جواري قالت لا اريد فقلت غني لنفسك قالت ولا انا قلت فمن يغنيك قالت التمس من يغني لي فخرجت طاعة لها الا اني آيس من ان اجد احدا في مثل هذا الوقت فلم ازل حتى بلغت الشارع فاذا انا باعمى يخبط الارض بعصاه وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غبت لم يسمعوا وان سكت استخفوا بي فقلت امغن انت قال نعم قلت فهل لك ان

ثم ليلتك عندنا وتؤانسنا قال ان شئت خذ بيدى فاخذت بيده وسرت
الى الدار وقلت لها ياسيدتى اتيت بمغن اعمى نلتذ به ولا يرانا فقالت على به فادخلته
وعزمت عليه فى الطعام فاكل اكلا لطيفا وغسل يده وقدمت اليه الشراب فشرب
ثلاثة اقداح ثم قال لى من تكون قلت اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال لقد كنت اسمع
بك والآن فرحت بمنادمتك فقلت يا سيدى فرحت بمن يسرك فقال غن يا
اسحاق فاخذت العود على سبيل المجون وقلت السمع والطاعة فلما غنيت وانقضى
الصوت قال يا اسحاق قاربت ان تكون مغنيا فصغرت على نفسى والقيت العود
من يدى فقال ما عندك من يحسن الغناء قلت عندى جارية قال مرها
فلتغن قلت تغنى وانت واثق بغناها قال نعم فغنت قال ما صنعت شيئا فرمت
العود من يدها مغضبة وقالت الذى عندنا جدنا به فان كان عندك شئ فتفضل
به فقال على بعود لم تمسه يد فامرت الخادم فجاء بعود جديد فضرب فى طريق

(لا اعرفها واندفع يغنى هذه الابيات)

سرى يقطع الظلماء والليل عاكف	حبيب باوقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها	ايدخل محجوب على الباب واقف

قال فنظرت الى الجارية شزرا وقالت سر بينى وبينك ما وسعه صدرك ساعة
واودعته لهذا الرجل فحلفت لها ثم اعتذرت اليها واخذت اقبل يديها
وادغدغ ثديها واعض خدها حتى ضحكت ثم التفت الى الاعمى وقلت

(غن يا سيدى فاخذ العود وغنى هذه الابيات)

الا ربما زرت الملاح وربما	لمست بكفى للبنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم ازل	اعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها يا سيدتى من اعلمه بما نحن فيه قالت صدقت ثم تجنبناه فقال انى
لحاقن فقلت يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه فخرج وابطأ فخرجنا فى طلبه
فلم نجده واذا الابواب مغلقة والمفاتيح فى الخزانة فلا ندرى افى السماء صعد

او فی الارض هبط ثم علمت انه ابلیس وانه قادلی ثم انصرف فتذکرت قول

(ابی نواس حیث قال)

عجبت من ابلیس فی کبره	وخبث ما اضمر فی نیته
تاه علی آدم فی سجدة	وصار قواداً لذریته

ونظیر ذلك مما یستظرف لابی نواس ما حکی عنه انه قال ضجرت من ملازمة امیر المؤمنین هارون الرشید حتی انی لم اجد فراغا الی نفسی فتوجه امیر المؤمنین الی السرح لیبیت فیه ثم یعود فوجدت لروحی فرصة فدخلت داری واغلقت بابی واحضرت شرابا وطلبت نفسی الخلوة فعند المساء واذا بالباب یطرق فخرجت واذا انا بظبی من اولاد الاتراك ما رأت عینی احسن منه منظرا فسلم علی وقال اتقبل ضیفا قلت یا سیدی ومن لی بذلك فدخل بیتی فحار عقلی عند دخوله ثم اخرج من تحت ثیابه سلاحیة شراب ونقلا وشیئا من الدجاج ثم شرب وغنی شیئا لم اسمعه من غیره وقضیت مرادی منه مرارا الی ان مضی وقت من اللیل وقد هام عقلی من الشراب ومن حسنه ومن تسلیم نفسه الی بغیر تقدیم عوض ثم قال یا سیدی ارید الانصراف فقلت له یا سیدی متی خرجت انت خرجت روحی من جسدی وكل شیء املکه بین یدیك وانا اصیر عبدك بعد هذا الیوم ولا افارقك قال اصحیح ما تقول قلت نعم قال ما انا محتاج الی مالك وان کنت صادقا فیما ادعیت من محبتك لی قم واحلق لحیتك وشاربك وتقعد مثلی امرد قال فحکم علی السکر والعشق فما قدرت ان اخالفه فاجبته الی ذلك علی انه یبیت عندی فعمد الی موسی وبل لحیتی وفی الحال ازالها وبقیت مثله امرد ثم صار یضحك علی وقال یا ابا نواس کیف الشعر الذی ذکرت فیه آدم وابلیس فانشدته

(فانشدته قائلا)

عجبت من ابلیس فی کبره	وخبث ما اضمر فی نیته
تاه علی آدم فی سجدة	وصار قواداً لذریته

ثم ضحك ضحكا عاليا وصل على ساحل تفاه صكا مزعجا فاغتظت منه ثم قلت له ويلك اتفعل بي هكذا ثم اردت التطلع اليه فما وجدت احدا بجنبي

فقلت انه الملعون ابليس انتهى وقال بعضهم

قد جاءني بالليل ابو مرة	ابليس يدعوني بلا ترجمان
وقال هل لك في امرد	يهتز من اعطافه غصن بان
قلت نعم قال وفي خمرة	حبابها يحكي عقود الجمان
قلت نعم قال فنم آمنا	فانت رئيس هذا الزمان

وقال ابو نواس

وليلة طال سهادي بها	فزارني ابليس عند الرقاد
وقال هل لك في قحبة	لبيبة تطرد عنك الرقاد
قلت نعم قال وفي قهوة	عتقها العاصر من عهد عاد
قلت نعم قال وفي مطرب	اذا شدا يطرب منا الجماد
قلت نعم قال وفي شادن	قد كحلت اجفانه بالسواد
قلت نعم قال وفي طفلة	في وجنتيها للحياء انقياد
قلت نعم قال فنم آمنا	يا كعبة الفسق ومركز الفساد

وقال زين الدين عمر بن الوردي معارضا لذلك

نمت وابليس اتى	بحيلة مستدبه
فقال ما قولك في	حشيشة منتخبه
فقلت لا قال ولا	خمرة كرم مذهبه
فقلت لا قال ولا	مليحة مطيبة
فقلت لا قال ولا	اغيد بالبدر اشتبه
فقلت لا قال ولا	آلة لهو مطربة
فقلت لا قال فنم	ما انت الا حطبه

واحضر ابو نواس عند الرشيد ليلة انس وكان ابو طوق حاضرا وكان ابو نواس
مشغوفا بحسنه وجماله فلما انقضى المجلس اخذ كل واحد مضجعا للنوم فخاف الخليفة
من ابى نواس على ابى طوق فقال الخليفة لابى طوق ثم انت على السرير وقال لابى
نواس انام انا وانت اسفل السرير فقال سمعا وطاعة وهو بذلك غير راض فى نفسه
وتغافل الخليفة عن ابى نواس واظهر النوم ثم انتبه فوجد ابا نواس فوق السرير بجنب
ابى طوق يضمه ويعانقه فقال ما هذا يا ابا نواس فقال هزنى الشوق من اجل ابى
طوق فقد خرجت من اسفل جئت الى فوق فقال له قاتلك الله انتهى من حلبة الكميت
(ومن غريب ما يحكى) ما حكاه القاضى ابو الحسن التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة
ان منارة وكان صاحب شرطة الرشيد قال رفع الى هارون الرشيد ان رجلا
بدمشق من بقايا بنى امية عظيم المال كثير الجاه مطاع فى البلد له جماعة واولاد
ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير
البذل والضيافة وانه لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان و
قوف الرشيد على هذا بالكوفة فى بعض حججه فى سنة ست وثمانين ومائة و
قد عاد من الموسم وقد بايع للامين والمأمون والمعتصم اولاده فدعانى وهو خالٍ
وقال انى دعوتك لامر يهمنى وقد منعنى النوم فانظر كيف يكون ثم قص على خبر
الاموى وقال اخرج الساعة فقد اعددت لك الخيول وازحت علتك فى الزاد و
النفقة والآلة وتضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابى الى نائب دمشق
وهذه قيود فابدأ بالرجل فان سمع واطاع فقيده وجئنى به وان عصى فتوكل
عليه انت ومن معك لئلا يهرب وانفذ الكتاب الى امير دمشق ليكون مساعدا
واقبضا عليه وجئنى به واجلتك لذهابك ستا ولايابك ستا ويوما للمقامك
وهذا محمل تجعله فى شقة منه اذا قيدته وتقعد انت فى الشقة الاخرى ولا تكل
حفظه الى غيرك حتى تأتينى به فى الثالث عشر يوما من خروجك فاذا دخلت
داره فتفقدها وجميع ما فيها من اهله وولده وحاشيته وغلمانه وقدر نعمته

جواز سرد

والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من الفاظه منذ يقع طرفك
عليه حتى تأتيني به واياك ان يشكل عليك شيئا من امره انطلق قال امنارة
فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الابل وسرت اطوى المنازل اسير الليل
والنهار ولا انزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس لناس قليلا الى ان
وصلت الى دمشق فى اول الليلة السابعة وابواب لبلد مغلقة فكرهت طرقها
ليلا فبت بظاهر البلد الى ان فتح بابها من غد فدخلت على هيئتى حتى اتيت باب
الرجل وعليه صف عظيم وحاشية كثيرة فلم استأذن ودخلت بغير اذن فلما
رأى القوم ذلك سألوا بعض من معى عنى قال هذا منارة رسول امير المؤمنين
الى صاحبكم قال فلما صرت فى صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رايت فيه قوما
جلوسا فظننت ان الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بى فقلت افيكم فلان قالوا لا
نحن اولاده وهو فى الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وانا اتفقد
الدار والاحوال والحاشية فوجدتها ماجت باهلها موجا كثيرا فلم ازل كذلك
حتى خرج الرجل بعد ان طال مكثه واستربت منه واشتد قلقى وخوفى من ان
يتوارى الى ان رايت شخصا بزى الحمام يمشى فى صحن الدار وحواليه جماعة كهول
واحداث وصبيان وهم اولاده وغلمانه فقلت انه الرجل فجاء وجلس وسلم على
سلاما خفيفا وسألنى عن امير المؤمنين واستقامة امر حضرته فاخبرته بما
وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا باطباق فاكهة فقال تقدم يا منارة وكل معنا
فقلت مالى الى ذلك من سبيل فلم يعاودنى فاكل هو ومن معه ثم غسل يديه
ودعا بالطعام فجاؤا اليه بمائدة حسنة لم ار مثلها الا للخليفة فقال يا منارة ساعدنا
على الاكل لا يزيدنى على ان يدعونى باسمى كما يدعونى الخليفة فامتنعت عليه
فما عاودنى فاكل هو ومن معه وكانوا تسعة من اولاده فتاملت اكله فى نفسه فوجدته
ياكل اكل الملوك ووجدت ذلك الاضطراب الذى كان فى داره قد سكن ووجدتهم
لا يرفعون شيئا من بين يديه قد وضع على المائدة الا نهبا غيره حالا اعظم

واحسن منه وقد كان غلمانه اخذ والما نزلت الى الدار مالى وغلمانى وعدلوا
بهم الى دار اخرى فما اطاقوا ما نعتهم وبقيت وحدى وليس بين يدى الاخمسر
او ست غلمان وقوف على راسى فقلت فى نفسى هذا جبار عنيد فان امتنع
من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسى ولا بمن معى ولا حفظه الا ان يلحقنى امير
البلد وجزعت جزعا شديدا ورايت منه استخفافه وتهاونه بامرى يدعونى
باسمى ولا يفكر فى امتناعى من الاكل ولا يسال عما جئت به ويأكل مطمئنا وانا
مفكر فى ذلك فلما فرغ من اكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخر وقام الى الصلاة
وصلى الظهر واكثر من الدعاء والابتهال ورايت صلاته حسنة فلما انفتل من المحراب
اقبل على وقال ما اقدمك يامنارة فاخرجت كتاب امير المؤمنين ودفعته اليه
ففضه وقرأه فلما استتم قرأته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم اشك
انه يريد انه يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ فحلف ايمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق
والحج والصدقة والوقف ان لا يجتمع اثنان فى موضع واحد وامرهم ان ينصرفوا
ويدخلوا منازلهم ولا يظهروا الى ان يكشف لهم امر يعتمدون عليه وقال هذا كتاب
امير المؤمنين بالمضى اليه ولست اقيم بعد نظرى فيه ساعة واحدة واستوصوا
بمن ورائى من الحريم خيرا ومالى حاجة ان يصحبنى احد هات قيودك يامنارة فدعوت
بها وكانت فى سفط ومد يده فقيدته وامرت غلمانى بحمله حتى صار فى المحمل و
ركبت فى الشق الآخر وسرت من وقتى ولم الاق امير البلد ولا غيره وسرت بالرجل
وليس معه احد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثنى بانبساط حتى انتهينا الى
بستان حسن فى الغوطة فقال لى اترى هذا قلت نعم قال انه لى فقال ان فيه
من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع
حسان وقرى فقال مثل ذلك هذا لى فاشتد غيظى منه وقلت الست تعلم ان
امير المؤمنين اهمه امرك حتى ارسل اليك من انتزعك من بين اهلك ومالك
وولدك واخرجك فريدا مقيدا معلولا لاتدرى الى ما يصير اليه امرك ولا كيف

يكون وانت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك بعد
ان جئتك وانت لا تفكر فيما جئت به وانت ساكن القلب قليل التفكر
لقد كنت عندى شيخا فاضلا فقال لى مجيبا انا لله وانا اليه راجعون اخطأت
فراستى فيك لقد ظننت انك رجل كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء
هذا المحل الا لما عرفوك فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام والله المستعان
اما قولك فى امير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياى الى بابه على صورتى هذه
فانى على ثقة من الله عز وجل الذى بيده ناصية امير المؤمنين ولا يملك
امير المؤمنين لنفسه نفعا ولا ضرا الا باذن الله عز وجل ولا ذنب لى عند امير
المؤمنين اخافه وبعد فاذا عرف امير المؤمنين امرى وعرف سلامتى وصلاح
ناحيتى سرحنى مكرما فان الحسدة والاعداء رموني عنده بما ليس فى وتقولوا
على الاقاويل ويستحل دمى ويخرج من ايذاى وازعاجى ويردنى مكرما ويقيمنى
ببلاده معظما مبجلا وان كان قد سبق فى علم الله عز وجل انه يبدو لى منه سوء
وقد اقترب اجلى وكان سفك دمى على يده فلو اجتهدت الملائكة والانبياء واهل
الارض والسماء على صرف ذلك عنى ما استطاعوا فلم اتعجل الفكرة فيما فرغ الله منه
وانى احسن الظن بالله الذى خلق ورزق واحيا وامات وان الصبر والرضا والتسليم
الى من يملك الدنيا والآخرة وقد كنت احسب انك تعرف هذا فاذن قد عرفت مبلغ
فهمك فانى لا اكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق بيننا امير المؤمنين ان شاء الله تعالى
ثم اعرض عنى فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح او طلب ماء او حاجة حتى شارفنا
الكوفة فى اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجيب قد استقبلني قبل ستة فراسخ من
الكوفة يتجسسوا خبرى فحين رأونى رجعوا عنى متقدمين بالخبر الى امير المؤمنين
فانتهيت الى الباب فى آخر النهار فحططت رحلى ودخلت على الرشيد وقبلت الارض
بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك يا منارة واياك ان تغفل منه عن لفظة
واحدة فسقت الحديث من اوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام و

الغسل والبخور وما حدثتني به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه امير
المؤمنين ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الامور من الصلاة والتفاته الى و
سؤاله عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده واهله
واصحابه وحلفه عليهم ان لا يتبعه احد وصرفنا اياهم ومده رجليه فقيدته فما زال
وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت الى ما خاطبني به عند توبيخي له لما ركبنا في
المحمل فقال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري
لقد ازعجناه واذيناه ورعنا اهله فبادر بنزع قيوده واتني به قال فخرجت ففككت
قيوده وادخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رايت ماء الحياة يجول في وجه
الرشيد فدنا الاموي وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد ردا جميلا وامره
بالجلوس فجلس واقبل عليه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له بلغنا عنك فضل
هيئة وامور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك
فاجاب الاموي جوابا جميلا وشكر ودعا ثم قال ليس لي عند امير المؤمنين الا حاجة
واحدة فقال مقضية فما هي قال يا امير المؤمنين تردني الى بلدي واهلي وولدي
قال نفعل ذلك ولكن سل ما تحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك
لا يخرج الا ويحتاج الى شئ من هذا فقال يا امير المؤمنين عمالك منصفون وقد
استغنيت بعدلهم عن مسألتي فاموري مستقيمة وكذلك اهل بلدي بالعدل
الشامل في ظل امير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب
الينا بامر ان عرض لك فودعه الاموي فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله
من وقتك وسر به راجعا كما سرته حتى اذا وصلت الى مجلسه الذي اخذته منه فودعه
وانصرف قال منارة فما زلت معه حتى انتهى الى محله ففرحت به اهله واعطاني
عطاء جزيلا وانصرفت والله اعلم وهذه الحكاية على سبيل الاختصار (حكي)
ان الخليفة هارون الرشيد قلق في بعض الليالي قلقا شديدا فاستدعى بوزيره
جعفر البرمكي وقال له يا وزير ان صدري ضيق ومرادي الليلة التفرج في شوارع

بغداد

بغداد وننظر فی مصالح العباد بشرط ان لا یعرفنا احد من الناس ونتزیا بزی التجار
الاکیاس فقال له الوزیر السمع والطاعة فقاموا فی الوقت والساعة قلعوا ما علیهم
من ثیاب الملك والافتخار ولبسوا ثیاب التجار الخلیفة والوزیر جعفر ومسرور السیاف
الاکبر وتمشوا من مکان الی مکان حتی وصلوا الی الدجلة فراوا بالامر المقدور شیخا
قاعدا فی شختور فتقدموا الیه وسلموا علیه وقالوا یا شیخ نشتهی من احسانك
وفضلك ان تفرجنا اللیلة فی مرکبك وخذ هذین الدینارین اجرتك اشفع بهما
فقال لهم الشیخ من الذی یقدر علی الفرجة والخلیفة هارون الرشید ینزل کل
لیلة فی حراقة صغیرة الی الدجلة ومعه منادی ینادی معاشر الناس کافة جلیه
وردی شیخ وصبی خاص وعام عبدا وغلام کل من نزل فی مرکب باللیل وشق الدجلة
ضربت عنقه او یشنق علی صاری مرکبه وکانك الساعة بالحراقة وهی مقبلة فقال له
الخلیفة هارون الرشید وجعفر البرمکی یا شیخ خذ هذین الدینارین وادخل
بنا قبوا من هذه الاقبیة الی ان تروح الحراقیة فقال لهم الشیخ هاتوا الذهب
والمستعان بالله فاخذ الذهب وعوم بهم قلیلا واذا بالحراقة قد اقبلت من
کبد الدجلة وفیها الشموع والمشاعل فقال لهم الشیخ ما قلت لکم یا ستار لا تکشف
الاستار فقال الخلیفة هارون الرشید والوزیر جعفر البرمکی ادخل بنا یا شیخ
فی قبو من الاقبیة حتی تمضی هذه الحراقة ندخل بهم الی قبو ووضع علیهم میزرا
اسود وصاروا یتفرجون من تحت المیزر واذا بالحراقة قد اقبلت والشمع یوقد
فیها واذا فی مقدم الحراقة مشاعلی بیده مشعل من الذهب الاحمر یوقد فیه بالعود
القاقلی وعلی المشاعلی قباء اطلس احمر بطوانز مزرکش اصفر وعلی راسه شاس موصلی
وعلی کتفیه مخلاة من الحریر الاخضر ملآنة من العود القاقلی وهو یوقد
به عوض الحطب ومشاعلی آخر فی مؤخر الحراقة مثله ومائتی مملوك واقفین
میمنة ومیسرة وکرسی منصوب من الذهب الاحمر وعلیه شاب حسن جالس
کالقمر وعلیه خلعة سوداء بطرازین من الذهب الاصفر وبین یدیه انسان

برقعه
نوعی از کشتیها

كانه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كانه مسرور بسيف مشهور وعشر ونديما
فقال الخليفة يا جعفر فقال لبيك يا امير المؤمنين قال لعله ان يكون هذا احد اولادى اما
المأمون او محمد الامين فلما وصلت الحراقة اليهم واذا بالمشاعلى ينادى معاشر
الناس كافة الخاص والعام الجيد والردى والعبد والغلام جهاوات وغير
جهاوات قد رسم خليفتنا هذا ان كل من تفرج فى الدجلة او فتح طاقة حل ماله
وضربت رقبته ومن لا يصدق يجرب قال فتأمل الخليفة هارون الرشيد
فى الشاب وهو جالس على كرسى من الذهب قد كمل بالحسن والبهاء والكمال وقد
المنصب فلما تامله هارون الرشيد التفت الى الوزير قال يا وزير فقال له لبيك
يا امير المؤمنين قال والله ما بقى شيئا من شكل الخلافة وهذا الذى بين
يديه كانه انت يا جعفر لا محالة والخادم الذى على رأسه كانه مسرور وهذا
وهؤلاء الندماء كانهم ندماءى وقد حار عقلى فى هذا الامر فقال له الوزير
وانا والله يا امير المؤمنين كذلك ثم تقدمت الحراقة الى ان غابت عن العين
فعند ذلك خرج الشيخ بالشختور الذى فيه الجماعة من تحت القبو وقال الحمد لله
على السلامة الذى لم يصادفنا فقال له الخليفة يا شيخ وهذا الخليفة ينزل
كل ليلة فى الدجلة قال نعم يا سيدى له على هذه الحالة سنة كاملة فقال
له الخليفة يا شيخ نشتهى من فضلك واحسانك ان تقف لنا ليلة غد فى هذا
المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم غرباء وقصدنا التنزه ونحن
نازلون فى الفندق فقال الشيخ السمع والطاعة قال ثم ان الخليفة وجعفر و
مسرور توجهوا من عند الشيخ المراكبى الى القصر وقلعوا ما عليهم من لبس التجار
ولبسوا ثياب الملك والافتخار وجلس كل واحد فى مرتبته ودخلت الامراء والحجاب
والنواب وانعقد المجلس بالناس ولما انقضى النهار وتفرقت الاجناس قال
الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثانى
فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا منشرحين الصدور وكان

خروجهم

خروجهم من باب السر فلما وصلوا الى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب التختور لهم في
الانتظار فنزلوا عنده في المركب فلما استقروا مع الشيخ المراكبي واذا بالخليفة الثاني
في الحراقة وقد اقبلت عليهم فتاملوها واذا فيها مائتا مملوك غير المماليك الاول
المشاعلية تنادى على عادتهم فقال الخليفة ياوزير هذا شي لو سمعت به ما
صدقت ولكن رايت هذا عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب التختور ياشيخ هذه
عشر دنانير وسر بنا في مساواتهم فانهم في النور ونحن في الظلام ننظرهم و نتفرج
عليهم وهم لا ينظروننا فاخذ الشيخ العشرة دنانير واطلق التختور في مساواتهم و
صار في ظلام الحراقة ولم يزالوا سائرين في اثرهم الى آخر البساتين واذا بزريبة
بطول الحراقة التصقت عليها واذا بغلامين واقفين ومعهما بغلة مسرجة
ملجمة فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندمان وزعقت المشاعلية
والجاويشية واشتغلت الغاشية وطلع هارون الرشيد وجعفر ومسرور الى
البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فراوا
ثلاثة انفار لبسهم لبس التجار وهم غرباء فانكروهم وغمزوا عليهم فمسكوهم واحضروهم
بين يدى الخليفة الثاني فلما نظرهم قال كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذى
جاء بكم في مثل هذا الوقت فقالوا يا مولانا اليوم كان قدومنا ونحن قوم غرباء
تجار وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قد اقبلتم وجاؤا هؤلاء وقبضوا علينا واوقفونا
بين ايديكم وهذا خبرنا فقال لهم الخليفة الثاني طيبوا قلوبكم فلا بأس عليكم
لانكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد لضربت اعناقكم للمخالفة ثم التفت الى وزيره
وقال خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا ضيوفنا الليلة فقال سمعا وطاعة ثم ساروا الى
ان وصلوا الى قصر عظيم الشان محكم البنيان ما حواه سلطان قصر قام من
التراب وتعلق باكناف السحاب بابه من خشب الساج مرصع بالذهب الوهاج
يدخل منه الى ايوان بفسقية وشاذروان وحصر عبدانى ومخدات سكندراني
وصغير مسبول وفرش تدهل العقول وعلى عتبة الباب مكتوب

هذه الابيات

فقصر عليه تحية وسلام	نشرت عليه جمالها الايام
فيه العجائب والغرائب نوعت	فتحيرت فى نعتها الاقلام

قال فدخل الخليفة الثانى الى القصر والجماعة فى خدمته الى ان جلس على كرسى
من الذهب مرصع بالدر والجوهر وعلى الكرسى بشخانة من الحرير الاخضر لا يرى
مثلها الا عند كسرى وقيصر مزركشة بالذهب الاحمر معلقة فى بكرة من الصندل
رياحاتها من الحرير الاصفر هذا وقد جلس الندماء فى مراتبهم وصاحب سيف
النقمة واقف بين يديه فمدوا السماط واكلوا ورفعوا الخوان ولايديهم غسلوا و
احضرت آلة المدام ووضعت الطاسات والاوانى وصففت الاباريق والكاسات
والقنانى ودار الدور الى ان وصل الى الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب
فقال الخليفة الثانى لجعفر ما بال صاحبك لا يشرب فقال يا مولاى له مدة ما
شرب فقال الشاب عندى مشروب غير هذا يصلح لصاحبك على شراب
التفاح ففى الحال احضر فتقدم بين يدى هارون الرشيد وقال كلما وصل
اليك الدور فاشرب من هذا ولا زالوا يشربون فى انشراح وتعاطى اقداح
الى ان تمكن الشراب من روسهم واستولى على عقولهم ونفوسهم فقال الرشيد
لوزيره والله يا وزير ما عندنا آنية مثل هذه الآنية فياليت شعرى من يكون
هذا الشاب فبينما هما يتحدثان بلطافة اذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد
الوزير يتوشوش مع الخليفة فقال الوشوشة عربدة فقال الوزير ما ثم عربدة
الا ان رفيقى هذا يقول سافرت غالب البلاد ونادمت الملوك وعاشرت
الاجناد ما رايت احسن من هذا النظام ولا مثل آنية هذا المدام الا ان اهل
بغداد يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجون فلما سمع الخليفة الثانى هذا
الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا بباب
قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج مصفحا بالذهب الوهاج وخلفه

جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية وبيدها عود من صنعة الهنود وسازنه وحنت اليه وغنت بعد ان ضربت اربعة وعشرين طريقة عليه فاذهلت العقول و عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

لسان الهوى من مقلتي لك ناطق	يخبر عني انني لك عاشق
ولي شاهد من طرف قلبي معذب	وقلبي جريح من فراقك خافق
وكم اكتم الحب الذي قد اذابني	وقلبي قريح والدموع سوابق
وما كنت ادري قبل حبك ما الهوى	ولكن قضا الرحمن في الخلق سابق

قال فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التي كانت عليه الى الذيل فاسبلت عليه البشخانة واتي ببدلة غيرها احسن منها فلبسها وجلس على عادته فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة واذا الباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسيا من الذهب وخلفه جارية احسن من الاولى وجلست على الكرسي وبيدها عود يكمد الحسود وانشدت تقول

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي	والدمع من مقلتي طوفانه مدد
والله ما طاب لي عيش اسر به	وكيف يفرح قلب حشوه كمد

قال فصرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه الى الذيل واسبلت عليه البشخانة على العادة واتوا ببدلة غيرها احسن منها فلبسها واستوى جالسا ودار المدام وانبسط الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم على العادة ومعه كرسي وخلفه جارية فجلست على الكرسي ومعها عود بين هل الاسود فغنت وانشدت تقول

اقصروا الهجر كم وقلوا جفاكم	فؤادي وحقكم ما سلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا	ذا غرام متيما في هواكم
قد براه السقام من عظم وجد	يتمنى من الاله رضاكم

كيف اختار فى الانام سواكم	يا بدور محلكم فى فؤادى

قال فصرخ الشاب وشق ما عليه من الثياب فارخوا عليه البشخانة واتوه ببدلة غيرها وعاد الى حالته مع ندمائه ودارت الاقداح وطاب الانشراح فلما وصل اليه وضرب بالقضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم حامل كرسيا وخلفه جارية فجلست على الكرسى واخذت العود وغنت تقول

ويرجع ما قد نقضنى لى اولا	نرى ينصرم حال التهاجر والقلا
فى طيب عيش والحواسد غفلا	ايام كنا والديار تلمنا
من بعدها تيك المنازل والحلا	غدر الزمان بنا وفرق شملنا
وارى لقلبى ما يطيع العذلا	اتروم منى يا عذولى سلوة
القلب من انس المحبة ما خلا	فدع الملام وخلنى بصبابتى
لا تحسبوا قلبى لبعدكم سلا	يا سادة نقضوا العهود وبدلوا

قال فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب ووقع الى الارض مغشيا عليه وسقط منه القوى والحيل فارادوا ان يرخوا عليه البشخانة على العادة فتعوقت حبالها بالارادة فلاحت من هارون الرشيد التفاته منسارع فنظر على اجناب الشاب اثر مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتاكيد لجعفر والله انه شاب مليح الا انه لص قبيح وما عندا حد منه خبر هل رايت ما على جنبيه من الاثر وقد اسبلت البشخانة على العادة واتوا ببدلة غيرها فلبسها وقد افاق من غشوته فاستوى جالسا على العادة مع الندمان فحانت منه التفاتة فوجد جعفر والخليفة يتحدثان فقال لهما ما الخبر يا فتيان فقال جعفر يا مولاى خير لا شك ولا خفا ان رفيقى هذا من التجار الكبار وسافر جميع الامصار وصحب الملوك والاخيار وقال ان الذى حصل من مولانا الخليفة فى هذه الليلة اسراف عظيم لم ار احدا فعل هذا الفعل فى هذه الاقاليم لانه شق كل بدلة بخمسمائة دينار وهذا شئ زائد فى العيار فقال الشاب يا هذا

المال مالي والقماش قماشي وهذا من بعض نعامي على الخدم والحواشي فان كل بدلة شققتها هي لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم ان العوض على كل بدلة خمسمائة دينار فانشد عند ذلك الوزير جعفر يقول

بنت المكارم وسط كفك منزلا	فجميع مالك للانام مباح
واذا المكارم اغلقت ابوابها	يوما فانت لقفلها مفتاح

قال فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بالف دينار وبدلة ثم دارت بينهم اقداح وطاب لهم شراب الراح فقال الرشيد يا جعفر اسأله عن الضرب الذي رايناه على جنبيه حتى ننظر ما يقول في جوابه فقال الوزير يا مولاي لا تعجل وترفق بنفسك فالصبر اجمل وقال وحياة راسي وتربة العباس ما لم تسأله احمدت منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال ما لك مع رفيقك وما الخبر فقال خير يا مولانا فقال سألتك بالله الا ما اخبرتني بخبره ولا تكتم عني شيئا من امره فقال يا مولاي انه ابصر على جنبيك اثر سياط فتعجب من ذلك غاية العجب وقال يا الله العجب الخليفة يضرب وقصده يعلم ما السبب فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال اللهم فنعم اعلموا ان حديثي عجيب وامري غريب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم تاوه وان واشتكى وبكى وانشد يقول

حديثي عجيب حاز كل العجائب	وحق الهوى قد عرف بالمواهب
فان شئتموا ان تسمعوا لي فانصتوا	ويطيب هذا الجمع من كل جانب
واصغوا الى قولي ففيه اشارة	وان كلامي صادق غير كاذب
لاني قتيل من غرام ولوعة	وقاتلتي فاقت جميع الكواعب
لها مقلة كحلاء وخد مورد	ويقتلني منها قسي الحواجب
قد حس قلبي ان فيكم اماما	خليفة هذا الوقت ابن الاطايب
وثانيكم يدعى الوزير بجعفر	حقيقة يدعى صاحبا وابن صاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة	فان كان هذا القول حقا بصائب

فقدنلت ما ارجو على كل حالة	وجاء سرور القلب من كل جانب

قال فعند ذلك حلف له جعفر انهم لم يكونوا المدكورين فضحك الشاب وقال
الذي اعرفكم به انى ما انا امير المؤمنين وانما سميت نفسى بهذا الاسم لابلغ
ما اريد من ابناء المدينة واسمى على بن محمد الجوهرى وان ابى كان من الاعيان
ومات وخلف لى اموالا لا تاكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان و
ياقوت وجوهر وزمرد ويهرمان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق و
طواحين وعبيد وجوارى وغلمان فلما كان فى بعض الايام وانا جالس فى حانوتى
وحولى الحشم والخدم واذا انا بجارية قد اقبلت على بغلة وفى خدمتها ثلاث
جوار كانهن الاقمار ونزلت على دكانى وجلست وقالت انت على بن محمد الجوهرى
فقلت لها مملوكك وعبدك قلت فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلى
فقلت لها يا ستى الذى عندى يحضر بين يديك فان اعجبك شئ كان بسعد
المملوك وان لم يعجبك شئ منه فبسوء حظى وكان عندى مائة عقد جوهر
فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شئ منهم وقالت اريد احسن مما رايت وكان عندى
عقد صغير شراه على والدى بمائة الف دينار لم يوجد مثله عند احد من السلاطين
الكبار فقلت يا سيدتى بقى عندى عقد الفصوص والجواهر الذى لم يملكه
احد من الاصاغر والاكابر فقالت ارنى اياه فلما راته قالت هذا الذى طول
عمرى اتمناه ثم قالت بكم ثمنه فى الاسعار فقلت شراؤه على والدى بمائة الف دينار
فقالت ولك خمسة آلاف فائدة فقلت لها يا سيدتى العقد وصاحبه فى الرق
بين يديك ولا خلاف فقالت لابد من الفائدة ولك الجميلة الزائدة وقامت من
وقتها عجلة وركبت سرعة البغلة وقالت يا سيدى نور الدين باسم الله تكرم بصحبتنا
لتاخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معها
فى امان الى ان وصلنا الدار فوجدت تهادارا عليها السعادة لائحة والافتخار وعلى
بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجب هذه الابيات ـــــــ

ولا يغدر بصاحبك الزمان	الا يا دار لا يدخلك حزن
اذا ما ضاق بالضيف المكان	فنعم الدار انت لكل ضيف

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرت بجلوسي الى ان يأتي الصيرفي فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا الجارية خرجت الي وقالت يا سيدي ادخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة ساعة واذا الجارية خرجت الي وقالت يا سيدي تقول لك سيدتي ادخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت البيت وجلست حيث امرتني واذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترت مني العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد في عنقها فاندهش عقلي وحار ذهني ولبي من رؤية تلك الجارية وحسنها فلما رأتني قامت من على الكرسي وسعت الى نحوي وقالت يا نور الدين من كان مليحا مثلك يرثي لمحبوبه فقلت يا سيدتي الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا علي اعلم اني احبك وما صدقت بتيني بك الا لما صرت عندي ثم انها طوقت علي وعانقتني فقبلتها وقبلتني ثم جذبتني وعلى صدرها رمتني فلما علمت مني اني اريد ان اهم بها قالت يا علي اتريد ان تجتمع بي في الحرام والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبيح الكلام فاني بكر عذراء ما دنا مني احد ولست مجهولة في البلد اتعلم من انا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت انا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي واخي جعفر فلما سمعت ذلك منها احجمت خاطري عنها وقلت يا سيدتي ما لي ذنب في التهجم عليك انت التي اطمعتيني في احسانك والوصول الى جنابك فقالت لا بأس عليك ولا بد من الاحسان اليك فان امري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد ان اكون لك وتكون لي ثم انها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين علي بن الجوهري قد طلب زواجي ودفع

لى هذا العقد مهرى وانا قد قبلت ورضيت ثم ان القاضى رحمه الله تعالى واثنى عليه وكتب الكتاب فدخلت عليها بعد ان اعطت للقضاة شيئا ماله حساب واحضرت المدام واحضرت الاقداح باحسن نظام فلما اشعشعت الخمرة فى روسنا امرت جارية عودية ان تغنى فانشأت تقول

قلبى وآمالى بباب رجاكمو	لا ابتغى فى الكون غير رضاكمو
يا جيرة جاروا على ببعدهم	حنوا علينا وارحموا مضناكمو
حاشاكمو يا سادتى حاشاكمو	صبا معنى مغرما بهواكمو
بالله جودوا وارحموا المتيم	لا يستمع فيكم حديث سواكمو
موسى اشتياقى فوق طور رضاكمو	فاذا اشتجاه حسنكم ناجاكمو

قال فاطربتنا الجارية بحسن غناها ولم تزل الجوارى يغنين جارية بعد جارية وينشدن الاشعار الى ان غنت عشر جوار فعند ذلك اخذت العود الست دنيا وانشدت تقول

اقسم بلين قوامك المياس	انى لنار الهجر منك اقاسى
فارحم لصب فى هواك متيم	يا بدر تم انت سيد الناس
انعم بوصلك كما بات لويلة	اجلو جمالك فى ضياء الكاس
ما بين ورد جمعت الوانه	مع نرجس ايضا وحسن الآس

قال الشاب ثم انى اخذت منها العود وضربت عليه وغنيت هذه

الابيات

سبحان ربى جميع الحسن اعطاك	حتى بقيت انا من بعض اسراك
يا من لها ناظر تسبى الانام به	خذى الامان لنا من سحر عيناك
فالماء والنار فى خديك قد جمعا	والورد جوهرة نبتت فى وسط خداك
انت الغرام لقلبى والنعيم له	فما امرك فى قلبى واحلاك

قال فلما سمعت منى ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوارى وقمنا

الى احسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الالوان و نزعت ما عليها من
الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بنتا بكرا لم يمسها رجل
ففرحت بي و فرحت بها فرحا لم اجد في عمري ليلة اطيب منها و فيها

(انشدت اقول)

يا ليل دم لي لا اريد صباحا	يكفي بوجه معانقي مصباحا
طوقته طوق الحمام بساعدي	وجعلت كفي للثام وشاحا
هذا هو الفوز العظيم فمن لنا	متعا نقين فلا نريد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا و قد نسيت الدكان والاهل والاوطان الى ذات
يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وانت اقعد
على هذا السرير الى ان ارجع اليك فقلت سمعا وطاعة وحلفتني ان لا انتقل من
موضعي فاخذت جواريها و ذهبت الى الحمام فوالله يا اخواني ما لحقت تخرج
من راس الزقاق الا والباب قد فتح و دخلت منه عجوز واي عجوز و قالت يا
نور الدين الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشبابك و طيب غنائك
فقلت والله على يمين انني ما اقوم من مقامي حتى تأتي الست دنيا فقالت
العجوز يا نور الدين لا تجعل الست زبيدة تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت
من وقتي اليها والعجوز امامي الى ان اوصلتني الى الست زبيدة فلما وصلت اليها
قالت يا نور الدين انت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبدك فقالت
فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال
ولكن غن لي شيئا حتى اسمعك فقلت السمع والطاعة فاتتني بعود فغنيت

(عليه وانشدت اقول)

قلب المحب مع الاحباب متعوب	وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما في الركائب من زمت حمولهم	الا و كان له في الظعن محبوب
استودع الله لي في حيكم قمرا	يهواه قلبي وعن عيني محجوب

وكل ما يفعل المحبوب محبوب		يرضى ويغضب ما احلى له الله

فقالت لى حفظ الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والظرف والمعنى
فقم الى مكانك قبل ان تجئ اليه الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت
الارض وخرجت والعجوز امامى الى ان اوصلتنى الى الباب الذى خرجت منه
فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير
فقعدت عند رجليها وصرت اكبسها ففتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها و
رفستنى رمتنى من على السرير وقالت يا نور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت
الى الست زبيدة والله ولا خوفى من الهتيكة والفضيحة لاخربت قصرها على رأسها
ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا
به فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلى وعصب عينى واراد ان يضرب رقبتى
فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها يا ستنا ماهو باول من اخطأ
وما عرف خلقك وانت ماتبغضيه وما فعل ذنبا يوجب ان تقتليه فقالت
والله لابد ما اوثر فيه اثرا ثم انها امرت بضربى فضربت على اضلاعى الضرب
الذى رايتموه وامرت باخراجى فاخرجونى وابعدونى عن القصر ورمونى
ورجعوا وتركونى فلمت نفسى فمشيت قليلا قليلا الى ان وصلت الى منزلى و
احضرت جراحا واريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مصالحى فلما صح جسمى
دخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان واخذت جميع
ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت اربعمائة مملوك ما جمعهم احد من الملوك
يركب معى فى كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقة بالف ومائتين من
الذهب العين وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من معى من الخدام كل واحد فى
وظيفة وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولى على هذه
الحالة سنة كاملة ولم اسمع لها بخبر ولا وقفت لها على اثر ثم انه بكى وان

واشتكى وانشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيها ... ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر في تكوين خلقتها ... سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لي الا محبتها ... فكيف حال الذي قد بات ناعيها
وصيرتني حزينا ساهيا دنفا ... والقلب قد حار مني في معانيها

قال فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما ابداه من الخطاب تعجب غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شئ سببا ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف و اضمر الرشيد للشاب الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين الى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم في منزلهم الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب يا وزير علي بالشاب فخرج اليه في الحشم والخدم وساروا الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وحامي حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه في حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير الهمة عن السدة الشريفة فلما رأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز واثنى عليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامي حوزة الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما اعطاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك وانشد يقول

لا زال بابك كعبة مقصودة ... وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى في البلاد باسرها ... هذا المقام وانت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة في وجهه ورد عليه السلام واظهر له الاحسان والاكرام وقربه اليه واجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين اريد ان تحدثني بحديثك الليلة يا مسكين فانه من اعجب الامور فقال الشاب العفو يا امير المؤمنين اعطني منديل الامان ليهدأ روعي ويطمئن قلبي فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب

يتحدث بالذي جرى له من اوله الى آخره فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبي عاشق لا محالة فقال الخليفة اتحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشأ يقول

ان رمت احسانا فهذا وقته		او رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لي اختك الست دنيا بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها في الوقت فلما مثلت بين يديه قال لها اتعرفين هذا فقالت من اين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله مما جرى مني واسأل من فيض الفضل العفو عني فضحك الخليفة واحضر القاضي والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود واكمد العدو والحسود وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره في اتم عيش ونعمة يجالس الخليفة في الليل والنهار تؤانسه الست دنيا ذات الفخار وهذا ما انتهى الينا من التلخيص والله اعلم ويحكى ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال يا جعفر بلغني انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اطلبها فانها بديعة الجمال ولي شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس علي فيها بيع قال هبنيها قال ولا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق مني ثلاثا ان لم تبعنيها او تهبنيها وقال جعفر زوجتي طالق مني ثلاثا ان بعتها او وهبتها ثم افاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا في امر عظيم وعجزا في تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير ابي يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا وقال ما طلبت في هذا الوقت الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلاة فلعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار الخلافة ودخلت فضع بين يدي الدابة شيئا منه تشتغل به الى حين خروجي فانها

لم تسنوف عليقها فى هذه الليلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد
قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك
الا لامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فى تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين هذا
من اسهل ما يكون يا جعفر بع امير المؤمنين نصفها وهب نصفها تبر من يمينكما
فسر بذلك امير المؤمنين وفعلا فقال الرشيد احضر الجارية فى هذا الوقت فانى
شديد الشوق اليها فاحضرت فقال للقاضى ابى يوسف اريد وطئها فى هذا الوقت
ولا اطيق الصبر الى مضى مدة الاستبراء اوسع لى الحيلة فى ذلك فقال ابو يوسف
ائتونى بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضر مملوك
فقال ابو يوسف يا امير المؤمنين ائذن لى ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول
فيحل وطؤها فى الحال من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فقال اذنت
لك فاوجب القاضى النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضى طلقها فقال لا هذه
صارت لى زوجة وانا لا اطلقها فرددعليه القول فابى وضاق صدر الخليفة
لذلك وقال قد اشتد الامر اعظم مما كان فقال القاضى ابى يوسف يا امير المؤمنين
ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دينار فقال لا افعل قال مائتا دينار قال لا
افعل الى ان عرضوا عليه الف دينار وهو يمتنع وقال للقاضى الطلاق بيدى
او بيد امير المؤمنين ام بيدك قال بل بيدك انت قال والله لا افعل ابدا فاشتد
غضب امير المؤمنين فقال القاضى يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك
هذا العبد للجارية فقال ملكته لها وقال لها القاضى قولى قبلت فقالت
الجارية قبلت فقال القاضى حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل فى ملكها فانفسد
النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا فى زمانى
واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضى هل معك شئ
توعيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف
فلما اصبح قال لخلانه انظروا الى من تعلم العلم فليتعلمه كذا فانى اعطيت هذا المال

فقد نلت ما ارجو على كل حالة		وجاء سرور القلب من كل جانب

قال فعند ذلك حلف له جعفر انهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال الذي اعرفكم به اني ما انا امير المؤمنين وانما سميت نفسي بهذا الاسم لابلغ ما اريد من ابناء المدينة واسمي علي بن محمد الجوهري وان ابي كان من الاعيان ومات وخلف لي اموالا لاتأكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان و ياقوت وجوهر وزمرد وبهرمان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق و طواحين وعبيد وجواري وغلمان فلما كان في بعض الايام وانا جالس في حانوتي وحولي الحشم والخدم واذا انا بجارية قد اقبلت على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوار كانهن الاقمار ونزلت على دكاني وجلست وقالت انت علي بن محمد الجوهري فقلت لها مملوكك وعبدك قلت فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلي فقلت لها يا ستي الذي عندي يحضر بين يديك فان اعجبك شئ كان بسعد المملوك وان لم يعجبك شئ منه فبسوء حظي وكان عندي مائة عقد جوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شئ منهم وقالت اريد احسن مما رايت وكان عندي عقد صغير شراه على والدي بمائة الف دينار لم يوجد مثله عند احد من السلاطين الكبار فقلت يا سيدتي بقي عندي عقد الفصوص والجواهر الذي لم يملكه احد من الاصاغر والاكابر فقالت ارني اياه فلما رأته قالت هذا الذي طول عمري اتمناه ثم قالت بكم ثمنه في الاسعار فقلت شراؤه على والدي بمائة الف دينار فقالت ولك خمسة آلاف فائدة فقلت لها يا سيدتي العقد وصاحبه في الرق بين يديك ولا خلاف فقالت لابد من الفائده ولك الجميلة الزائدة وقامت من وقتها عجلة وركبت سرعة البغلة وقالت يا سيدي نور الدين باسم الله تكن صحبتنا لتاخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معها في امان الى ان وصلنا الدار فوجدتها دارا عليها السعادة لائحة والافتخار وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجب هذه الابيات

الا يا دار لا يدخلك حزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرتنى بجلوسى الى ان يأتى الصبى فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا الجارية خرجت الى وقالت يا سيدى ادخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة ساعة واذا الجارية خرجت الى وقالت يا سيدى تقول لك سيدتى ادخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت البيت وجلست حيث امرتنى واذا بكرسى من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التى اشترت منى العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد فى عنقها فاندهش عقلى وحار ذهنى ولبى من رؤية تلك الجارية وحسنها فلما رأتنى قامت من على الكرسى وسعت الى نحوى وقالت يا نور الدين من كان مليحا مثلك يرثى لمحبوبه فقلت يا سيدتى الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا على اعلم انى احبك وما صدقت بنفسى بك الا لما صرت عندى ثم انها طوقتنى على وعانقتنى فقبلتها وقبلتنى ثم جذبتنى وعلى صدرها رمتنى فلما علمت منى انى اريد ان اهم بها قالت يا على اتريد ان تجتمع بى فى الحرام والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبيح الكلام فانى بكر عذراء ما دنا منى احد ولست مجهولة فى البلد اتعلم من انا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت انا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكى واخى جعفر فلما سمعت ذلك منها جمعت خاطرى عنها وقلت يا سيدتى ما لى ذنب فى التهجم عليك انت التى اطمعتينى فى احسانك والوصول الى جنابك فقالت لا بأس عليك ولا بد من الاحسان اليك فان امرى بيدى والقاضى ولى عقدى والقصد ان اكون لك وتكون لى ثم انها دعت بالقاضى والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين على بن الجوهرى قد طلب زواجى ودفع

لى هذا العقد مهرى وانا قد قبلت ورضيت ثم ان القاضى رحمه الله تعالى واثنى عليه وكتب الكتاب فدخلت عليها بعد ان اعطت للقضاة شيئا ماله حساب واحضرت المدام واحضرت الاقداح باحسن نظام فلما اشعشعت الخمرة فى روسنا امرت جارية عودية ان تغنى فانشأت تقول

قلبى وآمالى بباب رجاكمو	لا ابتغى فى الكون غير رضاكمو
يا جيرة جاروا على ببعدهم	حنوا علينا وارحموا مضناكمو
حاشاكمو يا سادتى حاشاكمو	صبا معنى مغرما بهواكمو
بالله جودوا وارحموا المتيم	لا يستمع فيكم حديث سواكمو
موسى اشتياقى فوق طور رضاكمو	فاذا اشجاه حسنكم ناجاكمو

قال فاطربتنا الجارية بحسن غناها ولم تزل الجوارى يغنين جارية بعد جارية وينشدن الاشعار الى ان غنت عشر جوار فعند ذلك اخذت العود السن دنيا وانشدت تقول

اقسم بلين قوامك المياس	انى لنار الهجر منك اقاسى
فارحم لصب فى هواك متيم	يا بدر تم انت سيد الناس
انعم بوصلك كما بات لويلة	اجلو جمالك فى ضياء الكاس
ما بين ورد جمعت الوانه	مع نرجس ايضا وحسن الآس

قال الشاب ثم انى اخذت منها العود وضربت عليه وغنيت هذه الابيات

سبحان ربى جميع الحسن اعطاك	حتى بقيت انا من بعض اسراك
يا من لها ناظر تسبى الانام به	خذى الامان لنا من سحر عيناك
فالماء والنار فى خديك قد جمعا	والورد جورى نبت فى وسط خداك
انت الغرام لقلبى والنعيم له	فما امرك فى قلبى واحلاك

قال فلما سمعت منى ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوارى وقمنا

الى حسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الالوان و نزعت ما عليها من الثياب و خلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بنتا بكرا لم ينتم ربها ففرحت بى و فرحت بها فرحا لم اجد فى عمرى ليلة اطيب منها و فيها

(انشدت اقول)

يا ليل دم لى لا اريد صباحا	يكفى بوجه معانقى مصباحا
طوقته طوق الحمام بساعدى	وجعلت كفى للثام صباحا
هذا هو الفوز العظيم فمن لنا	متعا نقين فلا نزيد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا و قد نسيت الدكان والاهل والاوطان الى ذات يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وانت اقعد على هذا السرير الى ان ارجع اليك فقلت سمعا و طاعة وحلفتنى ان لا انتقل من موضعى فاخذت جواريها و ذهبت الى الحمام فوالله يا اخوانى ما لحقت تخرج من رأس الزقاق الا والباب قد فتح و دخلت منه عجوز و اى عجوز و قالت يا نور الدين الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشبابك و طيب غنائك فقلت والله على يمين اننى ما اقوم من مقامى حتى تأتى الست دنيا فقالت العجوز يا نور الدين لا تخل الست زبيدة تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت من وقتى اليها والعجوز امامى الى ان اوصلتنى الى الست زبيدة فلما وصلت اليها قالت يا نور الدين انت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبدك فقالت صدق الذى وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لى شيئا حتى اسمعك فقلت السمع والطاعة فاتتنى بعود فغنيت

(عليه وانشدت اقول)

قلب المحب مع الاحباب متعوب	وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما فى الركائب من زمت حمولهم	الا و كان له فى الظعن محبوب
استودع الله لى فى حيكم قمرا	يهواه قلبى وعن عينى محجوب

وكل ما يفعل المحبوب محبوب		يرضى و يغضب ما احلى له لله

فقالت لى حفظ الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والظرف والمعنى
فقم الى مكانك قبل ان تجئ اليه الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت
الارض وخرجت والعجوز امامى الى ان اوصلتنى الى الباب الذى خرجت منه
فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام و نامت على السرير
فقعدت عند رجليها وصرت اكبسها ففتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها و
رفستنى رمتنى من على السرير وقالت يا نور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت
الى الست زبيدة والله ولا خوفى من الهتيكة والفضيحة لاخربت قصرها على رأسها
ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا
به فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلى وعصب عينى واراد ان يضرب رقبتى
فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها يا ستناه ما هو باول من اخطأ
وما عرف خلقك وانت ما تبغضيه وما فعل ذنبا يوجب ان تقتليه فقالت
والله لابد ما اوثر فيه اثرا ثم انها امرت بضربى فضربت على اضلاعى الضرب
الذى رأيتموه وامرت باخراجى فاخرجونى وابعدونى عن القصر ورمونى
ورجعوا وتركونى فلممت نفسى فمشيت قليلا قليلا الى ان وصلت الى منزلى و
احضرت جراحا واريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مصالحى فلما صح جسمى
دخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان واخذت جميع
ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت اربعمائة مملوك ما جمعهم احد من الملوك
يركب معى فى كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقة بالف ومائتين من
الذهب لعين وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من معى من الخدام كل واحد فى
وظيفة وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولى على هذه
الحالة سنة كاملة ولم اسمع لها بخبر ولا وقفت لها على اثر ثم انه بكى وان
واشتكى وانشد يقول



والله ما كنت طول الدهر ناسيها ... ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر في تكوين خلقتها ... سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لي الا محبتها ... فكيف حال الذى قد بات ناعيها
وصيرتني حزينا ساهيا دنفا ... والقلب قد حار مني في معانيها

قال فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما ابداه من الخطاب تعجب غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شئ سببا ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف و اضمر الرشيد للشاب الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين الى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم في منزلهم الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب ياوزير على بالشاب فخرج اليهم في الحشم والخدم وساروا الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وحامي حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه في حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير الستر عن السدة الشريفة فلما رأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز واثنى عليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامي حوزة الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما اعطاك وجعل الجنة ماواك والنار مثوى لاعداك وانشد يقول

لا زال بابك كعبة مقصودة ... وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى في البلاد باسرها ... هذا المقام وانت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة في وجهه ورد عليه السلام واظهر له الاحسان والاكرام وقربه اليه واجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين اريد ان تحدثني بحديثك الليلة يا مسكين فانه من اعجب الامور فقال الشاب العفو يا امير المؤمنين اعطني منديل الامان ليهدأ روعي ويطمئن قلبي فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب

يتحدث بالذي جرى له من اوله الخ فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبي
عاشق لا محالة فقال الخليفة اتحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا امير
المؤمنين ثم انشا يقول

ان رمت احسانا فهذا وقته ... او رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لي اختك الست دنيا
بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها في الوقت فلما مثلت بين
يديه قال لها اتعرفي هذا فقالت من اين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال
يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها
والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا
استغفر الله مما جرى مني واسأل من فيض الفضل العفو عني فضحك الخليفة
واحضر القاضي والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود واكمد العدو
والحسود وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره في اتم عيش ونعمة بمجالس
الخليفة في الليل والنهار تؤانسه الست دنيا ذات الفخار وهذا ما انتهى الينا
من التلخيص والله اعلم ويحكى ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة
فقال يا جعفر بلغني انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اطلبها فانها
بديعة الجمال ولي شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس علي فيها بيع قال هبنيها قال
ولا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق مني ثلاثا ان لم تبعنيها او تهبنيها وقال
جعفر زوجتي طالق مني ثلاثا ان بعتها او وهبتها ثم افاقا من نشوتهما وعلما
انهما وقعا في امر عظيم وعجزا في تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة
ليس لها غير ابي يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا و
قال ما طلبت في هذا الوقت الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب
بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلاة فلعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار
الخلافة ودخلت فضع بين يدي الدابة شيئا منه تشتغل به الى حين خروجي فانها

لم تستوف عليقها فى هذه الليلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد
قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك
الا لامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فى تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين هذا
من اسهل ما يكون يا جعفر بع امير المؤمنين نصفها وهب نصفها تبر من يمينكما
فسر بذلك امير المؤمنين وفعلا فقال الرشيد احضر الجارية فى هذا الوقت فانى
شديد الشوق اليها فاحضرت فقال للقاضى ابى يوسف اريد وطئها فى هذا الوقت
ولا اطيق الصبر الى مضى مدة الاستبراء اوسع لى الحيلة فى ذلك فقال ابو يوسف
ائتونى بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضر مملوك
فقال ابو يوسف يا امير المؤمنين ائذن لى ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول
فيحل وطؤها فى الحال من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فقال اذنت
لك فاوجب القاضى النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضى طلقها فقال لا هذه
صارت لى زوجة وانا لا اطلقها فردد عليه القول فابى وضاق صدر الخليفة
لذلك وقال قد اشتد الامر اعظم مما كان فقال القاضى ابو يوسف يا امير المؤمنين
ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دينار فقال لا افعل قال مائتا دينار قال لا
افعل الى ان عرضوا عليه الف دينار وهو يمتنع وقال للقاضى الطلاق بيدى
او بيد امير المؤمنين ام بيدك قال بل بيدك انت قال والله لا افعل ابدا فاشتد
غضب امير المؤمنين فقال القاضى يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك
هذا العبد للجارية فقال ملكته لها وقال لها القاضى قولى قبلت فقالت
الجارية قبلت فقال القاضى حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل فى ملكها فانفسد
النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا فى زمانى
واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضى هل معك شئ
توعيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف
فلما اصبح قال لخلانه انظروا الى من تعلم العلم فليتعلمه كذا فانى اعطيت هذا الكم

العظیم فی مسألتین او ثلاث فانظر ایها المتأدب الی لطف هذه الواقعة فانها اشتملت علی محاسن منها دلال الوزیر علی قلب امیر المؤمنین وحلم الخلیفة وزیادة علم القاضی فرحم الله ارواحهم اجمعین ولکن مسألة الاستبراء لم تتخرج الا علی مذهب ابی حنیفة فخرجها ابو یوسف علی قواعد مذهبه لانه حنفی المذهب والله

اعلم انتهی من حلبة الکمیت وهو کلام ابراهیم الموصلی رحمه الله تعالی

هجرتك حتی قیل لا یعرف الهوی	وزرتك حتی قیل لیس له صبر
فیا هجر لیلی قد بلغت بی المدی	وزدت علی ما لیس یبلغه الهجر
ویا حبها زدنی جوی کل لیلة	ویا سلوة الایام موعدك الحشر
وانی لتعرونی لذکراك هزة	کما انتفض العصفور بلله القطر

ومن حکایات اللطیفة ان بعض الملوك قصد التفرج علی المجانین فلما دخل علیهم رأی فیهم شابا حسن الهیئة نظیف الصورة یری علیه آثار اللطف وتلوح علیه شمایل الفطنة فدنا منه وسأله مسائل فاجابه عن جمیعها باحسن جواب فتعجب منه عجبا شدیدا ثم ان المجنون قال للملك قد سألتنی عن اشیاء فاجبتك وانی سائلك سؤالا واحدا قال وما هو قال متی یجد النائم لذة النوم ففکر الملك ساعة ثم قال یجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون حالة النوم لیس له احساس فقال الملك قبل الدخول فی النوم فقال المجنون کیف توجد لذته قبل وجوده فقال الملك بعد النوم فقال المجنون توجد لذته وقد انقضی فتحیر الملك وزاد اعجابه وقال لعمری ان هذا لا یحصل من عقلاء کثیرة فاولی ان یکون ندیمی فی مثل هذا الیوم وامر ان ینصب له تخت بازاء شباك المجنون ثم استدعی بالشراب فحضر فتناول الملك الکاس وشرب ثم ناول المجنون فقال ایها الملك انت شربت هذا لتصیر مثلی فانا اشربه لاصیر مثل من فانتعظ الملك بکلامه ورمی القدح من یده وتاب من ساعته والله اعلم وهذه الحکایة لها بقیة اعرضنا عنها وهذه علی سبیل الاختصار ایضا حکی والله اعلم بغیبه واحکم ان الرشید ارق ذات

ليلة ارقا شديدا فاستدعى جعفرا وقال له يد منك ان تزيل ما بقلبي من الضجر فقال الوزير يا امير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وانت قادر عليها فقال الرشيد وما هي يا جعفر فقال له قم بنا الان حتى نطلع الى فوق سطح هذا القصر حتى نتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه منتخب كما قيل

كانما حسن السما وزرقتها	قد رقمت فيها اوانين الصور
كانما البدر حين لاح لنا	في بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد يا جعفر ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح شباك القصر الذي يطلع على البستان وتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التي كانها انين محب فارق محبوبه وهي كما قال فيها

بعض واصفيها

وناعورة حنت وغنت وقد غدت	تعبر عن حال المشوق وتعرب
ترقص عطف البان تيها لانها	تغني له طول الزمان ويشرب

واما ان تنام يا امير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال يا جعفر ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح الشباك الذي يطلع على الدجلة حتى نتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالي وهذا يقول دوبيت وهذا يعمل كان وكان فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شيء من ذلك قال جعفر قم يا امير المؤمنين حتى ننزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيل العربيات ونتفرج على حسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشقر واشهب وكميت واحمر وابيض واخضر وابلق واصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين عندك في قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة

الى مغنية الى راقصة الى سنطيرية احضر الجميع واحضر العقار المروق فلعل ان يزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تهم نفسى الى شئ من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين ما بقى الا ضرب عنق مملوكك جعفر فانى قد عجزت عن ازالة هم مولانا فقال يا جعفر اما سمعت قول ابن عمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا احلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح امتى فى ثلاث ان يرى بعينه شيئا الا رآه او يسمع شيئا لا سمعه او يطا مكانا لا وطئه فيتفق يا جعفر ان يكون فى بغداد مكان لا وطئناه او شئ لا سمعناه او موضع لا رأيناه فقال جعفر اتاذن لى يا امير المؤمنين ان اطلع الى مجلس النوبة وانظر احدا من المسافرين احضره بين يدى امير المؤمنين لعله ان يحدثك بحديث ما سمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ ابى الحسن الخليع الدمشقى المسامر قال فلما رأى امير المؤمنين سلم فاحسن وترجم فابلغ ثم قال يا امير المؤمنين وحامى حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين اطال الله بقاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك لاخمدت لك نار ولا اغيظ لك جار

ثم انشد يقول

دام لك العز والبقاء	ما اختلف الصبح والمساء
ودمت ما دامت الليالى	بمدة ما لها انقضاء
الناس ناس بكل ارض	وانت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال اجلس يا ابا الحسن وحدثنا بحديث مليح عجيب لم تسمعه قط فقال الشيخ يا امير المؤمنين احدثك بشئ سمعته باذنى او بشئ رأيته بعينى قال الرشيد يا شيخ ابو الحسن الذى تراه العين احسن من الذى تسمعه الاذن فقال الشيخ يا امير المؤمنين افرغ لى عن ثلاثة اشياء منك فقال ما هى الثلاثة فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات يا ابا الحسن فقال يا امير

المؤمنين لي عادة اني اسافر كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الزينبي واقعد عنده احدثه الاسمار واورد له الاخبار وانشد له الاشعار ولي عليه رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد فاتفق لي سنة من السنين اني سافرت الى البصرة على عادتي ودخلت على الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثاني والثالث فركب الى الصيد وتركني في منزله واوصى ارباب دولته بخدمتي واكرامي الى ان يعود واوصى الطباخ الذي له ان لا يطعمني الا اشياء تشتهيه نفسي فاشتهيت السمك فقلت للطباخ فعمل لي من السمك عدة الوان فاكلت وطاب لي الاكل حتى ثقل على فؤادي فقلت ما يصرف عني هذا الا المشي ولي عدة اسفار الى البصرة ما اعرف فيها مكانا واريد اليوم اجعلها حجة وفرجة ثم اني نزلت امشي في شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت في نفسي ان شاء ولئن شربة من السقاء لا تطيب نفسي لانه يشرب منه اصحاب الامراض وكبرت نفسي على ان احملها الى شاطئ الدجلة وقلت مالي الا ان اقصد بعض دور المحتشمين واطلب منها شربة من الماء فاتيت الى درب وفي ذلك الدرب خمسة دور داران مقابل داران ودار صدر وانية قد قامت من التراب وتعلقت باذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بمصاطب طولانية مفروش عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب لوهاج وسامير الفضة وستر من الحرير الاصفر المدنر مكتوب عليه هذه الابيات

الا يادار لا يدخلك حزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

قال فقلت في نفسي من هذه الدار اشرب الماء فاتيت الى الباب فسمعت صوتا ضعيفا من فؤاد نحيف وهو ينشد ويقول

بالله ربكما عوجا على سكني	وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما	ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا في مسائلة ... ما ضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما في وجهه غضب ... فغالطاه وقولا ليس نعرفه

قال فقلت والله طبيب ان كان قائل هذا الصوت شخص صورته على قدر صوته واحتشمت ثم اني قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومديت طرفي واذا بدار قد اقبلت عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورايت في صدر المكان ايوانا وبركة وشاذروان وفي ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية نائمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة اشهر من علم تربية النعيم على اكتاف الخدم بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ولت

قتلت كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت ... في قالب الحسن لا طول ولا قصر

جرى بها الشحم حتى دار اعكنها ... على القباطي فلا سمن ولا غور

كانها افرغت من ماء لؤلؤة ... في كل جارحة من حسنها قمر

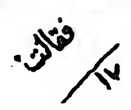
الا ان الجارية يا امير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعند راسها الطبيب وهو يجس يدها ويقول يا ست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شيء تشتكينه اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لتكون السمت في قلبها هوى من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اذا هممت بكتمان الهوى نطقت ... مدامعي بالذي اخفي من الالم

فان الح افتضح من غير منفعة ... وان كتمت فدمعي غير منكتم

لكن الى الله اشكو ما اكابده ... من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الي وقالت من اين يا شيخ فقلت لها من بغداد دعاني العطش الى ان اتيت الى هنا



فقالت لعل ان يكون على يدك فرج فانا اكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان ردّيت على الجواب فانا اعطيك خمسمائة دينار ثم استدعت بدواة وورق وكتبت فيه تقول اما بعد بعجز لساني ويكل جناني عن بث الاشواق ولكن اسأل الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد

الرائق والامر الموافق وانا القائلة حيث اقول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم	وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ما ذكرتكم	جرى فوق خدي لا يطاق له رد
اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت	وجدت لمسراها على كبد برد
فوالله ما احببت ما عشت غيركم	ولا كنت الا ما حييت لكم عبد
سلام عليكم ما امرّ فراقكم	فلا كان هذا منكم آخر العهد

اما بعد فهذا كتاب ممن ليلها في نحيب ونهارها في تعذيب لا تركن الى عاذل ولا تصغي الى قائل قد غلبتها ايدي الفراق ولو شرحت بعض ما عندها للفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن اسأل الكريم الخلاق رافع السبع الطباق ان

يمن علينا بالتلاق وانشدت تقول

احبه قلبي وان جرتمو	علي فكل المنا انتمو
رحلتم وفي القلب خلفتمو	لهيبا فهلا انتم فقتمو
واودعتمو يوم ودعتمو	باحشاي نارا واضرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا	على شؤم بختي تعلمتمو

فالف الف لا اوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ما حن الغريب الى الاوطان وغرد حمام الايك على البان فرحم الله من قرا كتابي و

تعطف برد جوابي وانشدت تقول

احبابنا ما رقا دمعي لفرقتكم	يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لي من بعدكم جلد	ولا فؤاد ولا صبر ارجيه
فكم امني فؤادي بالهوى كذبا	ولست اول من بانت غواشيه

قال ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد ان نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولتني اياه فاخذته واتيت الى دار الامير عمر فوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة انتظره واذا به قد اقبل وهو راكب على حصان اشقر من الخيل الغر يساوي ملك كسرى وقيصر من اولاد الابجر الذي كان لعنتر ان طلب لحق وان طلب لم يلحق والامير في ظهره كانه انقلب فيه قلبا والمماليك قد احدقوا به كما تحدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار اخضر فوق خد احمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال فيه ابن مشعر

قمر تكامل في نهاية حسنه	مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه	والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال باسره فكانما	حسن البرية كلها من عنده

قال ابو الحسن فما امهلته دون ان قبلت ركابه فلما نظر الى ترجل واعتنقني واخذ بيدي وادخلني الدار وانشد يقول

ما اظن الزمان يأتي بهذا	غير اني رايته في منامي

قال فلما جلس على حافة البركة اقبل على يحادثني ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين ايدينا واذا عليها من الوان الطعام ما درج وتطاير في الاشجار وتناكح في الاوكار من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر وخراف وضع ومعلبكات السكر فقال لي بسم الله يا شيخ ابا الحسن فقلت لا والله يا مولاي ما اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي فقال يا ابا الحسن كان هذا من الاول اين الكتاب الذي للست بدور فقلت يا سيدي وما هي الست بدور فقال التي جئت لعندها تطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت فقلت يا مولاي اكنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا لاي شئ كتبت الكتاب فقلت والا جاء احد من عندها اعلمك فقال انه لا يجسر احد من غلمانها يقابلني فقلت ولا راح احد من عندك

الى عندها فقال هي اخس واحقر من ان يمضي اليها احد من عندك فقلت يا سيدي الغيب لا يعلم الا الله تعالى والوحي ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال يا عاقل اما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرون
واجنحة تطير بغير ريش	الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يا مولاي ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه في البركة فصعب علي فلما علم مني ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندي كل واشرب وخذ مني الخمسمائة دينار التي وعدتك بها الست

بدور وانا احب اليك منها وانشد يقول

رايت شاة وذئبا وهي ماسكة	باذنه وهو منقاد لها ساري
فقلت اعجوبة ثم التفت ارى	ما بين نابيه ملقى نصف دينار
فقلت للشاة ماذا الالف بينكما	والذئب يسطو بانياب واظفار
تبسمت ثم قالت وهي ضاحكة	بالتبر يكسر ذاك الضيغم الضاري

قال فلما سمعت كلامه يا امير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين ايدينا البواطي والسلاحيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقاني وانا احدثه وانادمه الى قرب الغياب فقال لي يا ابا الحسن ما عادة امير المؤمنين اذا شرب الى المساء فقلت يقول الشراب بلا طرب ولا سماع الدن اولى به فقال لي قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحصيرة تنقط بالذهب واللازورد العجب وهي مزخرفة قد عبقت ازهارها وضحكت سلاحياتها وصفت بواطيها ورفعت اقداحها فجلس الامير عمرو واجلسني بجانبه وقدمت بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحصيرة مليحة ثم قلت يا مولاي قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن اولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاثة جوار قد اقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية

يتحدث بالذي جرى له من اوله الخ فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبي عاشق لامحالة فقال الخليفة اتحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشا يقول

ان رمت احسانا فهذا وقته		او رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لي اختك الست دنيا بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها في الوقت فلما مثلت بين يديه قال لها اتعرفين هذا فقالت من اين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله مما جرى مني واسأل من فيض الفضل العفو عني فضحك الخليفة واحضر القاضي والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود واكمد العدو والحسود وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره في اتم عيش ونعمة يجالس الخليفة في الليل والنهار ويؤانسه الست دنيا ذات الفخار وهذا ما انتهى الينا من التلخيص والله اعلم ويحكى ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال يا جعفر بلغني انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اتطلبها فانها بديعة الجمال ولي شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس علي فيها بيع قال هبنيها قال ولا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق مني ثلاثا ان لم تبعنيها او تهبنيها وقال جعفر زوجتي طالق مني ثلاثا ان بعتها او وهبتها ثم افاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا في امر عظيم وعجزا في تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير ابي يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا وقال ما طلبت في هذا الوقت الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلاة فلعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار الخلافة ودخلت فضع بين يدي الدابة شيئا منه تشتغل به الى حين خروجي فانها

لم تستوف عليقها فى هذه الليلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد
قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك
الا لامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فى تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين هذا
من اسهل ما يكون يا جعفر بع امير المؤمنين نصفها وهب نصفها تبرءٌ من يمينكما
فسر بذلك امير المؤمنين وفعلا فقال الرشيد احضر الجارية فى هذا الوقت فانى
شديد الشوق اليها فاحضرت فقال للقاضى ابى يوسف اريد وطئها فى هذا الوقت
ولا اطيق الصبر الى مضى مدة الاستبراء او سع لى الحيلة فى ذلك فقال ابو يوسف
ائتونى بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضر مملوك
فقال ابو يوسف يا امير المؤمنين ائذن لى ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول
فيحل وطؤها فى الحال من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فقال اذنت
لك فاوجب القاضى النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضى طلقها فقال لم هذه
صارت لى زوجة وانا لا اطلقها فرد عليه القول فابى وضاق صدر الخليفة
لذلك وقال قد اشتد الامر اعظم مما كان فقال القاضى ابو يوسف يا امير المؤمنين
ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دينار قال لا افعل قال مائتا دينار قال لا
افعل الى ان عرضوا عليه الف دينار وهو يمتنع وقال للقاضى الطلاق بيدى
او بيد امير المؤمنين ام بيدك قال بل بيدك انت قال والله لا افعل ابدا فاشتد
غضب امير المؤمنين فقال القاضى يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك
هذا العبد للجارية فقال ملكته لها وقال لها القاضى قولى قبلت فقالت
الجارية قبلت فقال القاضى حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل فى ملكها فانفسد
النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا فى زمانى
واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضى هل معك شئ
توعيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف
فلما اصبح قال لخلانه انظروا الى من تعلم العلم فليتعلمه كذا فانى اعطيت هذا المال

العظيم فى مسألتين او ثلاث فانظر ايها المتأدب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منها دلال الوزير على قلب امير المؤمنين وحلم الخليفة وزيادة علم القاضى فرحم الله ارواحهم اجمعين ولكن مسألة الاستبراء لم تتخرج الا على مذهب ابى حنيفة فخرجها ابو يوسف على قواعد مذهبه لانه حنفى المذهب والله اعلم انتهى من حلبة الكميت ومن كلام ابراهيم الموصلى رحمه الله تعالى

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فيا هجر ليلى قد بلغت بى المدى ... وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
ويا حبها زدنى جوى كل ليلة ... ويا سلوة الايام موعدك الحشر
وانى لتعرونى لذكراك هزة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

ومن حكايات اللطيفة ان بعض الملوك قصد التفرج على المجانين فلما دخل عليهم رأى فيهم شابا حسن الهيئة نظيف الصورة يرى عليه آثار اللطف وتلوح عليه شمايل الفطنة فدنا منه وسأله مسائل فاجابه عن جميعها باحسن جواب فتعجب منه عجبا شديدا ثم ان المجنون قال للملك قد سألتنى عن اشيا فاجبتك وانى سائلك سؤالا واحدا قال وما هو قال متى يجد النائم لذة النوم ففكر الملك ساعة ثم قال يجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون حالة النوم ليس له احساس فقال الملك قبل الدخول فى النوم فقال المجنون كيف توجد لذته قبل وجوده فقال الملك بعد النوم فقال المجنون توجد لذته وقد انقضى فتحير الملك وزاد اعجابه وقال لعمرى ان هذا لا يحصل من عقلاء كثيرة فاولى ان يكون نديمى فى مثل هذا اليوم وامر ان ينصب له تخت بازاء شباك المجنون ثم استدعى بالشراب فحضر فتناول الكاس وشرب ثم ناول المجنون فقال ايها الملك انت شربت هذا لتصير مثلى فانا اشربه لاصير مثل من فانعظ الملك بكلامه ورمى القدح من يده وتاب من ساعته والله اعلم وهذه الحكاية لها بقية اعرضنا عنها وهذه على سبيل الاختصار ايضا حكى والله اعلم بغيبه واحكم ان الرشيد ارق ذات

ليلة ارقا شديدا فاستدعى جعفرا وقال له يد منك ان تزيل ما بقلبي من الضجر فقال الوزير يا امير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وانت قادر عليها فقال الرشيد وما هي يا جعفر فقال له قم بنا الان حتى نطلع الى فوق سطح هذا القصر حتى نتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه من تحب كما قيل

كانما حسن السما وزرقتها		قد رقمت فيها الوانين الصور	
كانما البدر حين لاح لنا		في بعض ليل من غلاف قد ظهر	

فقال الرشيد يا جعفر ما تهم نفسي الى شئ من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح شباك القصر الذي يطلع على البستان ونتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التي كانها انين محب فارق محبوبه وهي كما قال فيها

	بعض واصفيها	

وناعورة حنت وعنت وقد غدت		تعبر عن حال المشوق وتعرب	
ترقص عطف البان تيها لانها		تغني له طول الزمان ويشرب	

واما ان تنام يا امير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال يا جعفر ما تهم نفسي الى شئ من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح الشباك الذي يطلع على الدجلة حتى نتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالي وهذا يقول دوبيت وهذا يعمل كان وكان فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شئ من ذلك قال جعفر قم يا امير المؤمنين حتى ننزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيول العربيات ونتفرج على حسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشقر واشهب وكميت واحمر وابيض واخضر وابلق واصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شئ من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين عندك في قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة

الى مغنية الى راقصة الى سنطرية احضر الجميع واحضر العقار المروق
فلعل ان يزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تهم نفسي الى شئ من ذلك
فقال جعفر يا امير المؤمنين ما بقي الا ضرب عنق مملوكك جعفر فاني قد
عجزت عن ان اتهم مولانا فقال يا جعفر اما سمعت قول ابن عمي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا احلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرح امتي في ثلاث ان يرى بعينه شيئا لا رآه او يسمع شيئا لا سمعه او يطا
مكانا لا وطئه فيتفق يا جعفر ان يكون في بغداد مكان لا وطئناه او شئ لا سمعناه
او موضع لا رايناه فقال جعفر تأذن لي يا امير المؤمنين ان اطلع الى مجلس النوبة
وانظر احدا من المسافرين احضره بين يدي امير المؤمنين لعله ان يحدثك بحديث
ما سمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ ابي
الحسن الخليع الدمشقي المسامر قال فلما رأى امير المؤمنين سلم فاحسن وترجم
فابلغ ثم قال يا امير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وخاتم
النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين اطال الله بقاك وجعل
الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك لا خمدت لك نار ولا اغيظ لك جار

ثم انشد يقول

دام لك العز والبقاء	ما اختلف الصبح والمساء
ودمت ما دامت الليالي	بمدة ما لها انقضاء
الناس ناس بكل ارض	وانت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال اجلس يا ابا الحسن حدثنا بحديث مليح عجيب
لم تسمعه قط فقال الشيخ يا امير المؤمنين احدثك بشئ سمعته باذني او بشئ رايته
بعيني قال الرشيد يا شيخ ابو الحسن الذي تراه العين احسن من الذي تسمعه الاذن
فقال الشيخ يا امير المؤمنين افرغ لي عن ثلاثة اشياء منك فقال ما هي الثلاثة
فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات يا ابا الحسن فقال يا امير

المؤمنين لي عادة اني اسافر كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الزينبي
واقعد عنده احدثه الاسمار واورد له الاخبار وانشد له الاشعار وله علي
رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد فاتفق لي سنة من السنين ان سافرت
الى البصرة على عادتي ودخلت على الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم
الاول والثاني والثالث فركب الى الصيد وتركني في منزله واوصى ببابي ولئلا
يخلو مني واكرامي الى ان يعود واوصى الطباخ الذي له ان لا يطعمني الا اشياء
تشتهيه نفسي فاشتهيت السمك فقلت للطباخ فعمل لي من السمك عدة الوان
فاكلت وطاب لي الاكل حتى ثقل على فؤادي فقلت ما يصرف عني هذا الا المشي ولي
عدة اسفاري الى البصرة ما اعرف فيها مكانا واريد اليوم اجعلها حاجة وفرجة ثم اني نزلت
امشي في شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت
في نفسي ان تناولت شربة من السقاء لا تطيب نفسي لانه يشرب منه اصحاب
الامراض وكبرت نفسي على ان احملها الى شاطئ الدجلة وقلت ما لي الا ان
اقصد بعض دور المحتشمين واطلب منها شربة من الماء فاتيت الى درب وفي
ذلك الدرب خمسة دور داران مقابل دارين ودار صدر دارين قد ارتفعن عن الثرى
وتعلقت باذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بصفائح طولانية مفروش
عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب الوهاج ومسامير الفضة
ومسمر من النحاس الاصفر المدور مكتوب عليه هذه الابيات

الا يا دار لا يدخلك حزن ... ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف ... اذا ما ضاق بالضيف المكان

قال فقلت في نفسي من هذه الدار اشرب الماء فاتيت الى الباب فسمعت صوتا
ضعيفا من فؤاد نحيف وهو يقول

بالله يا صاحبي عوجا على سكني ... وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما ... ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا فى مستطرفة	ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما فى وجهه غضب	نعا الطاه وقولا ليس نعرفه

قال فقلت والله طبيب ان كان قائل هذا الصوت تشخص صورته على قدر صوته واختشمت ثم انى قويت قلبى ورفعت الستر ودخلت الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومديت طرفى واذا بدار قد اقبلت عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورايت فى صدر المكان ايوانا وبركة وشاذروان وفى ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية نائمة خماسية القد قائمة النهد لابالطويلة الشاهقة ولابالقصيرة اللاصقة اشهر من علم تربية العجم على اكتاف الخدم بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ولت

قتلت كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت	فى قالب الحسن لا طول ولاقصر
جرى بها الشحم حتى دار اعكنها	على القباطى فلا سمن ولا غور
كانها افرغت من ماء لؤلؤة	فى كل جارحة من حسنها قمر

الا ان الجارية يا امير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعند راسها الطبيب وهو يجس يدها ويقول يا ست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولاشئ تشتكينه اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لتكون السمت فى قلبها هوى من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اذا هممت بكتمان الهوى نطقت	مدامعى بالذى اخفى من الالم
فان الح افتضح من غير منفعة	وان كتمت فدمعى غير منكتم
لكن الى الله اشكو ما اكابده	من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الى وقالت من اين يا شيخ فقلت لها من بغداد وحملنى العطش الى ان اتيت الى هنا

فقالت لعل ان يكون على يدك فرج فانا اكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان زدت على الجواب فانا اعطيك خمسمائة دينار ثم استدعت بدواة وورق وكتبت وهي تقول اما بعد فعجز لساني ويكل جناني عن بث الاشواق ولكن اسأل الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد

الرائق والامر الموافق وانا القائلة حيث اقول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم ... وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ما ذكرتكم ... جرى فوق خدي لا يطاق له رد
اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت ... وجدت لمسراها على كبدي برد
فوالله ما احببت ما عشت غيركم ... ولا كنت الا ما حييت لكم عبد
سلام عليكم ما امر فراقكم ... فلا كان هذا منكم آخر العهد

اما بعد فهذا كتاب ممن ليلها في نحيب ونهارها في تعذيب لا تركن الى عاذل ولا تصغي الى قائل قد غلبتها ايدي الفراق ولو شرحت بعض ما عندها للفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن اسأل الكريم الخلاق رافع السبع الطباق ان

يمن علينا بالتلاق وانشدت تقول

احبة قلبي وان جرتمو ... علي فكل المنا انتمو
رحلتم وفي القلب خلفتمو ... لهيبا فهلا انصرفتمو
واودعتمو يوم ودعتمو ... باحشاي نارا واضرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا ... على شؤم بختي تعلمتمو

فالف الف لا اوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ما حن الغريب الى الاوطان وعز دحمام الايك على البان فرحم الله من قرا كتابي و

تعطف برد جوابي وانشدت تقول

احبابنا مارقاد معي لفرقتكم ... يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لي من بعدكم جلد ... ولا فؤاد ولا صبر ارجيه
فكم امني فؤادي بالهوى كذبا ... ولست اول من بانت غواشيه

قال ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد ان نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولتني اياه فاخذته واتيت الى دار الامير عمرو فوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة انتظره واذا به قد اقبل وهو راكب على حصان اشقر من الخيل الضمر يساوي ملك كسرى وقيصر من اولاد الابجر الذي كان لعنتر ان طلب لحق وان طلب لم يلحق والامير في ظهره كانه انقلب فيه قلبا والمماليك قد احدقوا به كما تحدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار اخضر فوق خد احمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال فيه ابن مشعر

قمر تكامل في نهاية حسنه	مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه	والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال باسره فكانما	حسن البرية كلها من عنده

قال ابو الحسن فما امهلته دون ان قبلت ركابه فلما نظر الي ترجل واعتنقني واخذ بيدي وادخلني الدار وانشد يقول

ما اظن الزمان يأتي بهذا	غير اني رايته في منامي

قال فلما جلس على حافة البركة اقبل علي يحادثني ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين ايدينا واذا اعليها من الوان الطعام ما درج وتطاير في الاشجار وتناكح في الاوكار من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر وخراف وضع ومعلبكات السكر فقال لي بسم الله يا شيخ ابا الحسن فقلت لا والله يا مولاي ما اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي فقال يا ابا الحسن كان هذا من الاول اين الكتاب الذي للست بدور فقلت يا سيدي وما هي الست بدور فقال التي جئت لعندها اطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت فقلت يا مولاي اكنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا لاي شئ كتبت الكتاب فقلت والاجاء احد من عندها اعلمك فقال انه لا يجسر احد من غلمانها يقابلني فقلت ولا راح احد من عندك

الى عندها فقال هي اخس واحقر من ان يمضي اليها احد من عندي فقلت يا سيدي الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحي ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال يا عاقل اما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون
واجنحة تطير بغير ريش الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يا مولاي ثم ناولته الكتاب ففضه وقراه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه في البركة فصعب علي فلما علم مني ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندي كل واشرب وخذ مني الخمسمائة دينار التي وعدتك بها الست

بدور وانا احب اليك منها وانشد يقول

رايت شاة وذئبا وهي ماسكة باذنه وهو منقاد لها ساري
فقلت اعجوبة ثم التفت ارى ما بين نابيه ملقى نصف دينار
فقلت للشاة ماذا الالف بينكما والذئب يسطو بانياب واظفار
تبسمت ثم قالت وهي ضاحكة بالتبر يكسر ذاك الضيغم الضاري

قال فلما سمعت كلامه يا امير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين ايدينا البواطي والسلاحيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقاني وانا احدثه وانادمه الى قرب الغياب فقال لي يا ابا الحسن ما عادة امير المؤمنين اذا شرب الى المساء فقلت يقول الشراب بلا طرب ولا سماع الدن اولى به فقال لي قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحصيرة تنقط بالذهب واللازورد العجب وهي مزخرفة قد عبقت ازهارها وضحكت سلاحياتها وصفت بواطيها ورفعت اقداحها فجلس الامير عمرو واجلسني بجانبه وقدمت بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحضيرة مليحة ثم قلت يا مولاي قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن اولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاثة جوار قد اقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية

تحمل دفا والثالثة تحمل مزمارا ثم نقرت الدفية على دفها واصلحت العودية عودها وزمرت التي امرة بزمرها فخيل لي ان المجلس الذى نحن فيه يرقص بنا ثم

ان الدفية غنت تقول

احبابنا انني من يوم فرقتكم	على فراش الضنا مازلت مضطجعا
داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم	عسى يفيق من الاسقام ما نفعا

فوالله يا امير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها فلما فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرقا عديدة ثم رجعت الى الطريقة الاولى

وانشدت تقول

امؤنس طرفي لا خلا منك ناظري	وجامع شملي لا خلا منك مجلسي
ويا ساكنا قلبي وما فيه غيره	بحل فما استوحشت فيه لمونسي
وبالله يا عين الورى من ملاحة	تصدق على صب من الصبر مفلس
ملوك الرضى حتى اغيظ به العدا	ويا موحشي من بعد ما كان مونسي
وضاك الذى ان نلته نلت رفعة	والبس في الناس اشرف ملبس

قال والله يا امير المؤمنين لم نتمالك عقولنا من الطرب ثم التفتت العودية الى الدفية وقالت لها يا فلانة اتحسنين ان تقولي مثل هذا فقالت الدفية انا احفظ ابياتا ما اظن انك تحفظي لهن وزنا ولا قافية ولا عروضا فقالت العودية هاتي ما عندك فنقرت الدفية على دفها بانا ملها ورفعت صوتها وهي تقول

اكررو مرقد ذكرهم في مسمعي	فهم الشفا لتالمي وتوجعي
اقصر بعذلك يا عذول فان لي	قلبا لعذلك لا يفيق ولا يعي

فقالت لها العودية انا احفظ الوزن والقافية والعروض فقالت لها الدفية هاتي فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين واربعة وثمانية وثمانية وستة عشر وستة عشر ثم عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

ان لم اسل وادى الاسيل بادمعي	اعلم باني في الصبابة مدعي

بلصعد

ياسعد ان جئت الغوير وعاينت	عيناك بان المنحنى فلترجع
وخذ الحذار من الغزال المختفى	واحذر ريصيد لحظ ذات البرقع

قال والله يا امير المؤمنين فلقد طربنا حتى قام كل منا ورقص فلما فرغت الجارية
قال لها سيدها اغنى لى الذى لقلبى وحدى فعندها سارقت عودها وقالت

ماكنت اول رامق صبا صبا	نحو التصابى وهو فى عشر الصبا
فغلام يعذلنى العذول على البكا	لولا الغرام لما غدوت معذبا
حكم الهواء بحكمه فى مهجتى	ولقد غدا قلبى به متقلبا
ياللرجال خبا الهوى بحشاشتى	نارا فما تخبوا على ذاك الخبا
ولقد سبا عقلى غزالى لورأ	بلقيس طلعته لما سكنت سبا
ولقد هربت من الفراق فقال لى	مهلا رويدا فاين منى تهربا

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع الى الارض مغشيا عليه فقالت الجارية
يا مولاى انه قد نام سيدى فان اخترت ان تنام فقم نم فى مرقد له وان اخترت
الشراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فقمت ونمت فلما اصبحت قمت وسألت
عن الامير عمرو فقال بعض الجوارى انه سرح الى الصيد والقنص فاخذت شاشا البسه
فرايت تحته كيسا فيه الف دينار فاخذته وانتيت الى الست بدور واذا بها واقفة

خلف الباب تنتظر وهى تقول

يا رسولى الى الحبيب اعتذر لى	فلعل الحبيب يقبل عذرى
ثم قل للحبيب عنى بلطف	اى ذنب جرى فاوجب هجرى

فلما انتهى قالت يا شيخ اقبح ام شعير فقلت لا والله ماهو الا زيوان والله
ما رضى بقرا مكتوبك ولا يرد جوابك فرمت الى صرة فيها مائة دينار
وقالت اذهب يا ابا الحسن ما مضى الليل وانى النهار على شئ الا وازاله وغيره
ويغير الله ما فى القلوب ثم انها اغلقت الباب فى وجهى ومضت وعدت
الى دار الامير محمد بن سليمان الزينبى فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده



والطعام والمدام واقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا في البسط و
بقينا في لعب وضحك الى ثلث الليل الاول واذ قد اقبل من صدر الشط مركب وهي
تعزف بالطارات والدفوف وتضئ كضوء الشمس وفيها وهج عظيم فقلت للملاح
قدم بنا حتى نتفرج وننظر ايضا احسن تعبية مركبنا او هذه المركب فمددت عيني
فرايت صاحبتي الست بدور وهي بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك وهي
مثل اسمها اسم على مسمى فلما وقعت عيني عليها كان ما رميت في قلبي جمرة نار
فقلت في نفسي ما فارقت هذا الوجه المليح بذنب ثم اني تذكرت العهد القديم
الذي كان بيننا فلم اقدر اصبر فمددت يدي واخذت نفاحة ورميتها الى الست
بدور فالتفت فراتني فقالت للملاح ارجع بنا الى البر حين خرجنا هذه الليلة ننشرح
فارسل الله لنا هذا الفتى ينغص علينا عيشنا فلما سمعتها تشتمني اضرمت النار في
قلبي ثم قلت لنفسي انت كنت المطلوب فصرت الطالب فلم يهن لي عيش في هذه
الليلة وقلت للملاح ارجع الى الشط ثم اني نزلت ومضيت الى منزلي وما ذقت
طعم المنام فلما اصبحت لم يقر لي قرار وصرت اترقب ان يأتي احد من عندها
ثلاثة ايام فلم يأت احد فبعثت من يعرض بذكري لها فدعت عليهم وشتمتهم
فكتبت لها بعد ذلك الف كتاب فلم ترد لي جوابا وقد رميت روحي على كل كبير
في البصرة يدخلون عليها فلم تقبل ولم تزدد الا جفاء ولي مدة انتظرك يا شيخ
ابا الحسن حتى ابعث معك كتابا وانا احلف لك ان هي ردت لك جوابه اعطيتك
الف دينار وان لم ترد جوابه اعطيتك مائة دينار فقلت له اكتب فدعا بدواة
فقرطاس وكتب في اول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من متيم يشكو
اليك الصبابة ويسألك بالله ان تردي جوابه اما بعد فانه يعجز لساني ويكل
جناني مما انا فيه من طول السهر ودوام الفكر وبكى لبكائي صم الحجر فالف الف
لا اوحش الله منك والسلام عليك ثم ختم الكتاب وناولني اياه فاخذته واتيت به
الى دار الست بدور فلقيت الباب على غير تلك الحالة الاولى عليه ستر مرخي وبواب

وخادم فقلت لا اله الا الله كان هذا الباب بالامس خاليا من الاصحاب واليوم عليه خادم وبواب ثم انى تقدمت الى عند الخادم وقلت له قم يا ولدى ادخل واستأذن على مولاتك الست بدور وقل لها الشيخ ابو الحسن الخليع الدمشقى قد اتى ويطلب التمثيل بين يديك فغاب الخادم ثم عاد مسرعا وقال بسم الله ادخل فدخلت الدهليز

(فسمعت الست بدور وهى تقول)

ولأصبرن على الزمان وجوره	حتى يعود كما اريد واشتهى

قال فلما دخلت رايتها قاعدة على حافة البركة وبين يديها جارية تروح عليها فتقدمت وقبلت يدها وجلست فنظرت واذا عليها غلالة لازوردية وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كانه عمود مرمر وعلى الغلالة مكتوب هذه الابيات

اقبلت فى غلالة زرقاء	لازوردية كلون السماء
فتأملت فى الغلالة الفى	قمر الصيف فى ليالى الشتاء
ليتنى كنت للمليحة عقدا	او برقعا للوجه مثل الرداء
او قميصا من الحرير خفيفا	لاصفا للفؤاد والاحشاء
ضربتنى بخنجر العشق حتى	صرت ملقى مخضبا بدمائى
تركتنى على الطريق ونادت	من يصلى على قتيل هواءى

ثم انى لما فرغت من قراءة الاشعار قالت لجاريتها هات لى بدلة قماش ثم غيرت ما كان عليها وجلست ثم امرت باحضار المائدة وقالت لى بسم الله كل يا ابا الحسن فقلت والله لا اكلت لك طعاما ولا شربت عندك مداما حتى تقضى حاجتى فقالت كان هذا من الاول ولكن والله قد وقعت من عينيا بروحك الى الامير عمر وقبل مجيئك الينا فقلت لها انا ما رحت فقالت تكون شيخا وتكذب انت ما صبرت عنده ولقيت الطبيب وهو يقول له كيت وكيت وجرى لك معه كذا وكذا وهذا الكتاب فى طى عمامتك وبالامارة قال لك ان رديت لى الجواب اعطيتك الف دينار وان لم ترد لى الجواب اعطيتك مائة دينار فقلت يا ستى

من اعلمك بهذا فقالت اليس القائل يقول

قلوب العاشقين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرون

وانا يا شيخ ابا الحسن اعشق منه وارى اكثر مما يراه فقلت صدقت يا مولاتي كان ذلك ثم ناولتها الكتاب ففضته وقرأته ثم انها مزقته وبصقت عليه وداسته ورمته في البركة فلما رايت ذلك قلت في نفسي هذا بذاك وقرضا لدين لا بد له من وفا الا اني حصل لي بعض غيظ على الالف دينار التي تفوتني فنظرت الي وعرفت مني ذلك فقالت يا شيخ ابا الحسن مم غيظك ان كان وعدك بالف دينار بت الليلة عندي وكل واشرب ولذ واطرب وخذ لك غدا مني الف دينار وامضي في وداعة الله فقلت يا سيدتي يكاد الامير عمرو ان يموت فقالت دعنا من هذا الكلام ثم ان المائدة حضرت فاكلنا بحسب الكفاية فلما فرغنا قالت يا شيخ تعرف تلعب بالشطرنج قلت ما العب الا على الحكم والرضى فقالت نعم ثم دعت بالشطرنج فوضع بين ايدينا ولعبت معها الدست الاول فغلبتني فامرت الجواري ان يرموني في البركة فمسكوني ورموني في البركة فضحكت علي ساعة ثم اخرجوني وقد ابتلت جميع حوائجي فلما راتني على تلك الحالة امرت ببدلة من القماش من افخر الملبوس فلبست فقالت نلعب ايضا على الحكم والرضى قلت نعم فلعبنا فتغافلت عليها واتيت لها بحكاية لطيفة مضحكة واشغلتها وسرقت القطع الى ان غلبتها وتحكمت فيها وقلت اريد الالف دينار وجواب الكتاب فاعطتني الالف دينار وطلبت الدواة والقرطاس ثم انها اطرقت ساعة ورفعت راسها وكتبت تقول

الا يا عمرو كم هذا العناء	وكم هذا التجلد والاذاء
كتبت الي تشكو ما تلاقي	من الاسقام اذ نزل القضاء
فسقمي لا يزال طول دهر	وداء ما له ابدا دواء
ولو ساعدتنا يا عمرو يوما	لساعدناك اذ نزل البلاء
فعش صبا ومت كمدا حزينا	فواحدة بواحدة جزاء

فلما فرغت ناولتني الورقة فقرأتها فقلت يا ستي بالله عليك لا تفعلي وارحمي الامير عمرو واكتبي له غير هذا فقالت لي يا شيخ ابا الحسن انت رسول والا فضولي فقلت لها رسول وفضولي وطفيلي ويغيظ القطط ويحلف انه ما يبات الا في الوسط ويغني بليت بكم قال فضحكت من كلامي وقالت حكمتان في نفسي فقلت يا ست بدور اين تلك المحبة التي كنت تحبيها للامير عمرو فلو ابصرتيه ما عرفتيه من شدة ما يقاسي من الاسقام والآلام والامراض فلما سمعت ذلك قالت اخبرني عن اقوى شئ به من المرض فقلت يا سيدتي ما اقدر اصف لك بعض ما فيه من الم المرض فتغرغرت عيناها بالدموع ثم قالت يعز علي ما وصفت لي عنه وروحي لروحه الفداء فالحمد لله الذي كان اجتماعنا على يديك ثم دعت بدرج غير تلك الورقة وكتبت في اول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ثم انها ابتدأت تنشد وتقول

وصل الكتاب فلا عدمت ناملا	غنيت به حتى تضوع طيبا
ففضضته وقرأته فوجدته	لخفي اوجاع القلوب طبيبا
فكانه موسى اعيد لامه	او ثوب يوسف قد اتى يعقوبا

المملوكة تقبل الارض وتنهي ان شوقها شديد وغرامها ما عليه مزيد وسؤلها من الحميد المجيد ان يجمع شملها بك قبل ان تريد واقول

اشتاقكم حتى اذا انهض الغرام	لمقامكم قعدت بي الايام
والله اني لو وصفت صبابتي	فني المداد وقلت الاقلام

ثم انها نثرت فيها فتات المسك والطيب وطوتها وختمتها وناولتني اياها فاخذتها وقمت مسرعا وانا فرحان الى ان اتيت دار الامير عمرو ودخلت الدهليز فسمعته يقول

ترى حرمت كتب المحبة بيننا	اسحر ام القرطاس اصبح غاليا

فاستأذنت عليه ودخلت فلما رآني قال لي افصح ام شعير فقلت له فصيح مغربل ليس فيه كدر ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه فلما فهم معناه تهلل وجهه

بالفرح فبكى وقال

هجم السرور علىّ حتى انني		من عظم ما قد سرني ابكاني	
يا عين قد صار البكا لك عادة		تبكين في فرح وفي احزان	

فلما فرغ من البكاء قال لي يا شيخ ما اظن الحديد يلين ولا الصخر يذوب لعل ان تكون صنعت هذا الكتاب من عندك فقلت يا مولاي والله ما صنعته ولا كتبته بل هو خطها بيدها فبينما هو يخاطبني اذ هي عبرت علينا وهي تخطر في قوامها

وهي تنشد وتقول

نزوركم لا نؤاخذكم بجفوتكم		ان الكريم اذا لم يستزر زارا	

فلما راها الامير عمرو نهض قائما على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة زمانية فهممت على ان اخلي لهما المكان فقالت الست بدور الى اين تروح يا شيخ قلت اخلي لكما المكان لانكما ما اجتمعتما من مدة سنة كاملة فقالت لا تفارقني من الساعة الى الصباح فقام الامير عمرو واخذنا ومضى بنا الى مجلس مليح وقدم لنا الطعام المفتخر وامر بازالة كل شئ كان عليه من آلة الحزن وجيئ له بالماء فغسل يديه وغسلنا ايدينا وانتقلنا الى مجلس الشراب وبتنا في لذة ورايت الماوية تدب في وجه الامير عمرو وبتنا في لذة فلما اصبحت قالت لي الست بدور يا شيخ ابا الحسن امض وائتنا بالقاضي والشهود فلم يكن باسرع مما احضرتهم فقالت الست بدور للقاضي اكتب كتابي على الامير عمرو وقد وليت الشيخ ابا الحسن عقد النكاح قال فخطب القاضي خطبة النكاح وعقد العقد بينهما فرسم الامير عمرو للقاضي بالف دينار وللشهود بمائتي دينار وعمل الوليمة وطبخ الطعام وعمل الحلاوات وجمع الناس ووضع بين ايديهم الموائد واطعم الشارد والوارد وزفت الست بدور تلك الليلة على الامير عمرو فلما وقفوا على المنصة قلت ما تصلح الا له ولا يصلح الا لها ولو رآها غيره لزلزلت الارض زلزالها ثم تقدمت الى الامير عمرو وقلت له يا مولاي المثل يقول العصفور يتفلى والصياد

يتقلى وانتم تقولون واطرباه وانا اقول واحزناه فقالت الست بدور ما معنى كلامك
هذا قلت ياسيدتى كان الامير عمرو وعدنى بوعد والوعد على الكرماء دين فقالت
الست بدور صدق الشيخ اعطه الذى وعدته به فقال الامير عمرو لبعض غلمانه
اعط الشيخ ابا الحسن الفا وخمسمائة دينار ليتناهل والله اكثر من ذلك
فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولنى اياه واعطتنى الست بدور مثله
ثم انى ودعتهم وخرجت الى ان اتيت الى الامير محمد بن سليمان الزينبى وقعدت
عنده على عادتى واخذت رسمى الذى لى عليه فى كل سنة وعدت الى بغداد
فما رايت سنة ابرك على منها حصل لى فيها اربعة الاف دينار وهذا جملة الحديث
فتعجب الخليفة وقال ما قصرت يا شيخ ابا الحسن خذ من جعفر الف دينار لانك انت
الذى ازلت عنى ما بقلبى فقال جعفر ومن عند امير المؤمنين الف دينار لانه
هو الذى زال عنه ما كان يجده فقال ابو الحسن صدق الوزير ابقاه الله تعالى
ثم انه قبض الالفين دينار ومضى الى منزله والله اعلم قال ابو القاسم عبد
الملك بن بدرون فى شرحه لقصيدة عبد المجيد بن عبدون جعفر البرمكى
هو جعفر بن يحيى بن خالد برمك والبرمك هو الذى يعمر بيت النور وهو
بيت النار وكان برمك من مجوس بلخ وكان عظيم القدر فيهم وولده خالد فلما
كبر وزر لابى السفاح بعد ابى سلمة الخلال وقتل هارون الرشيد جعفرا سنة
سبع وثمانين ومائة وكان جعفر قد بلغ من الرشيد ما لا يبلغه وزير من خليفة
قبله حتى كان يجلس معه فى حلة واحدة قد اتخذ لها جيبان على ما ذكره بعض
المخبرين وكان بلغ عنده ان يحكم عليه فيما شاء من امر ماله وولده فمن ذلك ما حكاه
ابن المهدى عم الرشيد وهو ابراهيم المعروف بابن شكلة وكانت شكلة امة سوداء
وقد ذكر ان ابراهيم كان اسود شديد السواد وكان من الطبقة العليا فى صنعة العود
قال قال لى جعفر يوما يا ابراهيم اذا كان غدا فبكر لى فلما كان الغد مشيت اليه
باكرا فجلسنا نتحدث فلما ارتفع النهار احضر حجاما فحجمنا ثم قدم لنا الطعام فطعمنا

ثم خلع علينا ثياب المنادمة وقال جعفر للخادم لا يدخل علينا احد الا عبد الملك القهرمان فنسي الحاجب ما قال له فجاء عبد الملك بن صالح الهاشمي وكان رجلا من بني هاشم ذا صلاحة وفصاحة وعلم وحلم وجلالة قدر وفخامة ذكر وصيانة وديانة فظن الحاجب انه الذي امره بادخاله عليهما فلما رآه جعفر تغير لونه فقال له عبد الملك بن صالح لما رآهم على تلك الحالة وظهر له انهم احتشموه اراد ان يرفع خجله وخجلهم بمشاركته لهم في فعلهم فقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم فجاء الخادم فطرح عليه ثياب المنادمة ثم جلس للشراب فلما بلغ ثلثا قال للساقي لتخفف عني فاني ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فقال له هل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافاة لما صنعت قال بلى ان امير المؤمنين علي غاضب فسله الرضا عني قال قد رضي عنك امير المؤمنين قال وعلي اربعة الآف دينار قال هي لك حاضرة من مال امير المؤمنين قال وابني ابراهيم اريد ان اشد ظهره بصهر من امير المؤمنين قال قد زوجه امير المؤمنين بابنته عائشة قال واحب ان تخفق الالوية على رأسه قال نعم قد ولاه امير المؤمنين مصر قال ابراهيم بن المهدي فانصرف عبد الملك بن صالح وانا اتعجب من اقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم نلبث ان دعا بابي يوسف القاضي ومحمد بن واسع وابراهيم بن عبد الملك فعقد له النكاح وحملت البدر الى منزل عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر وخرج جعفر فاشار الي فلما سار الى منزله ونزلت بنزوله التفت الي وقال لعل قلبك معلق بامر عبد الملك بن صالح فاحببت معرفة خبره قلت نعم قال وذلك اني لما دخلت على امير المؤمنين ومثلت بين يديه وابتدأت القصة من اولها الى آخرها كما كانت قال الرشيد احسن والله احسن والله ثم قال ما صنعت فاخبرته عما سأل وبما اجبته في ذلك فقال احسنت وخرج ابراهيم واليا على مصر من يومه والله تعالى اعلم قال ابراهيم بن اسحاق كنت منقطعا الى البرامكة

فبينما انا ذات يوم بمنزلي واذا الباب يدق فخرج غلامي وعاد وقال لي على الباب فتى جميل يستأذن فاذنت له فدخل شاب عليه اثر السقم فقال لي مدة احاول لقاءك ولي اليك حاجة فقلت ما هي فاخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدي و قال اسئلك ان تقبلها مني و تصنع لي لحنا في بيتين قلتهما فقلت انشدنيهما فقال

بالله يا طرفي الجاني على كبدي	لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
لا لا ابوح حتى تخلي سكني	فلا اراه ولو ادرجت في كفني

قال فصنعت لهما لحنا يشبه النوح ثم غنيته فاغمي عليه حتى اني ظننت انه مات ثم افاق وقال اعده فناشدته الله وقلت اخشى ان تموت فقال ليت ذلك وما زال يخضع ويتضرع حتى رحمته واعدته فصعق صعقة اشد من الاولى فلم اشك في موته وما زلت انضح عليه من ماء الورد حتى فاق ثم جلس فحمد الله على السلامة ووضعت دنانيره بين يديه وقلت خذ مالك وانصرف عني فقال لا حاجة لي بها ولك مثلها ان اعدته فشرهت نفسي فقلت اعيد ولكن بثلاثة شرائط اولها تقيم عندي تاكل من طعامي حتى تتقوى نفسك الثاني ان تشرب من الشراب ما يمسك قلبك الثالث ان تحدثني بحديثك ففعل ذلك ثم قال اني رجل من اهل المدينة خرجت متنزها وقد سال المطر في العقيق مع اخوتي وقرابتي فنا تا مع فتيات كانها غصن جلله الندا تنظر بعينين ما ارتد طرفها الا بنفس ملاحظها فاظللن حتى فرغ النهار فانصرفن وقد رمت بقلبي جراحا بطيئة الاندمال فعدت اتنسم اخبارها فلم اجد احدا يرشدني اليها فجعلت اتتبعها في الاسواق فلم اقع لها على خبر ومرضت اسا وحكيت قصتي لذي قرابة لي فقالت لي لا باس عليك هذه ايام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ واخرج انا معك فافعل مرادك قال فاطمانت نفسي بذلك الى ان سال العقيق وخرج الناس ينظرون فخرجت معي اخوتي وقرابتي فجلسنا في مجلسنا بعينه فما لبثنا الا والنسوة كفرسي رهان فقلت لقرابتي قولي لهذه الجارية يقول لك هذا الرجل

لقد احسن من قال

ومتنى بسهم اقصد القلب وانثنت ... وقد عاودت جرحا به وندوبا

قال فمضت اليها وقالت لها ذلك فقالت لها قولى له وقد احسن من اجابه

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا ... نرى فرجا يشفى القلوب قريبا

قال فامسكت عن الكلام خوفا للفضيحة وقمت منصرفا فقامت لقيامى فتبعتها قرابة حتى عرفت منزلها ورجعت فاخذتنى وسرنا اليها حتى اجتمعنا واتصل ذلك حتى شاع وظهر وحجبها ابوها فلم ازل مجتهدا فى لقائها فلم اقدر وشكوت ذلك الى ابى فجمع اهلنا ومضى الى ابيها راغبا فى خطبتها فقال لو بدا له ذلك قبل ان يفضحها لفعلت ولكنه اشهرها فما كنت لاحقق قول الناس قال ابراهيم فاعدت عليه الصوت وعرفنى منزله ثم انصرف وكانت بيننا عشرة ثم جلس جعفر بن يحيى وحضرت على عادتى فغنيته شعر الفتى فطرب وشرب اقداحا وقال ويلك لمن هذا الصوت فحدثته حديث الفتى فامرنى بالركوب اليه وان اجعله على ثقة من بلوغ اربه فمضيت اليه واحضرته فاستعاده الحديث فحدثه فقال هى فى ذمتى حتى ازوجك اياها فطابت نفسه واقام معنا فلما اصبح ركب جعفر الى الرشيد وحدثه بذلك فاستظرفه وامران يحضرا جميعا فاستعاد الصوت وشرب عليه فامر بكتب الكتاب الى عامل الحجاز باحضار المرأة واهلها ووالدها مبجلين الى حضرته والانفاق عليهم نفقة واسعة فلم يمض الا يسير حتى حضروا فاشار الرشيد بايصال الرجل اليه فحضر وامر بتزويج ابنته من الفتى واعطاه الف دينار ونقلت الى اهله ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ما حدث فعاد الفتى باهله الى المدينة فرحم الله تعالى اروحهم اجمعين حكاية اجنبية مما اتفق ان الوزير ابا عامر احمد بن مروان كان قد اهدى له غلام من النصارى لا تقع العيون على احسن منه فلمحه الملك الناصر فقال له انى لك هذا قال هو من عند الله فقال تتحفونا بالنجوم وتستأثرون بالاقمار فاعتذر اليه ثم احتفل فى هدية بعثها اليه مع

الغلام وقال له كن داخلا فى جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك

نفسى وكتب معه هذه الابيات

امولاى هذا البدر سار لافقكم	وللافق اولى بالبدور من الارض
ارضيكم بالنفس وهى نفيسة	ولم ار قبلى من بمهجته يرضى

قال فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكن عنده ثم بعد ذلك اهدى بيت للونى جارية من اجمل نساء الدنيا فخاف ان ينهى ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام فاحتفل فى هدية اعظم من الاولى وارسلها

مع الجارية وكتب معها هذه الابيات

امولاى هذى الشمس والبدر اولا	تقدم لكى ان يلتقى القمران
قران لعمرى بالسعادة اطلع	فدم معهما فى كوثر وجنان
فما لهما والله فى الحسن ثالث	وما لك فى ملك البرية ثان

قال فتضاعفت مكانته عنده ثم وشى به بعض اعدائه عند الناصر ان عنده بقية من الغلمان وحذره وانه لا يزال يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن على تعذر الوصول فقال الناصر للواشى لا تحرك به لسانك والا طار رأسك وكتب على لسان الغلام ورقة فيها يا مولاى تعلم انك كنت لى على الانفراد ولم ازل معك فى نعيم وانا وان كنت عند السلطان مشاركا فى المنزلة محاذرا ما بيده ومن سطوة الملك فتحيل فى استندعائ معه ثم بعثها مع غلام صغير واوصاه ان يقول هى من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط فلما وقف عليها ابو عامر واستخبر الخادم فاحسن بالمكيدة فكتب

على ظهر الورقة يقول

امن بعد احكام التجارب ينبغى	لدى سقوط الطير فى غابة الاسد
ولا انا ممن يغلب الحب عقله	ولا جاهل ما يدعيه اولو الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا	وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى سماع واشرفيه
بعد ذلك ثم قال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلي بالهوى غير مشترك

وهذا سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد

والقصة في ذلك على ما رواه ابراهيم بن اسحاق عن ابي ثور زاهر بن صقلاب
قال بلغني انه كان لهارون الرشيد مجلس بالليل مع جعفر البرمكي فقال له
يوما لا يطيب لي ذلك الا بحضر اختي ميمونة ولكن لا يجوز الا ان كتبت لك
عليها لاباحة النظر من غيران تقربها فاتفقا على ذلك وعقد له عليها ثم احضرها
فكانت تحضر لذلك المجلس الا انه زاد غرامها وعشقها فيه وكان لجعفر البرمكي
امرأة تزين له الجواري كل ليلة فجاءت ميمونة لها وارشتها بمال فزينتها
له وادخلتها عليه فظن انها جارية فواقعها فلما اصبحوا قالت له انا ميمونة وقد
كنت اسألك ان تساعدني على مودتك فتأبى فلما ايست منك احتلت عليك
بما رايت في هذه الليلة وان لم تواظب لاكونن سببا في سلب نعمتك وهل
انت الا زوجي فقال لها جعفر ويحك اهلكتيني واهلكت نفسك وكان كما
قال ولم يزرها حتى ظهر امرها للرشيد فهذا كان سبب قتل البرامكة وهذا
ابتداء الحديث قال المبرد قال ابو عبد الله المارستاني عن يحيى بن اكثم القاضي
قال سألت اسماعيل بن يحيى الهاشمي عن سبب زوال نعمة البرامكة قال نعم
اعرف صحة الخبر وباطن القصة كان سبب ذلك اني كنت مع الرشيد يوما من
الايام راكبا الى الصيد فبينما نحن اذ نظر الى موكب بالبعدا عترضنا فقال لي يا اسماعيل
لمن هذا فقلت هؤلاء اخيك جعفر بن يحيى فالتفت يمينا وشمالا الى موضعه
في موكبه فاذا هو شرذمة يسيرة ثم نظر الى الموكب الذي فيه جعفر فلم يره فقال
يا اسماعيل ما فعل جعفر وموكبه فقلت يا سيدي قد مضى اخوك في طريق ولم
يعلم بموضعك فقال ما رآنا اهلا ان يزيننا بموكبه ويجملنا بجيشه فقلت العفو
يا امير المؤمنين لو علم بمكانك ما تعداك وما سار الا بين يديك واعتذرت

بما حضرلى من الكلام ثم سرنا حتى انتهينا الى ضيعة عامرة ومواش كثيرة وعمارة
حسنة وكان الطريق يدور حولها فدرنا حتى وردنا باب القرية فنظر الرشيد الى
البيدر والى كثرة الغلات فيه والمواشى ويسار اهلها فالتفت الى وقال يا اسماعيل
لمن هذه الضيعة قلت لاخيك جعفر بن يحيى فسكت ثم تنفس الصعداء ثم سرنا ولم نزل
نمر بكل ضيعة اعمر من الاخرى وكلما مر وسألنى عن ضيعة قلت لجعفر بن يحيى
حتى سرنا ووصلنا الى المدينة فلما اردت وداعه والانصراف الى منزلى نظر
الى من كان حواليه نظرة فعلموا ما اراد فتفرقوا وبقيت انا وهو فقال يا اسماعيل
قلت لبيك يا امير المؤمنين فقال انظر الى البرامكة اغنيناهم وافقرنا اولادنا
واغفلنا امرهم فقلت فى نفسى بلية والله ثم قلت لماذا يا امير المؤمنين قال
نظرت الى هؤلاء وغفلت عن هؤلاء لانى لا اعرف لاحد من اولادى
ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد على قرب هذه المدينة فكيف بما
هو لهم غير ذلك على غير هذه الطريق فى سائر البلدان فقلت يا امير المؤمنين
انما البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات واموالهم وكل ما يملكونه لك فنظر
الى نظرة جبار عنيد ثم قال ما عد البرامكة بنى هاشم الا عبيدهم وانهم هم
الدولة وان لا نعمة لبنى العباس الا والبرامكة انعموا عليهم بها فقلت امير
المؤمنين ابصر من غيره بخدمه ومواليه فقال والله يا اسماعيل انك لتعلم انى
قلت هذا وكانى اراك ان تعلمهم بكلامى فتتخذ لك عندهم يدا وانى آمرك ولا
تكتم هذا الامر فانه ما علم به احد غيرك ومتى بلغهم شئ مما جرى علمت انه ما
افشاه الا انت فقلت يا امير المؤمنين اعوذ بالله ان يكون مثلى يفشى سرك قال وكان
هذا القول اول ما ظهر من امر البرامكة ثم ودعته وانصرفت متفكرا فى ايقاع
الحيلة عليهم فلما كان من الغد بكرت اليه وجلست بين يديه وكان فى محل
يشرف على الدجلة من شرقى مدينة باب السلام وبازائه منزل جعفر من الجانب
الغربى وكانت المواكب من جميع الاصناف من قائد وامير وعامل يردون فى كل

يوماً الى قصر جعفر فالتفت الي وقال يا اسماعيل هذا ما كنا فيه بالامس نظر كم على
باب جعفر من الجيوش والغلمان والمواكب وانا ما على باب داري احد فقلت يا
امير المؤمنين ناشدتك الله ان لا تعلق نفسك بشيء من هذا وان جعفر انما هو
عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيوشك اذا لم يكن الجيش على بابه فعلى
باب من يكون انما بابه من ابوابك فقال يا اسماعيل نظر الي دواهم الست ترى
احجازهم الى قصري وتروث بابائنا ونحن ننظر اليها والله هذا هو الاستخفاف
بعينه والله لا اصبرن على ذلك ثم غضب غضبا شديدا وامتلا غيظا فامسكت عن
الكلام وقلت والله هذا قضاء من الله سابق وحكم لا محالة واقع ثم استأذنته
في الانصراف ورجعت الى منزلي فلقيني جعفر في الطريق يريد الرشيد فتوارت
عنه حتى مضى فدخل اليه وسلم عليه فاجلسه عن يمينه واكرمه غاية الاكرام وبش
في وجهه وحادثه ساعة ووهب له خادما من خاصة خدمه وانبلهم واوضحهم
وجها واكملهم ظرفا كاتبا حاسبا لبيبا فسر جعفر سرورا كاملا ووقع في قلبه اجل
موقع وكان دسيسا عليه وبلية لديه يرفع اخباره الى الرشيد ويحصي عليه
انفاسه ساعة بساعة ووقتا بوقت فخلا به جعفر يومه ذلك وليلته واحتجب
من اجله عن الناس فلما كان بعد ثلاثة ايام سرت الى جعفر فسلمت عليه فلما
خلا مجلسه ولم يبق عنده غيري وذلك الخادم واقف وعلمت ان الخادم يحصي علينا
اخبارنا فقلت ايها الوزير نصيحة افتأذن لي بالكلام قال تكلم وكان الرشيد ولاه
كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وينسب لها قبل هذا الكلام بايام وخلع عليه
وعقد له لواء وعسكروا بالنهروان وضرب الناس مضاربهم بها وهم متأهبون للسفر
فقلت يا سيدي انت عازم على الخروج الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار
عظيمة المملكة فلو صيرت بعض ضياعك لولد امير المؤمنين لكان احظى لمنزلتك
عنده فلما قلت ذلك نظر الي مغضبا وقال والله يا اسماعيل ما اكل الخبز ابن عمك
او قال صاحبك الا بفضلي ولا قامت هذه الدولة الا بنا اما كفى اني تركته

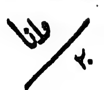
لا يهتم بامر شئ من امر نفسه و ولده وحاشيته ورعيته وقد ملأت بيوت اموال امور الاولى ذلت للامور الجليلة ادبرها حتى يمد عينيه الى ما ادخرته واخترته لولدى وعقبى من بعدى و داخله حسد بنى هاشم وبغيهم ودب فيه الطمع والله لئن سألنى شيئا من ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا فقلت والله يا سيدى ما كان ما ظننت شيئا ولا تكلم امير المؤمنين بحرف قال فما هذا الفضل منك فقعدت بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلى ولم اركب اليه ولا الى الرشيد لانى صرت بينهما فى حال تهمة وقلت فى نفسى هذا الخليفة وهذا وزيره واين لى بالدخول بينهما ولا شك فى زوال نعمة البرامكة وان امورهم قد انثلمت قال وحدثنى خادم ام جعفر ان الخادم الذى وهبه الرشيد لجعفر كتب الى الرشيد بما كان بينى وبينه وما تكلم به من الكلام الغليظ قال فلما اقرأ الكتاب وفهم الخبر احتجب ثلاثة ايام متفكرا فى ايقاع الحيلة على البرامكة فدخل فى اليوم الرابع على زبيدة فخلا بها وشكى لها ما فى قلبه واطلعها على الكتاب الذى رفعه اليه الخادم وكان بين جعفر وزبيدة شر وعداوة قديمة فلما تملكت الحجة عليه بالغت فى مكرهم واجتهدت فى هلاكهم وكان الرشيد يتبارك بمشورتها فقال اشيرى على برأيك الموفق الرشيد فانى خائف ان يخرج الامر من يدى ان تمكنوا من خراسان وتغلبوا عليها فقالت يا امير المؤمنين مثلك مع البرامكة كمثل رجل سكران غريق فى بحر عميق فان كنت قد افقت من سكرتك وتخلصت من غرقك اخبرتك بما هو اصعب عليك واعظم من هذا بكثير وان كنت على الحالة الاولى تركتك فقال لها قد كان ما كان فقولى اسمع منك فقالت ان هذا الامر قد اخفاه عنك وزيرك وهو اصعب مما انت فيه واقبح واشنع فقال لها ويحك وما هو فقالت انا اجل من ان اخاطبك به ولكن تحضر رجوان الخادم وتشدد عليه وتوهنه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد قد احل جعفر محلا لم يحله اخوه ولا ابوه وامره ان يدخل على الحريم فى السفر والحضر وابرز اليه جواريه

واخواته وبناته لانه كان بينهما رضاع سوا امرأته زبيدة فانه لم يكن رآها ولا دخل عليها ولا قضى لها حاجة ولا هي ايضا تستقضيه حاجة فلما فسد قلب الرشيد وعزم على هلاك البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة فحطت على جعفر وكان جعفر يدخل على الحريم في غياب الرشيد ويقضي حوائجهن لانهن لا يستترن منه وكان ذلك بامر الرشيد ولم يعلم الرشيد ما حدث من جعفر قال فخرج الرشيد واستدعى بارجوان الخادم واحضر السيف والنطع وقال برئت من المنصور ان لم تصدقني في حديث جعفر لاقتلنك فقال الامان يا امير المؤمنين قال نعم لك الامان فقال اعلم ان جعفرا قد خانك في اختك ميمونة وقد دخل بها منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين احدهم له ست سنين والآخر له خمس سنين والثالث عاش سنتين ومات قريبا والاثنان قد انفذهما الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي حامل بالرابع وانت اذنت له بالدخول على اهل بيتك وامرتني ان لا امنعه في اي وقت شاء ليلا او نهارا قال امرتك ان لا تحجبه فحين حدثت هذه الحادثة لم لا اخبرتني اول مرة ثم امر بضرب عنقه وقام من وقته على الفور ودخل على زبيدة وقال لها رايتي ما عاملني به جعفر وما ارتكب من هتك ستري ونكس رأسي وفضحني بين العرب والعجم فقالت هذه شهوتك وارادتك عمدت الى شاب جميل الوجه حسن الثياب طيب الرائحة جبار في نفسه ادخلته على ابنة خليفة من خلفاء الله وهي احسن منه وجها وانظف منه ثوبا واطيب منه رائحة لكنها لم تر رجلا قط غيره فهذا جزاء من جمع بين النار والحطب فخرج من عندها مكروبا فدعا بخادمه مسرور وكان قاسي القلب فظا غليظا قد نزع الله الرحمة من قلبه فقال يا مسرور اذا كان الليلة بعد العتمة فاتني بعشرة من الفعلاء اجلادا ومعهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة جاءه مسرور ومعه الفعلاء والخادمان فقام الرشيد وهم بين يديه حتى اتى المقصورة التي فيها اخته فنظر اليها وهي حامل فلم يكلمها بشيء ولم يعاتبها على

ما فعلت وامر الخادمين بادخالها فى صندوق كبير فى مقصورتها بعد قتلها
ووضعها بحليها وثيابها كما هى وقفل عليها وقد علمت انها بعد قتل رجولين
لاحقة به فلما علم انه استوثق بها دعا بالفعلاء ومعهم المعاول والزنابيل فحفروا
وسط تلك المقصورة حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسى ثم قال حسبكم
هاتوا الصندوق فدلوه فى تلك الحفرة ثم قال ردوا التراب عليه ففعلوا وسووا
الموضع كما كان ثم اخرجهم وقفل الباب واخذ المفتاح معه وجلس فى موضعه
والفعلاء والخادمان بين يديه ثم قال يا مسرور خذ هؤلاء القوم واعطهم
اجرتهم فاخذهم مسرور وجعلهم فى جوالق وخيط عليهم بعد ان ثقلهم بالصخر
والحصى ورماهم فى وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بين يديه فقال يا مسرور
فعلت ما امرتك به قال وفيت القوم اجورهم فدفع اليه مفتاح البيت وقال
احفظه حتى اسألك عنه وامض الآن فانصب فى وسط المحل القبة التركية
ففعل ذلك ووافاه قبل الصبح ولم يعلم احد ما يريد فلما جلس فى مجلسه
وكان يوم خميس يوم موكب جعفر قال يا مسرور لا تتباعد عنى ودخل الناس
فسلموا عليه ووقفوا على مراتبهم ودخل جعفر بن يحيى البرمكى فسلم عليه فرد عليه
السلام احسن رد وترحب به وضحك فى وجهه فجلس فى مرتبته وكانت مرتبته
اقرب المراتب الى امير المؤمنين ثم حدثه ساعة وضاحكه فاخرج جعفر الكتب الواردة
عليه من النواحى فقرأها عليه وامر ونهى ومنع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس
ثم استأذنه جعفر فى الخروج الى خراسان فى يومه ذلك فدعا الرشيد بالمنجم
وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم مضى من النهار قال ثلاث ساعات و
نصف فاخذ له الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه ونظر فى نجمه فقال يا اخى
هذا يوم نحوسك وهذه ساعة نحس ولا ارى الا انه يحدث فيها حدث و
لكن تصلى الجمعة وترحل فى سعودك وتبيت فى النهروان تبكر يوم السبت و
تستقبل الطريق بالنهار فانه اصلح من اليوم فما رضى جعفر بما قاله الرشيد حتى

اخذ الاصطرلاب من يد المنجم وقام واخذ الطالع وحسب لطالع لنفسه وقال و
الله صدقت يا امير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس وما رايت نجما اشد
احتراقا ولا اضيق مجرى من البروج فى مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف الى منزله
والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يعظمونه ويجلونه الى ان وصل
الى قصره فى جيش عظيم وامر ونهى وانصرف الناس عنه فلم يستقر به المجلس حتى بعث
اليه الرشيد مسرورا وقال له امض الى جعفر وائتنى به الساعة وقل له وردت كتب من
خراسان فاذا دخل من الباب الاول وقف الجند والثانى اوقف الغلمان والثالث
فلا تدع احدا يدخل معه من غلمانه بل يدخل وحده فاذا دخل فى صحن الدار فمل به
الى القبة التركية التى امرتك بنصبها فاضرب عنقه وأتنى برأسه ولا تقف احدا من خلق الله
على ما امرتك به ولا تراجعنى فى امره وان لم تفعل امرت من يضرب عنقك
ويأتينى برأسك ورأسه جملة وفى دون هذا كفاية وانت اعلم وتبادر قبل
ان يبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرور واستأذن على جعفر فدخل عليه وقد نزع
ثيابه وطرح نفسه ليستريح فقال سيدى جب امير المؤمنين قال فانزعج وارتاع
منه وقال ويلك يا مسرور انا فى هذه الساعة خرجت من عنده فما الخبر قال
وردت كتب من خراسان يحتاج تقرأها فطابت نفسه ودعا بثيابه فلبسها
وتقلد بسيفه وذهب معه فلما دخل من الباب الاول وقف الجند وفى الثانى
اوقف الغلمان فلما دخل من الباب الثالث التفت فلم ير احدا من غلمانه ولا الخادم
الفرد فندم على ركوبه تلك الساعة ولم يمكنه الرجوع فلما صار بازاء تلك القبة
المضروبة فى صحن الدار مال به اليها وانزله عن دابته وادخله القبة فلم ير فيها احدا
وفى رواية رأى فيها سيفا ونطعا فحس بالبلاء وقال لمسرور يا اخى ما الخبر
فقال له مسرور انا الساعة اخوك وفى منزلك تقول لى ويلك انت تدرى ما القضية
وما كان الله ليهملك ولا ليغفل فقد امرنى امير المؤمنين بضرب عنقك وحمل
رأسك اليه الساعة فبكى جعفر وجعل يقبل يدى مسرور ورجليه ويقول يا اخى

يامسرور قد علمت كرامتي لك دون جميع الغلمان والحاشية وان حوائجك عندي
مقضية في سائر الاوقات وانت تعرف موضعي ومحلي من امير المؤمنين وما
يوجبه الي من الاسرار ولعل ان يكونوا بلغوه عني باطلا وهذه مائة الف دينار
احضرلك بها الساعة قبل ان اقوم من موضعي هذا وخلني اهيم على وجهي فقال
لاسبيل الى ذلك ابدا قال فاحملني اليه واوقفني بين يديه فلعله اذا وقع نظره
علي تدركه الرحمة فيصفح عني قال مالي سبيل الى ذلك ابدا ولا يمكنني مراجعته
وقد علمت انه لاسبيل لي الحياة ابدا قال فتوقف عني ساعة وترجع عليه وتقول
له قد فرغت مما امرتني به واسمع مايقول وعد فافعل ماتريد فان فعلت ذلك
وحصلت لي السلامة فاني اشهد الله وملائكته اني اشاطرك في نعمتي مما ملكته
يدي واجعلك امير الجيش واملكك امر الدنيا ولم يزل به وهو يبكي حتى طمع
في الحياة قال له مسرور ربما يكون ذلك وحل سيفه ومنطقته واخذهما ووكل
به اربعين غلاما من السودان يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدي
الرشيد وهو جالس يقطر غضبا وفي يده القضيب لولع ينكت به في الارض
فلما رآه قال له ثكلتك امك مافعلت في امر جعفر فقال يا امير المؤمنين قد انفذت
امرك فيه قال فاين رأسه قال في القبة قال فأتني برأسه الساعة فرجع مسرور
جعفر يصلي وقد ركع ركعة فلم يمهله ان يصلي الثانية حتى سل سيفه الذي
اخذه منه وضرب عنقه واخذ رأسه بلحيته فطرحها بين يدي امير المؤمنين
وهو يشخب دما فتنفس الصعداء وبكى بكاء شديدا وجعل ينكت في الارض
اثر كل كلمة ويقرع اسنانه بالقضيب ويخاطبه ويقول يا جعفر الم احلك
محل نفسي يا جعفر ما كافأتني ولا عرفت حقي ولا حفظت عهدي ولا ذكرت
نعمتي ولا نظرت في عواقب الامور ولا تفكرت في صروف الدهر ولا حسبت
تقلب الايام واختلاف احوالها يا جعفر خنتني في اهلي وفضحتني بين العرب و
العجم يا جعفر أسأت الي والى نفسك ولا تفكرت في عاقبة امرك قال مسرور



وانا واقف بين يديه وهو ينكت فى الارض فى كل كلمة ولم يزل كذلك الى ان اذن لصلاة الظهر فدعا بماء فتوضأ للصلاة وخرج للجامع فصلى بالناس جماعة ثم الظهر وجهه لقصور جعفر ودوره وقبض على ابيه واخيه وجميع اولاد البرامكة وموالبهم وغلمانهم واستباح ما فيها ووجه مسرورا الى العسكر فاخذ جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك فلما اصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو الف انسان وترك من بقى منهم لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم فى البلاد ولم يقدر واحد منهم على كثرة خير وحبس اباه يحيى واخاه الفضل فى مطمورة وامر بجثة جعفر فصلبت على الجسر ببغداد ثم بعث الى خراسان ان يوطن بلادها وامر الناس فردوا مضاربهم ودخل العسكر واستقرت له الامور واحضر على بن عيسى بن ماهان فولاه خراسان ثم وجه الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فاتى بالصبيين ولدى جعفر من اخته ميمونة قال دخلا عليه فى بيته فلما رآهما اعجب بهما وكانا فى نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنية وفصاحتهما هاشمية وفى الفاظهما عذوبة وبلاغة فقال لكبيرهما ما اسمك يا قرة عينى قال الحسن وقال للصغير ما اسمك يا حبيبى قال الحسين فنظر اليهما وبكى بكاء شديدا ثم قال يعز على حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما ولم يدر ما يراد بهما ثم قال يا مسرور ما فعل بالمفتاح الذى دفعته لك وامرتك بحفظه قال هو حاضر يا امير المؤمنين قال فأتنى به ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وامرهم ان يحفروا فى البيت حفرة عميقا ودعا مسرورا وامره بقتلهما ودفنهما مع امهما فى تلك الحفرة رحمهم الله تعالى جميعا وهو مع ذلك يبكى بكاء شديدا حتى ظننت انه رحمهما ثم مسح عينيه من الدموع وامر ان لا تذكر البرامكة فى مجلس ولا يستعان بمن بقى منهم فى المدينة ابدا فخرجوا على وجوههم فى البلاد شاردين متنكرين وقطع الله دابرهم قال فلما كان بعد مدة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت مصلاه

فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر علمها فبعث
اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا اعلم من طرحها
فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقي
من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلكه وزاد في حديده
واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله ايضا
وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد
يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين
من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شفيقه ورفضه صديقه
وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد
السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب بكاس الموت مترعه وافترش السخط
بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر
وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا امير المؤمنين قد
اصابتني مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك كان في يدي
عارية منك ولا بأس برد العواري الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجريرته
وعاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق واما الفقير فاذكر
يا امير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك فمن
مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد رجوت ان
افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وتلويح حجتي ففي
ذلك ما يكتفي به امير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه ثم انشأ

يقول

قل للخليفة ذي الصنائع	والعطايا الفاشيه

وابن الخلائف من قريش — والملوك العاليه
راس الامور وخير من — ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذي — ن رموا لديك بداهيه
عمتهم لك سخطة — لم تبق منهم باقيه
فكانهم مما بهم — اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم — خلع المذلة بادية
مستضعفون ومطرود — ن بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزا — رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها — فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهمو — منك الرضا والعافيه
يا من يريد لي الردى — يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك اني مستبا — ح لمعشر وشماتيه
يكفيك ما ابصرته — ذلي وذل مكانيه
فلقد رايت الموت من — قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبيرة — والدموع الجاريه
ومقالها بتفجع — يا اسرتي وشقائيه
من لي وقد غلب الزمان — على جميع رجاليه
يا لهف نفسي لهفها — ما للزمان وماليه
او ما سمعت مقالتي — يا ذا الفروع الزاكيه
يا عطفة الملك الرضا — عودي علينا ثانيه

فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهر هذه الابيات

يا آل برمك انكم — كنتم ملوكا عاتيه
فعصيتمو وطغيتمو — وكفرتمو نعمائيه

هذی عقوبة من عصی		من فوقه وعصانيه	
اجری القضاء عليكم		ما خنتموه علانيه	
من ترك نصح امامكم		عند الامور البادیه	

ثم اردفه بقوله تعالی (بسم الله الرحمن الرحیم) وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة یاتیها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا یصنعون فلما قراها یحیی وهو بالسجن اخذته الحمی لوقته وساعته وكان ینام علی التراب وایس من الحیاة وعلم انه لیس له مخلص مما هو فیه من السجن انتهی وقیل لیحیی ابن خالد بن برمك ایها الوزیر اخبرنا باحسن ما رایت فی ایام سعادتك قال ركبت یوما فی بعض الایام فی سفینة اریدا لتنزه فلما خرجت برجلی لاصعد فاتكات علی لوح من الواحها وكان باصبعی خاتم فطار فصه من یدی وكان یاقوتا احمر قیمته الف مثقال من الذهب فتطیرت من ذلك ثم عدت الی منزلی واذا بالطباخ قد اتی بذلك الفص بعینه وقال ایها الوزیر لقیت هذا الفص فی بطن حوت وذلك لانی اشتریت حینا ناللمطبخ فشققت بطنها فرایت هذا الفص فقلت لا یصلح هذا الا للوزیر اعزه الله تعالی فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغایة و قیل له اخبرنا ببعض ما لقیت من المحن قال اشتهیت لحما فی قدر طباخ وانا فی السجن فعزمت الف دینار فی شهوتی حتی اتیت بقدر ولحم مقطع فی قصبة فارسیة والخل وسائر حوائجها فی قصبة اخری وتركوا عندی ما احتاج الیه واتیت بنار فاوقدت تحت القدر ونفخت ولحیتی فی الارض حتی كادت روحی تخرج فلما نضجت تركتها تفور وتغلی وفتیت الخبز وعمدت لانزلها فانفلتت من یدی وانكسر القدر علی الارض فبقیت التقط اللحم واصبح منه التراب واكله وذهب المرق الذی كنت اشتهیته وهذا اعظم ما مر بی انتهی ثم ان الرشید نذر الحج فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه فی رمضان فكانت

تضرب له السرادقات المكللة بالديباج مفروشة بالحرير يخرج من سرادق الى سرادق والناس محدقون به حتى وصل الى الحرم وحج فاتفق ان الوفاة دنت من يحيى وهو فى السجن فكتب رقعة واوصى لولده الفضل ان يوصلها الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات

ستعلم فى الحساب اذا التقينا	غدا يوم القيام من الظلوم
وينقطع التلذذ عن اناس	من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا	تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد فى دار المنايا	وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضى	وعند الله تجتمع الخصوم

قال فلما قدم الرشيد نفذها اليه الفضل فلما قرأها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا فوجت عنه ثم امر باطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر رحمة الله عليهم اجمعين قال بعضهم فى البرامكة شعرا

ان البرامكة الكرام تعلموا	فعل الكرام فعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا	لم يهدموا لبنائهم اساسا
واذا هم صنعوا الصنائع فى الورى	جعلوا لها طول البقاء لباسا
فعلام تسقينى وانت سقيتنى	كاس المرارة من جنابك كاسا
آنستنى متفضلا افلا ترى	ان القطيعة توحش الايناسا

وسئل اسحاق الموصلى عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال اما الفضل فيفعله يرضيك

واما جعفر فقوله يرضيك ... واما محمد فيفعل ما يجد

وفى يحيى يقول القائل

سألت الندا هل انت حر فقال لا	ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة	توارثنى من والد بعد والد

(وفى الفضل يقول القائل)

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة رايت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة ولا بمكب فى ثرى الارض ينكت

(وفى محمد يقول القائل)

سألت الندا والجود مالى اراكما تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما فقالا اصبنا فى ابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا اقمنا كى نعزى بفقده مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وذكر الحافظ السيوطى نفعنا الله به فى رسالته منتهى العقول فى منتهى النقول ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كادان لا يوجد احد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء الا وللبرامكة عليه كرم نماء كماء السماء وتكرم جعفر بخمسين الف دينار من الذهب تكرما منه كثيرا فى ولايته كلها من غير من ولا اذى ولا لغرض ولا لمرض حتى صار يضرب بهم المثل الاكبر بقولهم تبرمك فلان ومن كرم جعفر انه تكرم فى يوم على الف شاعر اعطى كل شاعر الف درهم والدرهم ثلاثة انصاف فضة ومن كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة آلاف دينار وعفا عن تأديبه وتعذيبه ولما وقع بهم من الامر ما اوقع الرشيد صار امرهم الى ما سيوصف من الفقر والذل والاهانة فمن ذلك ما قاله محمد بن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيها قال دخلت على امى فى يوم عيد اضحى فرايت عندها عجوزا فى اطمار رثة واذا لها بيان ولسان فقلت لامى من هذه قالت هذه خالتك عتابة ام جعفر البرمكى ابن يحيى فسلمت عليها وقلت لها اصابك الدهر الى ما ارى قالت نعم يا بنى ان الذى كنا فيه عارية ارتجعها الدهر منا قال فقلت حدثينى ببعض شانك قالت خذه جملة لقد مضى على عيد اضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى رأسى اربعمائة وصيفة وانا ازعم ان ابنى عاق لى وقد جئتكم اليوم اطلب جلدى شاة اجعل احدهما شعارا والآخر دثارا

قال فغمني ذلك وابكاني فوهبت لها بعض دنانير كانت عندي والله اعلم
ومن قول يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني ما دام قلمك يرعف فامطره معروفا
ومن كلام جعفر اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا
من غير سبب فتوق شره * وقال يحيى بن سلام الابرش قال حدثني ابي قال
خرج الرشيد للصيد يوما بعد ما اباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدار
بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه هذه الابيات

يا من لا لعب الزمان باهله	فاباد هم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم بك مرة	كان الزمان بهم يضر وينفع
اصبحت تفزع من رآك وطالما	كنا اليك من المهول نفزع
ذهب الذين يعاش في اكنافهم	وبقي الذين حياتهم لا تنفع

قال فبكى الرشيد واقبل على الاصمعي وقال اتعرف شيئا من اخبار البرامكة
فحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان فقال احدثك
بشئ شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى وذلك انه خرج يوما للصيد و
القنص وهو في موكبه اذا رأى اعرابيا على ناقة قد اقبل من صدر البرية
يركض في سيره قال هذا يقصدني فقلت ومن اعلمك قال لا يكلم احد غيري
فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير الجم
الغفير وسمع الغوغاء والضجة ظن انه امير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم
اليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته * قال اخفض
عليك ما تقول فقال السلام عليك ايها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس
الاعرابي فقال له الفضل من اين اقبلت يا اخا العرب قال من قضاعة قال من ادناها
او من اقصاها قال من اقصاها قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من
العراق الى ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا اخا العرب مثلك من يقصد
من ثمانمائة فرسخ الى العراق لاي شئ قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين

قد اشتهر معروفهم في البلاد فقال من هم قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب
ان البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهل افردت
لنفسك منهم من اخترت لنفسك واتيته لحاجتك قال اجل قال اطولهم باعا
واسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا اخا العرب
ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا
العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم اعالم انت قال لا قال
افاديب قال لا قال فعالم انت بايام العرب واشعارها قال لا قال وردت على الفضل
بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل
ابن يحيى وهو ما عرفتك عنه من الجلالة باي ذريعة او وسيلة تقدم عليه
قال والله يا امير ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وببيتين من
الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدني البيتين فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما اشرت عليك تلقاه
وان كانا لا يصلحان ان تلقاه بهما بررتك بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وان كنت لم تستحق
(بشعرك شيئا قال افتفعل ايها الامير قال نعم قال فاني اقول

الم تر ان الجود من عهد آدم	تحدّر حتى صار يمتطه الفضل
ولو ان اما مسها جوع طفلها	غذته باسم الفضل لاغتذي الطفل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر
(واخذ الجائزة عليهما فانشدني غيرهما ما تقول قال اقول)

قد كان آدم حين حان وفاته	اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم	وكفيت آدم عولة الابناء

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل ممتحنا هذان البيتان اخذتهما
من افواه الناس فانشدني غيرهما ما تقول وقد رمقتك الادباء بالابصار
وامتدت الاعناق اليك وتحتاج ان تناضل عن نفسك قال اذن اقول

ملت حجابذ فضل وزن نائله	وملّ كاتبه احصاه ما يهب

والله لولاك لم يمدح بمكرمة ... خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس ما كنت قائلا؟ قال اقول

وللفضل صولات على مال نفسه ... يرى المال منه بالمهانة والعنا
ولو ان رب المال ابصر ماله ... لصلى على مال الامير وادنا

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما ما تقول قال اذن اقول

ولو قيل للمعروف نادى اخا العلا ... لنادى باعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو انفقت جدواك من بمل عاجلا ... لاصبح من جدواك قد نفد الوصل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان ايضا انشدني غيرهما ما تقول قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل ... واني لذاك الصب والباذل الفضل
على ان لي مثلا كما ذكر الورى ... وليس لفضل في سماحته مثل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدني غيرهما ما تقول قال

اقول ايها الامير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد ... فقامت به التقوى وقام به العدل
وقام به المعروف شرقا ومغربا ... ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشدني بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول قال اذن اقول

الا يا ابا العباس يا واحد الورى ... ويا ملكا خد الملوك له نعل
اليك الناس شرقا ومغربا ... فرادى وازواجا كانهم نحل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا لاقولن اربعة ابيات ما سبقني

اليهن عرف ولا عجمي ولئن نادني بعدها لاجمعن قوائم ناقتي هذه واجعلها في حرام الفضل وارجعن الى قضاعة خاسرا ولا ابالي فنكس الفضل رأسه وقال للاعرابي يا اخا العرب سمعني الابيات الاربعة قال اقول

ولائمة لامتك يا فضل في الندا	فقلت لها هل يقدح اللوم في البحر
أتنهين فضلا عن عطاياه للغنى	فمن ذا الذي ينهى السحاب عن القطر
كان نوال الفضل في كل بلدة	تحدر هذا المزن في مهمه قفر
كان وفود الناس في كل وجهة	الى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال فاسلت الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع رأسه وقال يا اخا العرب انا والله الفضل بن يحيى سل ما شئت فقال سألتك بالله ايها الامير انك لهو قال نعم قال له فاقلني قال اقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة الآف درهم قال الفضل ازدهيت بنا وبنفسك يا اخا العرب نعطي عشرة الآف درهم في عشرة الآف وامر بدفع المال فلما صار المال اليه حسده وزير الفضل وقال يا مولاي هذا اسراف يأتيك جلف من اجلاف العرب بابيات استرقها من اشعار العرب فتجزيه بهذا المال فقال استحقه بحضوره الينا من ارض قضاعة قال الوزير اقسمت عليك يا مولاي الا اخذت سهما من كنانتك وركبته في كبد قوسك واومات به الى الاعرابي فان رد عن نفسه ببيت من الشعر والا استعطف سالك ويكون له في بعضه كفاية فاخذ الفضل سهما وركبه في كبد قوسه واوما به الى الاعرابي وقال له رد سهمي ببيت من الشعر فانشا يقول

لقوسك قوس الجود والوتر الندا	وسهمك سهم العز فارم به فقري

قال فضحك الفضل وانشا يقول

اذا ملكت كفي منالا ولم انل	فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي
على الله اخلاف الذي قد بذلته	فلا مبق لي بخلي ولا متلف بذلي
اروني بخيلا نال مجدا ببخله	وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابي مائة الف درهم لقصده وشعره ومائة الف درهم لكفينا شر قوائم ناقته فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابي استقلالا بالمال الذي اعطيناك قال لا ولكني ابكي على مثلك يأكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال	ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر	يموت لموته خلق كثير

وتوجه الاعرابي بالمال مسرورا رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان الرشيد قال لابي نواس بعني ذقنك قال بكم قال بالف دينار قال بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له الف دينار فدفعها له فاخذها وربطها وقال يا امير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى ابو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو خائف على ذقنه من امير المؤمنين قال فبينما هو متفكر في شئ يفعله اذ جاءه قاصد امير المؤمنين فلم يقدر ان يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده في جمع كثير من خواص المملكة واعوان الدولة وكان من شانه ان يجلس بالقرب من امير المؤمنين فتحادثوا وتمالجوا فضرط ابو نواس ضرطة مزعجة أزعجت الحاضرين فضحكوا جميعا وضحك امير المؤمنين وقال له في ذقنك يا معرص فقال في الحال الله اعلم هي ذقن من فقال امير المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون فاخذها وانصرف وكسب الالف دينار بهذه الحيلة والله اعلم انتهى (وكان نصر بن مقبل) عاملا على الرقة فأتى برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال له ما حملك على هذا فقال ايها الامير انها والله ملك يميني وقد قال الله تعالى او ما ملكت ايمانكم فاطلقه وامر ان تضرب لشاة الحد فان ماتت تصلب قالوا ايها الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالي انا فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما احضر بين يديه قال من انت قال معلم الكلب فضحك منه ثم قال كيف بصرك بالحكم فقال يا امير المؤمنين

فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر علمها فبعث
اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا اعلم من طرحها
فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقي
من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلكه وزاد في حديده
واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله ايضا
وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد
يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين
من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه
وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد
السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب بكاس الموت مترعه وافترش السخط
بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر
وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا امير المؤمنين قد
اصابتني مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك كان في يدي
عارية منك ولا بأس برد العواري الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجريرته
وعاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق واما الفقر فاذكر
يا امير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك
مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد
افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعة
ذلك ما يكتفي به امير المؤمنين ويرى الحقيقة

يقول

قل للخليفة ذي الصنائع		وا

وابن الخلائف من قريش ... والملوك العاليه
راس الامور وخير من ... ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذي ... ن رموا لديك بداهيه
عمتهم لك سخطة ... لم تبق منهم باقيه
فكانهم مما بهم ... اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم ... خلع المذلة باديه
مستضعفون ومطردو ... ن بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزا ... رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها ... فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهمو ... منك الرضا والعافيه
يا من يريد لي الردى ... يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك اني مستبا ... ح لعثرتي ونسائيه
يكفيك ما ابصرته ... من ذلي وذل مكانيه
فلقد رايت الموت من ... قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبيرة ... والدموع الجاريه
ومقالها بتفجع ... يا اسرتي وشفائيه
من لي وقد غلب الزمان ... على جميع رجاليه
يالهف نفسي لهفها ... ما للزمان وماليه
اوما سمعت مقالتي ... يا ذا الفروع الزاكيه
يا عاطفة الملك الرضا ... عودي علينا ثانيه

... على الرقعة ... على ظهر هذه الابيات

... ثم ملوكا عاتيه
... كفرتمو نعمائيه

فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر علمها فبعث
اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا اعلم من طرحها
فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقي
من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلكه وزاد في حديده
واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله ايضا
وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد
يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين
من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه
وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد
السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب بكاس الموت مترعه وافترش السخط
بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر
وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا امير المؤمنين قد
اصابتني مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك كان في يدي
عارية منك ولا بأس برد العواري الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجريرته
وعاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق واما الفقير فاذكر
يا امير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك فمن
مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد رجوت ان
افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وتلويح حجتي ففي
ذلك ما يكتفي به امير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه ثم انشا

يقول

والعطايا الفاشيه	قل للخليفة ذي الصنائع

وابن الخلائف من قريش ... والملوك العاليه
ساس الامور وخبر من ... ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذي ... ن رموا لديك بداهيه
عمتهم لك سخطة ... لم تبق منهم باقيه
فكانهم مما بهم ... اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم ... خلع المذلة باديه
مستضعفون مطردو ... ن بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزا ... رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها ... فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهمو ... منك الرضا والعافيه
يا من يريد لي الردى ... يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك اني مستبا ... ح لعثر ونسائيه
يكفيك ما ابصرته ... ذلي وذل مكانيه
فلقد رايت الموت من ... قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبيرة ... والدموع الجاريه
ومقالها بتفجع ... يا اسرتي وشفائيه
من لي وقد غلب الزمان ... على جميع رجاليه
يا لهف نفسي لهفها ... ما للزمان وماليه
او ما سمعت مقالتي ... يا ذا الفروع الزاكيه
يا عطفة الملك الرضا ... عودي علينا ثانيه

فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهر هذه الابيات

يا آل برمك انكم ... كنتم ملوكا عاتيه
فعصيتمو وطغيتمو ... وكفرتمو نعمائيه

هذى عقوبة من عصى		من فوقه وعصانيه	
اجرى القضاء عليكمو		ماخنتموه علانيه	
من ترك نصح امامكم		عند الامور البادية	

ثم اردفه بقوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فلما قراها يحيى وهو بالسجن اخذته الحمى لوقته وساعته وكان ينام على التراب وايس من الحياة وعلم انه ليس له مخلص مما هو فيه من السجن انتهى وقيل ليحيى ابن خالد بن برمك ايها الوزير اخبرنا باحسن ما رايت فى ايام سعادتك قال كنت يوما فى بعض الايام فى سفينة اريد التنزه فلما خرجت برجلى لاصعد فانكات على لوح من الواحها وكان باصبعى خاتم فطار فصه من يدى وكان ياقوتا احمر قيمته الف مثقال من الذهب فتطيرت من ذلك ثم عدت الى منزلى واذا بالطباخ قد اتى بذلك الفص بعينه وقال ايها الوزير لقيت هذا الفص فى بطن حوت وذلك لانى اشتريت حيتانا للمطبخ فشققت بطنها فرايت هذا الفص فقلت لا يصلح هذا الا للوزير اعزه الله تعالى فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغاية و قيل له اخبرنا ببعض ما لقيت من المحن قال اشتهيت لحما فى قدر طباخ وانا فى السجن فعزمت الف دينار فى شهوتى حتى اتيت بقدر ولحم مقطع فى قصبة فارسية والخل وسائر حوائجها فى قصبة اخرى وتركوا عندى ما احتاج اليه واتيت بنار فاوقدت تحت القدر ونفخت ولحيتى فى الارض حتى كادت روحى تخرج فلما نضجت تركتها تفور وتغلى وفتيت الخبز وعمدت لانزلها فانفلتت من يدى وانكسر القدر على الارض فبقيت التقط اللحم واصبح منه التراب واكله وذهب المرق الذى كنت اشتهيته وهذا اعظم ما مر بى انتهى ثم ان الرشيد نذر الحج فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه فى رمضان فكانت

تضرب له السرادقات المكللة بالديباج مفروشة بالحرير يخرج من سرادق الى سرادق والناس محدقون به حتى وصل الى الحرم وحج فاتفق ان الوفاة دنت من يحيى وهو فى السجن فكتب رقعة واوصى لولده الفضل ان يوصلها

الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات

ستعلم فى الحساب اذا التقينا	غدا يوم القيام من الظلوم
وينقطع التلذذ عن اناس	من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا	تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد فى دار المنايا	وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضى	وعند الله تجتمع الخصوم

قال فلما قدم الرشيد نفذها اليه الفضل فلما قرأها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا فوجت عنه ثم امر باطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر رحمة الله عليهم اجمعين قال بعضهم فى

البرامكة شعرا

ان البرامكة الكرام تعلموا	فعل الكرام فعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا	لم يهدموا لبنائهم اساسا
واذا هم صنعوا الصنائع فى الورى	جعلوا لها طول البقاء لباسا
فعلام تسقينى وانت سقيتنى	كاس المرارة من جنابك كاسا
آنستنى متفضلا افلا ترى	ان القطيعة توحش الايناسا

وسئل اسحاق الموصلى عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال اما الفضل فيفعله برضيك

واما جعفر فقوله برضيك	واما محمد فيفعل ما يجد

وفى يحيى يقول القائل

سألت الندا هل انت حر فقال لا	ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة	توارثها من والد بعد والد

(وفي الفضل يقول القائل)

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة	رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة	ولا بمكب في ثرى الارض ينكت

(وفي محمد يقول القائل)

سألت الندى والجود مالي اراكما	تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما	فقالا اصبنا في ابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته	وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا اقمنا كي نعزى بفقده	مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وذكر الحافظ السيوطي نفعنا الله به في رسالته مشتهى العقول في منتهى النقول ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كاد ان لا يوجد احد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء الا وللبرامكة عليه كرم نماء كماء السماء وتكرم جعفر بخمسين الف دينار من الذهب تكرمة منه كبرا في ولايته كلها من غير من ولا اذى ولا لغرض ولا لمرض حتى صار يضرب بهم المثل الاكبر يقولهم تبرمكت فلان ومن كرم جعفر انه تكرم في يوم على الف شاعر اعطى كل شاعر الف درهم والدرهم ثلاثة انصاف فضة ومن كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة آلاف دينار وعفا عن تأديبه وتعذيبه ولما وقع بهم من الامر ما اوقع الرشيد صار امرهم الى ما سيوصف من الفقر والذل والاهانة من ذلك ما قاله محمد بن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيها قال دخلت على امي في يوم عيد اضحى فرايت عندها عجوزا في اطمار رثة واذا لها بيان ولسان فقلت لامي من هذه قالت هذه خالتك عتابة ام جعفر البرمكي ابن يحيى فسلمت عليها وقلت لها اصابك الدهر الى ما ارى قالت نعم يا بني ان الذي كنا فيه عارية ارتجعها الدهر منا قال فقلت حدثيني ببعض شانك قالت خذه جملة لقد مضى علي عيد اضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى راسي اربعمائة وصيفة وانا ازعم ان ابني عاق لي وقد جئتكم اليوم اطلب جلدي شاة اجعل احدهما شعارا والآخر دثارا

قال فغمني ذلك وابكاني فوهبت لها بعض دنانير كانت عندي والله اعلم
ومن قول يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني ما دام تملك بر عنف فامطره معروفا
ومن كلام جعفر اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا
من غير سبب فتوق شره * وقال يحيى بن سلام الابرش قال حدثني ابي قال
خرج الرشيد للصيد يوما بعد ما اباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدار
بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه هذه الابيات

يا من لاعب الزمان باهله	فاباد هم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم بك مرة	كان الزمان بهم يضر وينفع
اصبحت تفزع من رآك وطالما	كنا اليك من المهول نفزع
ذهب الذين يعاش في اكنافهم	وبقي الذين حياتهم لا تنفع

قال فبكى الرشيد واقبل على الاصمعي وقال اتعرف شيئا من اخبار البرامكة
فحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان فقال احدثك
بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى وذلك انه خرج يوما للصيد و
القنص وهو في موكبه اذا رأى اعرابيا على ناقة قد اقبل من صدر البرية
يركض في سيره قال هذا يقصدني فقلت ومن اعلمك قال لا يكلمه احد غيري
فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير الجم
الغفير وسمع الغوغاء والضجة ظن انه امير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم
اليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته : قال اخفض
عليك ما تقول فقال السلام عليك ايها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس
الاعرابي فقال له الفضل من اين اقبلت يا اخا العرب قال من قضاعة قال من ادناها
او من اقصاها قال من اقصاها قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من
العراق الى ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا اخا العرب مثلك من يقصد
من ثمانمائة فرسخ الى العراق لاي شيء قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين

قد اشتهر معروفهم في البلاد فقال من هم قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب
ان البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهل افردت
لنفسك منهم من اخترت لنفسك واتيته لحاجتك قال اجل قال اطولهم باعا
واسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا اخا العرب
ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا
العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم اعالم انت قال لا قال
افاديب قال لا قال فعارف انت بايام العرب واشعارها قال لا قال وردت على الفضل
بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل
ابن يحيى وهو ما عرفتك عنه من الجلالة باي ذريعة او وسيلة تقدم عليه
قال والله يا امير ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وبيتين من
الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدني البيتين فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما اشرت عليك بتلقائه
وان كانا لا يصلحان ان تلقاه بهما برزتك بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وان كنت لم تستحق

بشعرك شيئا قال افتفعل ايها الامير قال نعم قال فاني اقول

الم تر ان الجود من عهد آدم	تحدر حتى صار يمتطه الفضل
ولو ان اما مسها جوع طفلها	غذته باسم الفضل لاغتذي الطفل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر

واخذ الجائزة عليهما فانشدني غيرهما ما تقول قال اقول

قد كان آدم حين حان وفاته	اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم	وكفيت آدم عولة الابناء

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل ممتحنا هذان البيتان اخذتهما
من افواه الناس فانشدني غيرهما ما تقول وقد مقتك الادباء بالابصار
وامتدت الاعناق اليك ونحتاج ان تناضل عن نفسك قال اذن اقول

ملت حبائد فضل وزن نائله	وملّ كاتبه احصاه ما يهب

والله لولاك لم يمدح بمكرمة	خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس ما كنت قائلا قال اقول

وللفضل صولات على مال نفسه	يرى المال منه بالمذلة والعنا
ولو ان رب المال ابصر ماله	لصلى على مال الامير واذنا

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما ما تقول قال اذن اقول

ولو قيل للمعروف نادى اخا العلا	لنادى باعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو انفقت جدواك من بسمل عاجلا	لاصبح من جدواك قد نفد الوحل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان ايضا انشدني غيرهما ما تقول قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل	واني لذاك الصب والباذل الفضل
على ان لي مثلا كما ذكر الورى	وليس لفضل في سماحته مثل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدني غيرهما ما تقول قال اقول ايها الامير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد	فقامت به التقوى وقام به العدل
وقام به المعروف شرقا ومغربا	ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشد في بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول قال اذن اقول

الا يا ابا العباس يا واحد الورى	ويا ملكا خد الملوك له نعل
اليك الناس شرقا ومغربا	فرادى وازواجا كانهم نحل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا لاقولن اربعة ابيات ما سبقني

الیهن عرف ولا عجمی ولئن زادنی بعدها لاجمعن قوائم ناقتی هذه واجعلها
فی حرام الفضل وارجعن الی قضاعة خاسرا ولا ابالی فنکس الفضل رأسه وقال

للاعرابی یا اخا العرب بمعنی الابیات الاربعة قال اقول

ولائمة لامتك یا فضل فی الندا ... فقلت لها هل یقدح اللوم فی البحر
أتنهین فضلا عن عطایاه للغنی ... فمن ذا الذی ینهی السحاب عن القطر
کأن نوال الفضل فی کل بلدة ... تحدر هذا المزن فی مهمه قفر
کأن وفود الناس فی کل وجهة ... الی الفضل لاقوا عنده لیلة القدر

قال فاسلت الفضل عن فیه وسقط علی وجهه ضاحکا ثم رفع رأسه وقال یا
اخا العرب انا والله الفضل بن یحیی سل ما شئت فقال سألتك بالله ایها
الامیر انك لهو قال نعم قال له فاقلنی قال اقالك الله اذکر حاجتك قال عشرة
الاف درهم قال الفضل ذهبت بنا وبنفسك یا اخا العرب نعطی عشرة الاف
درهم فی عشرة الاف وامر بدفع المال فلما صار المال لیه حسده وزیر الفضل
وقال یا مولای هذا اسراف یأتیك جلف من اجلاف العرب بابیات استرقها
من اشعار العرب فتجزیه بهذا المال فقال ستحقه بحضوره الینا من ارض قضاعة
قال الوزیر اقسمت علیك یا مولای الا اخذت سهما من کنانتك ورکبته فی کبد
قوسك واومات به الی الاعرابی فان رد عن نفسه ببیت من الشعر والا استعطف
سالك ویکون له فی بعضه کفایة فاخذ الفضل سهما ورکبه فی کبد قوسه واوما

به الی الاعرابی وقال له رد سهمی ببیت من الشعر فانشأ یقول

لقوسك قوس الجود والوتر والندا ... وسهماك سهم العز فارم به فقری

قال فضحك الفضل وانشأ یقول

اذا ملکت کفی منالا ولم انل ... فلا انبسطت کفی ولا نهضت رجلی
علی الله اخلاف الذی قد بذلته ... فلا مبق لی بخلی ولا متلفی بذلی
ارونی بخیلا نال مجدا ببخله ... وهاتوا کریما مات من کثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابي مائة الف درهم لقصده وشعره ومائة الف درهم لكفيناشر قوائم ناقته فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابي استقلالا بالمال الذي اعطيناك قال لا ولكني ابكي على مثلك ياكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال	ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر	يموت لموته خلق كثير

وتوجه الاعرابي بالمال مسرورا رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان الرشيد قال لابي نواس بعني ذقنك قال بكم قال بالف دينار قال بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له الف دينار فدفعها له فاخذها وربطها وقال يا امير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى ابو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو خائف على ذقنه من امير المؤمنين قال فبينما هو متفكر في شئ يفعله اذ جاءه قاصد امير المؤمنين فلم يقدر ان يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده في جمع كثير من خواص المملكة واعوان الدولة وكان من شانه ان يجلس بالقرب من امير المؤمنين فتحادثوا وتمالجوا فضرط ابو نواس ضرطة مزعجة ازعجت الحاضرين فضحكوا جميعا وضحك امير المؤمنين وقال له في ذقنك يا معرص فقال في الحال الله اعلم هي ذقن من فقال امير المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون فاخذها وانصرف وكسب الالف دينار بهذه الحيلة والله اعلم انتهى (وكان نصر بن مقبل) عاملا على الرقة فأتى برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال له ما حملك على هذا فقال ايها الامير انها والله ملك يميني وقد قال الله تعالى او ما ملكت ايمانكم فاطلقه وامر ان تضرب الشاة الحد فان ماتت تصلب قالوا ايها الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحد لا نعطل وان عطلتها فبئس الوالي انا فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما احضر بين يديه قال من انت قال مولى لكلب فضحك منه ثم قال كيف بصرك بالحكم فقال يا امير المؤمنين

البهائم عندی والناس سواء ولو وجب حد علی بهيمة وكانت امی واختی لحدتهما ولم تأخذنی فی الله لومة لائم فامر الرشيد ان لا يستعان به علی عمل فلم يزل معطلا الی ان مات والله اعلم ويحكی ان هارون الرشيد امر بقتل ابی نواس فقال انقتلنی شهوة لقتلی فقال لا بل انت مستحق للقتل قال فبم استحقيت القتل

قال بقولك

الا فاسقنی خمرا وقل لی هی الخمر	ولا تسقنی سرا اذا امكن الجهر

فقال له يا امير المؤمنين افتعلم انه سقانی وشربت فقال له امير المؤمنين اظن ذلك فقال يا امير المؤمنين افتقتلنی علی الظن وقد قال الله تعالی ان بعض الظن اثم فقال له الرشيد قد قلت ايضا ما تستحق به القتل فقال

ماهو فقال له قولك

ما جاءنا احد يخبر انه	فی جنة من مات او فی نار

فقال له يا امير المؤمنين هل جاءنا احد قال لا قال اتقتلنی علی الصدق فقال له

الرشيد اولست القائل

يا احمد المرتجی فی كل نائبة	قم سيدی نعص جبار السموات

فقال له يا امير المؤمنين اوصار القول فعلا قال لا اعلم قال افتقتلنی علی ما لا تعلم فقال له امير المؤمنين دع هذا كله فقد اعترفت فی مواضع كثيرة من شعرك بالزنا قال ابو نواس قد علم الله هذا قبل علم امير المؤمنين بقوله تعالی والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فی كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فقال الرشيد خلوا عنه ومن هذا اخذ الصفی الحلی فقال

نحن الذی جاء الكتاب مخبرا	بعفاف انفسنا وفسق الالسن

وعن محمد بن نافع قال رايت ابا نواس فی النوم بعد موته فقلت يا ابا نواس فقال لات حين كنية فقلت الحسن بن هانئ قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر الله لی بابيات قلتها فی علتی قبل موتی هی تحت الوسادة فسألت اهله



فقلت هل قال اخي شعرا قالوا لا نعلم الا انه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا
لا ندري ما هو فدخلت ورفعت وسادته واذا انا برقعة مكتوب فيها

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة	فلقد علمت بان عفوك اعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن	فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
ما لي اليك وسيلة الا الرجا	وجميل عفوك ثم اني مسلم

(وهذه حكاية العجمي والكردي وما جرى بينهما على يد القاضي بسبب الجراب)

قيل ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي فلما حضر عنده قال له جعفر اني قلقت وضاق صدري واريد منك شيئا يشرح خاطري فقال له جعفر يا امير المؤمنين ان لي صديقا اسمه علي العجمي وعنده من جميع الحكايات والاخبار فقال علي به فقال سمعا وطاعة ثم ان جعفر اخرج من عند الخليفة في طلب علي العجمي فارسل خلفه فلما حضر قال اجب يا امير المومنين فقال سمعا وطاعة فاتى عند الخليفة فسلم وترحم فقال له الخليفة اجلس فجلس فقال له الخليفة اسمع يا علي انني الليلة ضيق الصدر وقد سمعت عنك ان في ذهنك حكايات واخبار واريد منك ان تسمعني ما يزيل همي وفكري فقال يا امير المؤمنين تريد ان احكي لك شيئا سمعته او رايته فقال ان كنت رايت شيئا فاحكه فقال سمعا وطاعة اعلم يا امير المؤمنين اني سافرت في بعض السنين من بلدي الى هذه المدينة وهي بغداد وصحبتي غلام ظريف ومعه جراب نظيف فاودعني اياه فبينما انا ابيع واشتري واذا انا برجل كردي ظالم معتد هجم علي واخذ الجراب مني وقال هذا الجراب جرابي وكل ما فيه قماشي وثيابي فقلت يا معشر الناس قد اعتراني الوسواس فقال الناس جميعا امضوا الى القاضي فمضينا الى القاضي وانا بحكمه راض فدخلنا عليه وتمثلنا بين يديه فقال القاضي في اي شئ جئتما فقال الكردي نحن خصمان قال ايكما المدعي فتقدم الكردي وقال ايد الله مولانا القاضي هذا الجراب جرابي وكل ما فيه قماشي وثيابي وقد ضاع مني ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضي ومتى ضاع منك فقال الكردي

ضاع مني بالامس فقال القاضي ان كنت عرفته فصف لي ما فيه فقال الكردي ان
في جرابي هذا مفقودين من لجين واكحالا للعينين ومنديلا لليدين ومشربتين
مذهبتين وشمعدانين ومكنستين وطبقين وابريقين وصينية وطشتين و
قدرة ودستين ومغرفة ومعلقتين ومسلة ومرودين ومقلمة وعلبتين
وقعبا وقصعتين ومخدة ونطعين وجبة وفروتين وبقرة وعجلتين وعنزا و
شاتين ونعجة وخروفين وقطين ابلقين وجملا وناقتين وبقرة وثورين
ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وطبقة وقاعتين ورواقا
ومقعدين ومطبخا بابين وجماعة اكرادا يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي
فما تقول انت يا علي فتقدمت يا امير المؤمنين وقد بهتني كلامه فقلت اعز
الله مولانا القاضي انا ما في جرابي الا دويرة خراب واخرى بلا باب ومقصورة
للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون بالكعاب وفيه عساكر و
اطناب ومدينة بصرى وبغداد وقصر كنعان بن شداد وكور وحداد وشبكة
صياد وعصا واوتاد وبنات واولاد والف قواد يشهدون ان الجراب جرابي
فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال يا سيدنا القاضي جرابي هذا
معروف وكل ما فيه موصوف في جرابي هذا حصون وقلاع وقرى وضياع
وطابق للصراع ووحوش وضباع ورجال يلعبون الطابة والرقاع وان في جرابي
هذا حجرة ومهرين وفحلا وحصانين ورمحين طويلين وسبعين وارنبين وسكينا
وخنجرين وبحرا وخليجين وكرا وجوختين وعشاري ومركبين وصاري وقنينتين
وكورا ودكانين ومنقلة ونردين وعجوزا وقحبتين وقوادا وشاطرين ومخنثا
وعلقين واعمى وبصيرين واعرج ومكسحين وعيارا واوزعرين وجامعا ومدرستين
وديرا وكنيستين وقسيسا وشماسين وبتركا وراهبين وقاضيا وشاهدين
يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول انت يا علي فبادرت يا امير
المؤمنين وقد امتلات غيظا وزدت في الحمق وقلت ايد الله مولانا القاضي ان في

جرابی هذا زہ خانات صفاح وخزائن سلاح والف کبش نطاح فی عشرین
مراح واربعین کلب نباح وبساتین وکروم عنب وتین وتفاح وصور واشباح
وقنانی واقداح وعرائس ملاح ومغانی وافراح وهرجا وصیاح وعبد فلاح
واخاه نجاح ورفیقه صباح ومعهم سیوف ورماح وقسی ونشاب واصدقاء و
احباب وخلان واصحاب ومجالس للعتاب وندمان للشراب وطنبور مع رباب
ونایات وقنانی مصففوفات وصبیان ودایات واختان معلمات وبنات مجلیات
وجواری مغنیات وجاریتان جشیات وثلاثة هندیات واربعة بدویات و
خمسة رومیات وستة ترکیات وسبعة عجمیات وثمانیة قبجیات وتسعة
کرجیات وعشرة کلبات والدجلة والفرات وشبکة وصیاد وقداحة وزناد
وارم ذات العماد والف جواد وقصر شداد بن عاد وخانات مع حمامات وقدوم
ونجار وخشبة مع مسمار وتاجر مع عطار وبزار مع بیطار وعبد اسود بمزمار
ومقدم ورکبدار ومدن وامصار ومائة الف دینار وبواب وکستدار ورأس نوبة
وعلم دار والکوفة مع الانبار وعشرون صندوقا ملآنة قماش ودکانان نحاس و
حاصلان معاش وبرجان للحمام وغزة وعسقلان ومن دمیاط الی اسوان وایوان
کسری وملك سلیمان ومن کوش نعمان الی ارض خراسان وبلخ واصبهان و
من الهند الی بلاد السودان وفیها اطال الله عمر مولانا القاضی قماش وغلائل
وعراضی وموسی بحد ماضی یحلق ذقن مولانا القاضی ان حکم ان الجراب ما
هو جرابی فعند ذلك یا امیر المؤمنین حار القاضی مما سمع ثم قال اراکما الا شخصین
نحسین تلعبان بالقضاة والحکام لان ما وصف لو اصفون ولا سمع السامعون
ما وصفتم فی هذا الجراب ما هذا الا بحر لیس له قرار ثم امر القاضی بفتح الجراب
ففتحه الکردی فاذا فیه خبز ولیمون وجبن وزیتون ثم انی رمیت الجراب قدام
القاضی والکردی ومضیت الی حال سبیلی فلما سمع امیر المؤمنین ذلك ضحك
حتی استلقی علی قفاه وقد زال همه وغمه واحسن جائزة علی العجمی وانصرف والله

اعلم (معن بن زائدة الشيباني) كان من الكرماء يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وكان عاملا بالبصرة فحضر على بابه شاعر واقام مدة يريد الدخول ولم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدام اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة اخذها وقرأها فاذا فيها

(هذا البيت مكتوب)

ايا جود معن ناج معنا لحاجتي	فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فأتي به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشرة بدر فاخذها وانصرف فوضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط ينظر فيها ودعا بالرجل فامر له بمائة الف درهم فلما كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فتفكر الرجل وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد بما كان معه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد فقال معن والله هممت ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار الا

(اعطيته له وفيه يقول القائل)

يقولون معن لا زكاة لماله	وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا حال حول لم يجد في دياره	من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا	كانك تعطيه الذي انت تامله
هو البحر من اي النواحي أتيته	فلجته المعروف والبر ساحله
تعود بسط الكف حتى لو انه	اراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو ان ما في كفه غير نفسه	لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن دعني اهب الاموال حتى اعف الاكرمين عن اللئام ويروى أن معن بن زائدة خرج في جماعة يتصيدون فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصا مقبلا من البرية

على حمار فركب فرسه فاستقبله فسلم عليه وقال له من اين اتيت قال اتيت من ارض
قضاعة وان لي بها ارضا لها عدة سنين مجدبة وقد اخصبت في هذه السنة فزرعتها قثاء
فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته فقصدت الامير معن بن زائدة لكرمه
المشهور ومعروفه الماثور واحسانه المذكور فقال له كم املت منه قال الف دينار فقال
له ان قال لك كثير قال خمسمائة دينار قال ان قال لك كثير قال ثلثمائة دينار قال فان قال لك كثير
قال مائتي دينار قال ان قال لك كثير قال مائة دينار قال ان قال لك كثير قال خمسين
دينار قال ان قال لك كثير قال فلا اقل من ثلاثين قال فان قال لك كثير قال ادخل
قوائم حماري في حر امه وارجع الى اهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق
بعسكره ونزل منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به علي فاتى
بعد ساعة فلما دخل على الامير معن لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه
وهو متصدر في دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما
سلم عليه قال له الامير معن ما الذي اتى بك يا اخا العرب قال املت الامير واتيته
بقثاء في غير اوانها قال فكم املت فينا قال الف دينار قال كثير قال خمسمائة دينار
قال كثير قال ثلثمائة دينار قال كثير قال مائتي دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال والله لقد كان ذلك الرجل الذي
قابلني على ميشوم ثم قال خمسين دينارا قال كثير قال فلا اقل من ثلاثين قال فضحك معن وسكت فعلم
الاعرابي انه صاحبه فقال يا سيدي ان لم تعطني الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها
انا مع معن جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال
اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتي دينار ومائة دينار
وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مربوطا مكانه فبهت الاعرابي وتسلم الفي دينار
ومائة وثمانين دينارا فرحمة الله عليهم اجمعين وقيل كان معن بن زائدة
في بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء فبينما هو كذلك واذا بثلاث جوار
قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فسقينه فطلب شيئا من المال مع غلمانه فلم يجده
فدفع لكل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانته نصولها من ذهب فقالت

احداهن ويلكن لم تكن هذه الشمايل الا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن
شيئا من الابيات فقالت الاولى

يركب فى السهام نصول تبر فللمرضى علاج من جراح	ويرمى للعدا كرما وجودا واكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية

ومحارب من فرط جود بنانه صيغت نصول سهامه من عسجد	عمت مكارمه الاقارب والعدا كى لا يفوته التقارب والندا

وقالت الثالثة

ومن جوده يرمى العداة باسهم لينفقها المجروح عند انقطاعهم	من الذهب الابريز صيغت نصولها ويشترى الاكفان منها قتيلها

وكان مع كرمه صاحب شهامة فمن ذلك انه سعى رجل فى افساد دولة المهدى
وكان من الكوفة فعلم به فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فاقام
الرجل حينا مختفيا ثم ظهر فى مدينة السلام فبينما هو فى بعض الشوارع اذ راه
رجل من الكوفة فعرفه فاخذ بجامع طوقه ونادى هذا طلبة امير المؤمنين
فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع حوله خلق كثير اذ سمع وقع حوافر الخيل من
ورائه فالتفت فاذا هو بمعن بن زائدة فقال يا ابا الوليد اجرنى اجارك الله فوقف
فقال للرجل الذى تعلق به ما تريد منه قال هذا طلبة امير المؤمنين اهدر دمه
وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فقال له معن دعه ثم قال يا غلام اردفه
وكر راجعا الى داره فصاح الرجل معن حال بينى وبين من طلبه امير المؤمنين
ولم يزل صارخا الى ان اتى قصر المهدى فامر المهدى باحضار معن فاتته الرسل فدعا
معن اولاده ومماليكه وقال لا تسلموا الرجل وواحد منكم بعيش ثم سار الى المهدى
فدخل وسلم فلم يرد عليه ثم قال يا معن انجير علينا عدونا قال نعم يا امير المؤمنين قال
المهدى ونعم ايضا واشتد غضبه فقال معن يا امير المؤمنين بالامس بعثتنى الى اليمن





مقدم الجيش فقتلت في طاعتك في يوم واحد عشرة آلاف رجل ولي مثل هذا ايام كثيرة فما رأيتموني اهلا ان اجير رجلا واحدا استجار بي ودخل منزلي فسكن غضب المهدي وقال قد اجرنا من اجرت يا ابا الوليد قال معن فان رأى امير المؤمنين ان يصله بصلة يعلم منها موقع الرضى فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفا قال قد امرنا له بخمسين الف درهم قال يا امير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية قال قد امرنا له بمائة الف درهم قال عجلها يا امير المؤمنين فان خير البر عاجله فاحضر معن الرجل وقال له خذ صلة امير المؤمنين وقبل يده واياك مخالفة خلفاء الله في ارضه فما كل مرة تسلم الجرة فاورسلها الناس مثلا واخذ الرجل المال واستغفر الله انتهى وكان معن لا يغيظ احدا ولا احد يغيظه فقال بعض الشعراء انا اغيظه لكم ولو كان قلبه من حجر فراهنوه على مائة بعير ان اغاظه اخذها ولم يغظه دفع مثلها فعمد الرجل فذبح وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب يقع عليه ويقوم ولبس برجليه نعلين من جلد الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحية رجليه وجلس بين يديه معن على هذه الصورة المشروحة ومد رجليه في وجهه وقال

اناوالله لا ابدى سلاما	على معن المسمى بالامير

فقال له معن السلام لله ان سلمت رددنا عليك وان لم تسلم ما عتبنا عليك فقال الشاعر

ولا انزل بلادا انت فيها	ولو خربت الشام مع الثغور

فقال له البلاد بلاد الله ان نزلت مرحبا بك وان رحلت كان الله في عونك

فقال الشاعر

وارحل عن بلادك الف شهر	اجذ السير في اعلى القفور

فقال له صحبوا بالسلامة فقال الشاعر

اتذكر اذ قميصك جلد شاة	واذ نعلاك من جلد البعير

فقال له اعرف ذلك ولا انكره فقال الشاعر

وتأوي كل مسطبة وسوق   بلا عبد لديك ولا وزير

فقال له ما نسيت ذلك يا اخا العرب فقال الشاعر

وتومك في الشتاء بلا رداء   واكلك دائما خبز الشعير

فقال له الحمد لله على كل حال فقال الشاعر

وفي يمناك عكاز قوي   تذود به الكلاب عن الهرير

فقال له ما خفي عليك خبرها اذ هي كعصا موسى فقال الشاعر

فسبحان الذي اعطاك ملكا   وعلمك القعود على السرير

فقال له بفضل الله لا بفضلك فقال الشاعر

فعجل يا ابن ناقصة بمال   فاني قد عزمت على المسير

فامر له بالف دينار فقال الشاعر

قليل ما امرت به فاني   لأطمع منك بالشيء الكثير

فامر له بالف دينار اخرى فقال الشاعر

فثلث اذ ملكت الملك رزقا   بلا عقل ولا جاه خطير

فامر له بثلثمائة دينار فقال الشاعر

ولا ادب كسبت به المعالي   ولا خلق ولا رأي منير

فامر له باربعمائة دينار فقال الشاعر

فمنك الجود والافضال حقا   وفيض يديك كالبحر الغزير

فامر له بخمسمائة دينار وما زال يطلب منه الزيادة حتى استكمل الف دينار فاخذها وانصرف متعجبا من حلم معن وعدم انتقامه منه ثم قال في نفسه مثل هذا لا ينبغي ان يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بان الحامل له على هجوه المائة بعير التي صار الرهن عليها في نظير اغاظته له فامر له بمائة بعير يدفعها في نظير الرهن وبمائة بعير اخرى لنفسه فاخذها

وانصرف والله اعلم

خلافة المأمون بن هارون الرشيد واسمه عبد الله

ومما وضع فى بطون الدفاتر * واستحسنته عيون البصائر * ونقلته الأصاغر عن الأكابر * ما رواه خادم امير المؤمنين * قال طلبنى امير المؤمنين المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما لى احدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما اقول لك فانه بلغنى ان شيخا يحضر ليلا الى آثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض انت وعلى ودينار حتى تردوا تلك الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر فاذا رايتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتا فأتونى به قال فاخذتهما ومضينا حتى اتينا الخرابات فاذا نحن بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب

ويقول هذه الابيات

ولما رايت السيف جندل جعفرا	ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تاسفى	عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له اجب امير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى اوصى بوصية فانى لا اوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى امير المؤمنين فقال حين رآه من انت وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله فى خرائب دورهم قال الخادم ونحن نستمع فقال يا امير المؤمنين ان للبرامكة ايادى خضرة عندى افتأذن لى احدثك بحالى معهم قال قل فقال يا امير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت الى بيع ما على رأسى ورؤس اهلى وبيتى الذى ولدت فيه اشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى

دخلنا بغداد و نزلنا فی بعض المساجد فدعوت ببعض ثیاب کنت اعددتها لاستتر بها فلبستها و خرجت و ترکتهم جیاعا لا شیٔ عندهم و دخلت شوارع بغداد سائلا عن البرامکة فاذا انا بمسجد مزخرف و فی جانبه شیخ باحسن زی و زینة و علی الباب خادمان و فی الجامع جماعة جلوس فطمعت فی القوم و دخلت المسجد و جلست بین ایدیهم و انا اقدم رجلا و أوخر اخری و العرق یسیل منی لانها لم تکن صناعتی و اذا الخادم قد أقبل و دعا القوم فقاموا و انا معهم فدخلوا دار یحیی بن خالد فدخلت معهم و اذا یحیی جالس علی دکة له وسط بستان فسلمنا و هو یعد نا مائة و واحدا و بین یدیه عشرة من ولده و اذا بامرد نبت العذار فی خدیه قد اقبل من بعض المقاصیر و بین یدیه مائة خادم متمنطقون فی وسط کل خادم منطقة من ذهب یقرب وزنها من الف مثقال مع کل خادم مجمرة من ذهب فی کل مجمرة قطعة من عود کهیئة الفهر و قد قرن به مثله من العنبر السلطانی فوضعوه بین یدی الغلام و جلس الی جنب یحیی ثم قال للقاضی تکلم و زوج ابنتی عائشة من ابن اخی هذا فخطب القاضی خطبة النکاح و زوجه و شهدوا و لتلک الجماعة و اقبلوا علینا بالنثار بینا دق المسک و العنبر فالتقطت والله یا امیر المؤمنین ملء کمی و نظرت و اذا نحن فی المکان ما بین یحیی و المشایخ و ولده و الغلام مائة و اثناعشر و اذا بمائة و اثناعشر خادما قد اقبلوا و مع کل خادم صینیة من فضة علی کل صینیة الف دینار فوضعوا بین یدی کل رجل منا صینیة فرایت القاضی و المشایخ یضعون الدنانیر فی اکمامهم و یجعلون الصوانی تحت آباطهم و یقوم الاول فالاول حتی بقیت وحدی لا اجسر علی اخذ الصینیة فغمزنی الخادم فجسرت و اخذتها و جعلت الذهب فی کمی و الصینیة فی یدی و قمت و جعلت التلفت الی ورائی مخافة ان امنع من الذهاب فبینما انا کذلک الی ان وصلت الی صحن الدار و یحیی یلاحظنی فقال للخادم ائتنی بهذا الرجل فأتانی فقال ما لی اراک تتلفت یمینا و شمالا فقصصت علیه قصتی فقال للخادم ائتنی بولدی موسی فأتاه به فقال له یا بنی هذا رجل غریب فخذه الیک و احفظه بنفسک و بنعمتک فقبض موسی ولده علی یدی

وادخلني الى دار من دوره فاكرمني غاية الاكرام واقمت عنده يومي وليلتي في الذعيش
واتم سرور فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال له الوزير امرني بالعطف على هذا
الفتى وقد علمت شتغالى في بيت امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل
ذلك واكرمني غاية الاكرام ثم لما كان من الغد تسلمني اخوه احمد ثم لم ازل في ايدي
القوم يتداولوني على مدة عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني افي الاموات
هم ام في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم
فقالوا قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية
واخرج على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني
ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج
فارفعها الى فاني مامور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر الاخير رايت حجرة
كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني
وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي مائة الف درهم وعشرة آلاف دينار
ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق
واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن
البرامكة انا ام رجل غريب فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا امير المؤمنين من الرشيد
ما نزل اجحفني عمرو بن مسعدة والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا في
دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في آخر الليل اقصد خرابات دورهم فاندبهم
واذكر حسن صنعهم الي وابكي على احسانهم فقال المامون على بعمرو بن مسعدة
فلما اتى به قال له تعرف هذا الرجل قال يا امير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة
قال كم الزمته في ضيعته قال كذا وكذا فقال له رد اليه كلما اخذته منه في مدته وافرغها
له ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل فلما رأى المامون كثرة بكائه
قال له يا هذا قد احسنا اليك فما يبكيك قال يا امير المؤمنين وهذا ايضا من صنيع
البرامكة لو لم آت خراباتهم فابكيهم واندبهم حتى اتصل خبري الى امير المؤمنين ففعل

بی ما فعل من این کنت اصل الی امیر المومنین قال ابراهیم بن میمون فرایت المأمون وقد دمعت عیناه وظهر علیه حزنه وقال لعمری هذا من صنائع البرامکة فعلیهم فابك وایاهم فاشکر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذکر انتهی قال اسحاق دخلت یوما علی المأمون فی زمن الورد فقال لی یا اسحاق هل قلت شیئا فی الورد قلت اقول بسعادة امیر المؤمنین وفکرت ساعة فلم تسمح قریحتی فی ذلك الوقت بشیٔ فخرجت من عنده وبقیت لیلتی ساهرا متفکرا فلم یفتح لی بشیٔ فلما اصبحت غدوت الی دار الخلافة واذا غلام الفضل بن مروان علی باب المأمون ومعه سبع وردات علی صینیة فضة ینتظر الاذن فی الدخول بها علیه فسألته المهلة بها قلیلا فامتنع فسألته ثانیا وقلت امهل قلیلا ولك بکل وردة دینار فاجابنی الی ذلك فدفعت له سبعة دنانیر واحببت ان لا یصل الیه الورد قبل وصول شعری وخرجت اقصد الازقة لعلی اسمع شیئا من احد وینبعث خاطری ولو ببیت واحد فبینما انا کذلك واذا انا برجل یعبر بین التراب وهو ینشد ویقول

اشرب علی ورد الخدود فانه	اذهی وابهی فالصبوح یطیب
ما الورد احسن من نوره وجنة	حمراء جاد بها علیك حبیب
صبغ المدام بیاضها فکانه	ذهب بقالب فضة مضروب

فلما سمعته نزلت عن دابتی ودخلت مسجدا بالقرب منه وطلبته فلما اقبل سألته ان یملیها علی فابی وقال ان اردت فاعطنی بکل بیت عشرة دنانیر فدفعتها له واستملیتها منه ثم عدت انا وغلام الفضل بن مروان واذا بالمأمون یشرب من وراء الستارة فلما جبیت العود قال لجواریه اسکتن فقد جاء اسحاق فقدم ذلك الورد بین یدیه وأنشدت الابیات فسمعت الشهیق والنخیر من وراء الستارة ثم اخرج الی بدرة فیها عشرة آلاف درهم فاعدت الابیات فاخرج الی بدرة اخری فاعدت الثالثة فاخرج الی بدرة ثالثة فاخذت فی غیر الشعر فخرج الی خادم وقال یقول لك امیر المؤمنین لو دمت علی انشادك لدمنا علی البدرة ولو الی اللیل

انتهى من حلبة الكميت (ويحكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس امير المؤمنين ببغداد يوما وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لي يا عباس قلت لبيك يا امير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق به واحتفظ عليه وبكر به الي في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر ان يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي اوصاني بها امير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون معي في بيتي فلما تركوه في داري اخذت اسأله عن قضيته وحاله ومن هو فقال انا من دمشق فقلت جزى الله دمشق واهلها خيرا فمن انت من اهلها فقال وعمن تسأل وقلت او تعرف فلانا قال لي ومن اين تعرف ذلك الرجل فقلت له وقعت لي معه قضية فقال ما كنت بالذي اعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فنمعت اهلها وقد خرجوا علينا حتى ان الوالي خرج في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو واصحابه وهرب في جملة القوم فبينما انا هارب في بعض الدور واذا الجماعة يعدون فما زلت اعدوا امامهم حتى تجاوزتهم ومررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت يا هذا اغثني اغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت لي زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته بها فقالوا ها هو هنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وانا قائم ارجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم البث حتى دخل الرجل فقال لا تخف فقد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني احسن معاشرة واجملها وافرد لي مكانا من داره ولم يحوجني الى شيء ولم يفتر عن تفقد احوالي

فاقمت عنده اربعة اشهر فی انعم عیش وارغده الی ان سكنت الفتنة وهدأت
وزال اثرها فقلت له اتأذن لی فی خروج حتی اتفقد حال غلمانی فلعلی اقف
منهم علی خبر فاخذ علی المواثیق بالرجوع الیه فخرجت وطلبت غلمانی فلم ار لهم اثرا
فرجعت الیه واعلمته بالخبر وهو مع هذا كله لا یعرفنی ولا یعرف من انا فقال لی
علام تعزم فقلت عزمت علی التوجه الی بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة ایام
تخرج فقلت له انك قد تفضلت علی هذه المدة ولك علی عهد الله اننی لا انسی
لك هذا الفضل ولا وفینك مهما استطعت قال فدعا بغلام اسود وقال له اسرج الفرس
الفرس لفلانی ثم جهز آلة السفر فقلت فی نفسی ما اشك انه یرید ان یخرج الی
ضیعة له او ناحیة من النواحی فاقاموا یومهم ذلك فی كد وتعب فلما كان یوم
خروج القافلة جاء فی السحر فقال یا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة واكره ان تنفرد عنها
فقلت فی نفسی كیف اصنع ولیس معی ما اتزود به ولا ما اكری به مركبا ثم قمت
فاذا هو وامرأته یحملان بقجة من افخر اللباس وخفین جدیدین وآلة السفر ثم جاءنی
بسیف ومنطقة فشدهما فی وسطی ثم قدم لی غلاما وعلی كتفه صرتان وفوقهما
مرتبة السفر وسجادة من افخر ما یكون واعلمنی بما فی الصرتین انه خمسة آلاف
درهم وشد لی الفرس الذی اعده بسرجه ولجامه وقال لی اركب وهذا الغلام
الاسود یخدمك ویسوس مركوبك واقبل هو وامرأته یعتذران الی من التقصیر
فی امری وركب معی من یشیعنی وانصرفت الی بغداد وانا اتوقع خبره لانی بعهدی له
فی مجازاته ومكافاته واشتغلت مع امیر المؤمنین فلم اقدر انفرغ الی ان ارسل
الیه من یكشف خبره فلهذا اسأل عنه فلما سمع الرجل الحدیث قال قد امكنك الله
من الوفاء له ومكافاته علی فعله ومجازاته علی صنعه بلا كلفة علیك ولا مؤنة
تلزمك فقلت وكیف ذلك قال انا ذلك الرجل واما الضر الذی انا فیه فقد غیر
علیك حالی وما كنت تعرفه منی ثم لم یزل یذكر لی تفاصیل الاسباب حتی اثبت
معرفته فما تمالكت ان قمت فقبلت رأسه ثم قلت له فما الذی صیرك الی ما أری

قال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في ايامك فنسبت الي وبعث امير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد فاخذت انا وضربت الى ان اشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الى امير المؤمنين وامرى عنده عظيم وهو قاتلي لا محالة وقد اخرجت من عند اهلي بلا وصية وقد تبعني من ينصرف اليهم بخبري وهو نازل عند فلان فان رايت ان تجعل من مكافاتك لي ان ترسل من يحضره لي حتى اوصيه بما اريد فان انت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافاة وقمت بوفاء عهدك قال العباس فقلت يصنع الله خيرا ثم احضر حدادا في الليل ففك قيوده وازال ما كان عليه من الانكال وادخله حمام داره والبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من احضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال علي بالفرس الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا قال ذلك الرجل واحضر لي بدرة فيها عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لعامله في الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقال له ان ذنبي عظيم عند امير المؤمنين وخطبي جسيم وان انت احتجبت باني هربت بعث امير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فارد واقتل فقال انج بنفسك ودعني ادبر امري فقال والله لا ابرح من بغداد حتى اعلم ما يكون من خبرك فان احتجت لحضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا وكذا فان انا اسلمت في غداة غد اعلمته وان انا قتلت وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وانشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان يثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم افرغ من صلاة الصبح الا ورسل المامون في طلبي يقولون يقول لك امير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار امير المؤمنين واذا هو جالس وعليه كآبة فقال اين الرجل فسكت فقال ويحك اين الرجل فسكت فقال ويلك اين الرجل فقلت

يا امير المؤمنين اسمع مني ما اقول فقال لله على عهد لئن ذكرت انه هرب لاضربن
عنقك فقلت لا والله يا امير المؤمنين انه ما هرب ولكن اسمع حديثي معه و
حديثه ثم شأنك وما تريد تفعله في امري قال قل فقلت يا امير المؤمنين
كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة بجميعها وعرفته اني
اريد ان افي له واكافئه على ما فعل معي وقلت انا وسيدي ومولاي امير
المؤمنين بين امرين اما ان يصفح عني وقد وفيت وكافأت واما ان يقتلني
فاقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا امير المؤمنين فلما سمع المامون الحديث
قال ويحك لا جزاك الله خيرا عن نفسك انه فعل بك ما فعل من غير معرفة
وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا الاعتبار فتى خيرم فكنت اكافئه عنك
ولا اقصر به فاني له فقلت يا امير المؤمنين انه ها هنا وقد حلف انه لا يبرح
حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون هذه منة
اعظم من الاولى اذهب الآن فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى اتولى مكافاته
عنك قال فاتيت اليه وقلت ليزل عنك حزنك ان امير المؤمنين قال كيت و
كيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء احد سواه ثم قام فصلى
ركعتين ثم اتيت به الى امير المؤمنين فلما مثل بين يديه اقبل عليه وادنى
مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء واكل معه وخلع عليه وعرض عليه اعمال دمشق
فاستعفى عنها فامر له المأمون بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشرة ابغال
بآلاتها وعشرة بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى
عامله بدمشق بالوصية به واطلق خراجه وامر بمكاتبته باحوال دمشق فصارت
كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي
يا عباس هذا كتاب صديقك والله اعلم (ويحكى) عن اسحاق الموصلي انه قال
خرجت ليلة من عند المأمون متوجها الى بيتي فاحسست بالبول فعدلت
الى زقاق وقمت لئلا تمسح بالحيطان واذا بزنبيل كبير باربعة آذان ملبس ديباجا

فقلت

فقلت ان لهذا سببا وبقيت متحيرا فى امره فحملنى السكر وقال لى اجلس فيه فجلست
فلما احس بى الذين كانوا يرقبونه جذبوه الى رأس الحائط فاذا انا باربع جوار
يقلن لى انزل بالرحب والسعة ومشت بين يدى جارية بشمعة حتى نزلت الى
دار ومجالس مفروشة لم ار مثلها الا فى دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة
الا بستور قد رفعت فى ناحية من الجدر واذا بوصائف يتمشين وفى ايديهن
الشمع وبعض مجامر يحرق فيهن العود وبينهن جارية كانها البدر الطالع فنهضت
وقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم سالتنى عن خبرى فقلت انصرفت من
عند بعض اخوانى وغرنى الوقت وحرقنى البول فعمدت الى هذا الزقاق فوجدت
زنبيلا معلقا فحملنى السكر على ان جلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ اكسبنيه
قالت لا ضير وارجو ان تحمد عاقبة امرك ثم قالت فما صناعتك قلت بزاز ببغداد
فقالت هل رويت من الاشعار شيئا قلت شيئا ضعيفا قالت فذاكرنا شيئا قلت ان للداخل
حشمة ولكن تبدئين انت قالت صدقت فانشدتنى شعر الجماعة من القدماء
والمحدثين من اجود اقاويلهم وانا مستمع لا ادرى من اعجب من حسنها ام من
حسن روايتها ثم قالت اذهب ما كان منك من الحصر قلت اى والله قالت
فان رايت ان تنشدنا فانشدتها شيئا للجماعة من القدماء ما فيه مقنع فاستحسنت
ذلك ثم قالت والله ما ظننت ان يوجد فى ابناء السوقة هذا ثم امرت بالطعام
فاحضر فجعلت تقطع وتضع قدامى وفى المجلس من صنوف الرياحين وغريب
الفواكه ما لا يكون الا عند سلطان ودعت بالشراب فشربت قدحا ثم ناولتنى
قدحا ثم قالت هذا اوان المذاكرة والاخبار فاندفعت اذاكرها وقلت بلغنى انه كذا
وكذا او كان رجل يقال له كذا حتى اتيت على عدة اخبار حسان فسرت بذلك وقالت
لكثير تعجبى ان يكون احد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذه احاديث ملوك فقلت
كان لى جار يحادث الملوك وينادمهم واذا تعطل حضرت معه فربما حدثنى بما
سمعت فقالت لعمرى لقد احسنت الحفظ وما هذه الا قريحة جيدة واخذنا

في المذاكرة اذا سكتت ابتدأت انا حتى قطعنا اكثر الليل وبخور العود يعبق وانا في
حالة لو توهمها المامون لطار شوقا اليها فقالت انك من اظرف الرجال وضوء الوجه
بارع في الادب وما بقي الا شئ واحد قلت وما هو قالت لو كنت تترنم ببعض الاشعار
قلت والله لقد بما كنت الفت به ولم ارزقه واعرضت عنه وفي قلبي منه حرارة و
كنت احب في مثل هذا المجلس شيئا منه لتكمل ليلتي قالت كانك عرضت فقلت
والله ما هو تعريض قد بدأتي بالفضل وانت جدير على ذلك فامرت بعود فحضر
بصوت ما سمعت بحسنه مع حسن ادبها وجودة الضرب بالكمال الراجح ثم قالت
هل تعرف هذا الصوت ومن غنى به قلت لا قالت الشعر لفلان والمغني لاسحاق
هل اجعلت فداك بهذه الصفة قالت بخ بخ اسحاق بارع هذا الشان فقلت سبحان
الله اعطى هذا الرجل ما لم يعطه احد قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم
لم نزل على ذلك حتى اذا كان الفجر اقبلت عجوز كانها داية لها فقالت ان الوقت قد
حضر فنهضت عند قولها فقالت لتستر ما كنا فيه فان المجلس في الامانات قلت
جعلت فداك لم اكن احتاج الى وصية في ذلك فودعتها وجارية بين يدي الى باب
الدار ففتح لي فخرجت الى داري فصليت الصبح ونمت فاتاني رسول المامون الى
فسرت اليه واقمت عنده نهاري فلما كان العشاء تفكرت ما كنت فيه البارحة وهذا
شئ لا يصبر عنه الاجاهل فخرجت وجئت الى الزنبيل فوجدته على عادته فجلست
فيه ورفعت الى موضع البارحة واذا هي قد طلعت فقالت لقد عاودت فقلت
ولا اظن الا انني قد ثقلت واخذنا في المحادثة مثل تلك الليلة السالفة في المذاكرة
والمناشدة وغريب الغناء منها الى الفجر فانصرفت الى منزلي فصليت الصبح و
نمت فاتاني رسول امير المؤمنين الى فمضيت اليه واقمت نهاري عنده فلما كانت
العشية توجه الى خطاياه وقال اقسمت عليك لتجلس حتى اجئ واحضر فلما كان
حتى ان غاب وجالت وساوسي فلما تذكرت ما كنت فيه هان على ما يخصني من
امير المؤمنين فوثبت مبادرا وخرجت جاريا حتى اتيت الزنبيل فجلست فيه

فرغت الى مجلسى فقالت صدـ يقنا قلت إى و الله قالت اجعلها دار اقامة
قلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاثة ايام فان رجعت بعد ذلك فانتم فى حل من
دمى ثم جلسنا على ذلك الحال فلما قرب الوقت علمت بان المأمون لا بد ان يسألنى
فلا يقنع الا بشرح القصة فقلت لها اراك ممن يعجب بالغناء ولى ابن عم احسن منى
وجها واظرف قدا واكثر ادبا واطيب رجاء وهو اعرف خلق الله بغناء اسحاق فقالت
طفيلى وتقترح قلت لها انت المحكمة ثم قالت ان كان ابن عمك على ما تصف فما نكره
معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت وذهبت فلم اصل الى دارى الا ورسل المأمون
قد هجموا على وحملونى حملا عنيفا فوجدته قاعدا على كرسى وهو مغتاظ منى فقال
يا اسحاق اخروجا عن الطاعة قلت لا والله قال فما قصتك اصدقنى قلت نعم فى
خلوة فاومأ الى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له وعدتها بك قال
احسنت فاخذنا فى لذتنا ذلك اليوم والمأمون معلق القلب بها فما صدقنا ان
جاء الوقت وسرنا وانا اوصيه واقول له تجنب واحذر ان تناديني باسمي قدامها و
بحضرتها وغن وانا لك تبع وهو يقول نعم ثم سرنا الى عند الزنبيل فوجدناهما
اثنين فقعدنا فيهما ورفعنا الى الموضع المعهود فحضرت واقبلت وسلمت فلما
رآها المأمون بهت فى حسنها وجمالها واخذت تذاكره وتناشده الاشعار ثم
احضرت النبيذ فشربنا وهى مقبلة عليه مسرورة به وهو اكثر فاخذت العود و
غنت صوتا ثم قالت وابن عمك هذا من التجار واشارت الى قلت نعم قالت والله
انكما لقريبان فلما شرب المأمون ثلاثة ارطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال
يا اسحاق قلت لبيك يا امير المؤمنين قال غن هذا الصوت فلما علمت انه الخليفة نهضت
الى مكان قد خلته فلما فرغت من الصوت قال انظر من رب هذه الدار فبادرت العجوز
وقالت للحسن بن سهل فقال على به فغابت العجوز ساعة واذا الحسن قد حضر فقال
له المأمون ألك ابنة قال نعم قال ما اسمها قال بوران قال امتزوجة قال لا والله قال
فانى اخطبها منك قال هى جاريتك وامرها اليك قال قد تزوجتها على نقد ثلاثين الفا

تحمل اليك صبيحة يومنا هذا فاذا قبضت المال فاحملها الينا من ليلتنا قال نعم ثم
خرجنا فقال يا اسحاق لا توقف على هذا الحديث احدا فسترته الى ان مات المامون
فما اجتمع لاحد مثل ما اجتمع لي في تلك الاربعة ايام مجالسة المأمون بالنهار وبوران
بالليل ووالله ما رايت احدا من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امراة تقارب
بوران فهما وعقلا والله تعالى اعلم انها من حلبة الكميت (وقيل كان المأمون)
يوما يأكل مع ابيه الرشيد فلما فرغ جعلت جارية تصب الماء على يد الرشيد
فنظر اليها المأمون واشار اليها كانه يقبلها فانكرت ذلك منه بعينها وابطأت في
الصب بقدر النظر الى المأمون فقال لها الرشيد لاي شئ صغى الابريق في يدك
فوالله لئن لم تصدقيني الحق لاضربن عنقك فقالت يا سيدي نظر الي عبد
الله المأمون واشار الي كانه يقبلني فانكرت ذلك بعيني فنظر الرشيد الى المأمون
فسقط مغشيا عليه كانه ميت مما داخله من الخوف والفزع فاخذه وضمه
الى صدره وقال له يا عبد الله اتحبها قال اي والله يا امير المؤمنين فقال له هي
لك خذ بيدها وادخل بها الى هذه القبة قال ففعل فلما خرج الى الرشيد قال
له هل قلت في هذا شيئا قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشد يقول

ظبي كنيت بطرفي	عن الضمير اليه
قبلته من بعيد	فاعتل من شفتيه
ورد اخبث رد	بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني	حتى قدرت عليه

(وعن ابي عبد الله التميمي) انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب
للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق
عنان فرسه وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر من ماء بحر الفرات
فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قائمة النهد كانها القمر ليلة تمامه وبيدها
قربة قد ملأتها من النهر ورفعتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل

وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا ابت ادرك فاها قد غلبنى فوها لا طاقة لى بفيها
قال فعجب المأمون من فصاحتها ورهت القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية
من اى العرب انت فقالت انا من بنى كلاب قال وما حملك ان تكونى من الكلاب
قالت والله لست من الكلاب وانما انا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون
بالسيف ثم قالت يا فتى من اى الناس انت قال اوعندك علم بالانساب قالت نعم
قال من مضر الحمراء قالت من اى مضر قال من اكرمها نسبا واعظمها حسبا وخيرها
اما وابا ممن تهابه مضر وتخشاه قالت اظنك من كنانة قال انا من كنانة قالت من اى كنانة قال
من اكرمها مولدا واشرفها محتدا واكرمها فى المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخشاه
قالت والله انت من بنى هاشم قال انا من هاشم قالت من اى هاشم قال من اعلاها
منزلة واشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخشاه قال فعند ذلك قبلت الارض و
قالت السلام عليك يا امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين قال فعجب
المأمون منها وطرب طربا شديدا ثم قال لاتزوجن بها لانها من اكبر الغنائم و
وقف حتى تلاحقته العسكر فنزل وارسل خلف ابيها وخطبها منه فزوجها وهى
والدة العباس والله اعلم (ومن محاسن الاخلاق) ما حكى عن القاضى يحيى بن
اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع ان يصيح لغلام يسقيه
وانا نائم فينغص على نومى فرايته وقد قام يمشى على اطراف اصابعه حتى اتى موضع
الماء وكان بينه وبين الماء نحو ثلثمائة خطوة ثم رجع يمشى على اطراف اصابعه
حتى وصل الى الفراش الذى انا عليه فخطى خطوات لطيفة لئلا ينبهنى حتى وصل
الى فراشه ثم رايته آخر الليل وقد قام يبول فقعد طويلا يحاول ان انحرك فيصيح
للغلام فلما انحركت وثب قائما وصاح بالغلام واهب للصلاة ثم جاء نى وقال
كيف اصبحت يا ابا محمد وكيف مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداك قال لقد
استيقظت للصلاة فكرهت ان اصيح للغلام فازعجك فقلت يا امير المؤمنين
لقد خصك الله باخلاق الانبياء عليهم السلام ووهب لك سيرهم فهناك الله

بهذه النعمة وانها عليك فامر لي بالف دينار وانصرفت (وحدث سليمان الوراق
قال ما رايت اعظم حلما من المأمون دخلت عليه يوما وفي يده فص مستطيل من
ياقوت احمر له شعاع قد اضاء له المجلس وهو يقلبه بيده ويستحسنه ثم دعا برجل
صائغ وقال له اصنع بهذا الفص كذا وكذا واحلل فيه كذا وكذا وعرفه كيف
يعمل به فاخذه الصائغ وانصرف ثم عدت الى المأمون بعد ثلاث فتذكره
فاستدعى بالصائغ فاتى به وهو يرعد وقد انتقع لونه فقال المأمون ما
فعلت بالفص فتلجلج الرجل ولم ينطق بكلام ففهم المأمون بالفراسة انه
حصل فيه خلل فولى وجهه عنه حتى سكن جاشه ثم التفت اليه واعاد القول
فقال الامان يا امير المؤمنين قال لك الامان فاخرج الفص اربع قطع وقال يا امير
المؤمنين سقط من يدي على السندال فصار كما ترى فقال المأمون لا باس
عليك اصنع به اربع خواتم والطف له في الكلام حتى ظننت انه كان يشتهي الفص
على اربع قطع فلما خرج الرجل من عنده قال اتدرون كم قيمة هذا الفص قلنا لا
قال اشتراه الرشيد بمائة الف وعشرين الفا انتهى (ومن حلمه ايضا) قال يحيى
كنت انا والمأمون يوما في بستان ندور فيه فمشينا في البستان من اوله الى
آخره وكنت مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني ان اكون في الظل
وهو في الشمس فامتنع من ذلك حتى اذا رجعنا قال لي والله يا يحيى لتكونن في
مكاني ولاكونن في مكانك حتى اخذ نصيبي من الشمس كما اخذت نصيبك
منها فقلت والله يا امير المؤمنين لو قدرت ان اقيك من هول المطلع لفعلت
فلم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال
بحياتي عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت فانه لا خير في صحبة
من لا ينصف (ومن حلمه ايضا) انه كان له خادم يسرق طاساته التي يتوضأ فيها
فقال له المأمون اذا سرقت شيئا فأتني بما تسرقه فاشتريه منك فقال له الخادم
اشتر مني هذه واشار الى التي بين يديه فقال بكم قال بدينارين قال على شرط

انك لا تسرقها قال نعم فاعطاه دينارين فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئا لما راى من حلمه والله اعلم (وروى) بعض اهل الادب ان فتى من اهل الكوفة قد فاق اهل زمانه في الادب والبيان والفصاحة باللسان ناقدا في صناعته حافظا للاقدار راويا للاشعار خبيرا بسير الملوك في الايام السالفة بصيرا بالبحث عن امورهم في الايام الآنفة حاذقا في التصنيف فائقا في التاليف صبيح الوجه مقبول المشاهد حلو الشمايل وكان مع ذلك لا يتوجه له وجه من العمل الا عارضه فيه عائق وحال دونه حائل وقدر سابق فبقي حينا من الدهر وقد برز في القدر والمال والجاه من كان عنده في الصناعة متاخرا فضاق صدره وعيل صبره وضلت مقاليده فخرج الى بغداد واكترى في بعض خاناتها منزلا واجمع رايه على ان يحمل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكة او ملكة وتربص لذلك الى ان يرى وجها الى ان عزم امير المؤمنين المامون ان يشرب يوما هو وصنوه المعتصم فامر المامون بالاستعداد ليوم سماه للخلو فيه مع الجواري منفردين عن سائر الندماء فظهر خبرهما بذلك وعرف الناس ذلك اليوم الذي عزما عليه فعزم هذا الاديب المذكور على ان يتطفل في ذلك على المامون واخيه المعتصم فمضى الى اخوانه واصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وزردية ومن آخر منطقة وخفا وسيفا ومن آخر برذونا ومن آخر ما يحتاج اليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سحرا وتطيب ولبس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف الامير اني رسول امير المؤمنين واستاذن لي عليه فسعى الحاجب عدوا حتى اخبر المعتصم فاذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه قال له يا سيدي ان امير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك انسيت الوعد الم يتقدم اليك بالركوب للخلو ونستريح يومنا هذا قال المعتصم لا والله ما نسيت ذلك ولكن تربصت ساعة ونمت نومة لاتقوى بذلك على انتصاب سائر النهار فقال الفتى فعجل الآن ايها الامير فانه امرني ان لا افارقك حتى آتيه بك وامر المعتصم باسراج

مركوبه واسرع فى التأهب ولبس ثيابه وركب وركب الفتى معه والمعتصم لا ينكر شيئا من كلام الفتى ويتأمل للطافته وهيئته ولم يتوهم الا انه من بعض خواص المأمون واخذ الفتى يحدث المعتصم واقبل عليه بكليته ولم يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فالقى الفتى نفسه عن دابته واخذ يمشى بين يديه والحجاب لا ينكرون منه شيئا ويظنون انه من خدم المعتصم حتى نزل المعتصم واخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر المعتصم فى مجلسه جلس الفتى بين يديه وهو منهمك فى نوادره واخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا مما يسمع من حسن كلامه واخبر المأمون ان المعتصم قد وصل ومعه رفيق لا يعرف من هو فقال المأمون اخى قد عرف ان هذا المجلس اتفقنا عليه لا ينبغى ان يحضره احد من الناس الا من هو عديل النفس وقد احسن اخى اذ جعل لنا ثالثا فان المجلس اذا لم يحضره اكثر من اثنين تعطل لقيام احدهما الى الصلاة والى ما بد منه ثم خرج من ساعته فرحا وليس له همة الا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قدره وعقله فلما استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع فى نفس المأمون نهض قائما فقبل يد المأمون وعاد الى مجلسه واخذ فى نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن اخباره وغرايب اشعاره كانه يغرف من بحر وهو مع ذلك يوهم المأمون انه من خواص المعتصم فساعة يكنيه وساعة يسميه حتى غلب على قلب المأمون واظهر الحسد لاخيه فى صحبة مثل هذا الغلام وكلامه وامر المأمون باحضار المائدة فنصبت بانواع الطعام فاكلوا وغسلوا ايديهم ولمجلس الشراب انتقلوا وامر المأمون باحضار الجوارى من غير ستارة فحضرن واخذن فى الغناء فما من صوت يمر الا والفتى عارف به وبالمغنى ومتى قيل وفيمن قيل فعز فى عين المأمون حتى ملأ عينه وتزايد حسده لاخيه فى صحبة مثله ثم ان الفتى بول ولم يجد للمدافعة سبيلا فقام وهو متيقن انهما سيذكرانه ويتواصفان امره وحاله اذ اخلا المجلس فما هو الا ان غاب من بين ايديهما حتى قال المأمون لاخيه المعتصم يا ابا

نغم
وانما

اسحاق من صاحبك هذا فوالله ما رأيت رجلا قط اكثر منه ادبا ولا الطف هيئة
ولا اشرف من شمايله فقال المعتصم والله ما اعلم من هو وانه جاء في مبكر برسالة
امير المؤمنين فقال المأمون سألتك بالله يا اخي اهو كذلك فقال إي والله الذي
لا اله الا هو فقال المأمون طفيلي ورب الكعبة وغضب وامر الجواري بالنهوض
فنهضن واقبل الفتى راجعا فلما نظر الى خلو المجلس من الجواري والى تغير وجه
المأمون وقف على رأس المجلس واقبل بوجهه على المعتصم وقال يا ابا اسحاق كانى
بك قد اخذت في نوع الزور والبهتان وهذا المجلس من المجالس التى لا تحمل المزاح وما
هكذا وعدتني ثم قال والله يا امير المؤمنين ما بليت من احد من الناس مثل ما بليت
من هذا الا انه دائما ابدا يعرضني لمثل هذا واشباهه ويغرى بي ويوقعنى في كل ورطة
ثم اقبل على المعتصم وقال يا ابا اسحاق سألتك بالله امير المؤمنين الا ما اعفيتني من
ملاعبتك التى لا تحتمل وتؤدى الى مؤاخذة امير المؤمنين ولم يزل يأتي بهذا و
امثاله حتى شك المأمون في امره والتفت الى اخيه المعتصم وقال سألتك
بالله يا اخي بحيائي عليك الا ما علمتني بحقيقة امره فقال المعتصم يا امير المؤمنين
برئت من ذمة الله ورسوله ومن حيائك وولايتك ان كنت اعرفه او رايته
قط الا في يومي هذا فقال الفتى كذب والله يا امير المؤمنين لقد كنت معه دهري
الاطول وفي موضع كذا وكذا وان هذا فعله معي ابدا فضحك المأمون تعجبا وقال
ادخل فدخل وامره بالجلوس فجلس ثم قال لك الامان ان صدقتني فصدقه الحديث
على وجهه فاعجب من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وامر باعادة
الجوارى الى مجلسهن فطربوا سائر يومهم فقال له المأمون اخبرني باعجب ما لحقك
في قدومك من الكوفة الى بغداد واجعله نظما ولا تكتم عني شيئا فقال نعم

(شم انشا يقول)

بينما انا واقف في البيت مكتئبا	مفكر في حصول الكد والقوت
وليس في البيت لي شئ الذ به	ولي من الجوع ما يدني الى الموت



كانت لقلبي اهواء مفرقة	فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي
تركت للناس دنياهم و دينهم	شغلا بذلك عن ديني و دنيائي
وصار يحسدني من كنت احسده	وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

فاستحسن المامون الابيات وامر بكتبها على الستارة وصار الفتى اذا احضر يوم سرور المامون لم يكن للمأمون هم الا اقتراح هذه الابيات الى ان ينقضي المجلس ثم ان الفتى بعد ان حسنت حالته ارسل الى الدار التي اشرفت عليه منها الجارية فاذا هي لرجل من اهل بغداد من مباشريها و قد مات ولم يخلف ولدا سوى تلك الجارية وماماتت حتى تضعضع حاله فاعلم المامون بذلك فامر بخطبها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية في نعمة عظيمة بقية عمرهما والله اعلم وسرق شاب سرقة فاتى به الى المأمون فامر بقطع

(يده فتقدم لتقطع يده فانشد الشاب يقول)

يدي يا امير المؤمنين اعيذها	بعفوك ان تلقى نكالا يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في اهلها	اذا ما شمال فارقتها يمينها

وكانت ام الشاب واقفة رأسه فبكت وقالت امير المؤمنين انه ولدي و واحدي ناشدتك الله الا رحمتني وهديت لوعتي وجدت بالعفو عما استحق العقوبة فقال المأمون هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا امير المؤمنين اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التي تستغفر منها فرق لها المأمون و عفا عنه وفي حياة الحيوان قال رايت في بعض المجاميع بخط بعض العلماء الاكابر ان المامون اشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما بيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المامون لبعض خدمه اذهب الى ذلك الرجل فانظر ما كتب وائتني به فبادر الخادم الى الرجل مسرعا وقبض عليه وقال ما كتبت فاذا هو

(قد كتب هذين البيتين)

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم	متى يعشش في اركانك البوم

يوما يعشش فيك اليوم من فرح		اكون اول من ينعاك مرغوم	

ثم ان الخادم قال له اجب امير المؤمنين فقال الرجل سالتك بالله لا تذهب بي اليه فقال الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به فلما مثل بين يدي امير المؤمنين واعلم بما كتب فقال له المامون ويلك ما حملك على هذا فقال يا امير المؤمنين انه لا يخفي عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الاموال والحلي والحلل والطعام والشراب والفرش والاواني والامتعة والجواري والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي واني يا امير المؤمنين قد مررت عليه الآن وانا في غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا في امري وقلت في نفسي هذا القصر عامر عال وانا جائع ولا فائدة لنا فيه فلو كان خرابا ومررت به لم اعدم رخامة او خشبة او مسمارا ابيعه واتقوت بثمنه او ما علم امير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر

اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ		نصيب ولا حظ تمنى زوالها	
وما ذاك من بغض له غير انه		يرجي سواها فهو يهوى انتقالها	

فقال المامون يا غلام اعطه الف درهم ثم قال هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامرا باهله مسرورا بدولته وانشدوا في معنى ذلك

اذا كنت في امر فكن فيه محسنا		فعما قليل انت ماض وتاركه	
فكم دحت الايام ارباب دولة		وقد ملكوا الضعاف ما انت مالكه	

(ويحكى) انه تنبأ رجل في ايام المامون فقال ليحيى بن اكثم القاضي يا يحيى امض بنا مستترين حتى ننظر الى هذا المتنبي والى دعواه فركبا في الليل مستترين ومعهما خادم حتى صارا الى بابه وكان مستترا بثوبه فاستأذنا عليه فخرج اليهما فقال من انتما فقالا رجلان يريدان يسلما على يديك قال ادخلا فدخلا وجلس المامون عن يمينه ويحيى عن يساره فقال المامون الى من بعثت قال الى الناس كافة قال افيوحى اليك ام ترى في المنام ام ينفث في قلبك قال بل اناجى واكلم قال ومن يأتيك قال جبريل قال فمتى كان عندك قال الساعة قبل ان تأتياني بساعة

قال فيما اوحى اليك قال وحى الى انه سيدخل عليك رجلان فيجلس احدهما
عن يمينك والآخر عن يسارك والذى يجلس عن يسارك الوط خلق الله تعالى
فقال له المأمون اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وكان يحيى يعزى الى
ما قال عنه المتنبى انتهى ودخل ابو نواس على القاضى يحيى اكثم ودخل معه غلام
جميل الوجه فقال الغلام هذا مر على وقبلنى كرها ففتن به القاضى فانشد يقول

اذا كنت للتجميش والبوس كارها	فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا تظهر الاصداغ من تحت طرة	وتشهر منها فوق خديك عقربا

فلما سمع الغلام ذلك انشأ يقول

لقد كنت ارجو ان ارى العدل بيننا	فاعقبنى بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها	اذا كان قاضى المسلمين يلوط

ويحكى انه كان عند المأمون يوما فقال له المأمون وهو يعرض له

باللواط يا يحيى من ذا الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناء ولا	يرى على من يلوط من بأس

فقال له الذى يقول

ما ارى الجور ينقضى وعلى الامة وآل من بنى العباس

ويقال ان المأمون شرب يوما ومعه القاضى يحيى بن اكثم فمال الساقى على
القاضى حتى وقع سكران فامر المأمون ان يلقى عليه الورد والرياحين حتى
يدفن فيها كانه ميت وصنع بيتى شعر وقال لمغنيته خذى العود وغنى

على رأسه فغنت وقالت

ناديته وهى حى لا حراك له	مزمل فى ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى	فقلت خذ قال كفى لا يواتينى

فاستيقظ يحيى لرنة العود والجارية تغنى البيتين فقام وقال

ياسيدى وامير الناس كلهم	قد جار فى حكمه من كان يسقينى

سقانى الراح لم يمزج سلافتها		حتى بقيت سليب العقل لا الدين

قال الواقدى كان ابراهيم بن مهدى ادعى لنفسه الخلافة بالرى واقام مالكها
سنة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وله اخبار كثيرة فمما حكاه قال لما
دخل المأمون الرى فى طلبى اثقل على الطلب وجعل لمن دل على واتاه بى مائة
الف درهم فخفت على نفسى وتحيرت فى امرى فخرجت من دارى وقت الظهر
وكان يوما صائفا وما ادرى اين اتوجه فمررت بزقاق لا ينفذ فقلت لا حول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون وخفت ان رجعت على اثرى
يعلموا بى فرايت فى صدر الزقاق عبدا اسود قائما على باب داره فتقدمت اليه
وقلت له اعندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار قال نعم وفتح الباب فدخلت
الى بيت نظيف فيه حصير نظيفة وبسط ومخدات جلد ثم انه اغلق الباب على
ومضى فخفت ان يكون سمع الجعالة فى حقى وانه عرفنى ومضى ليدلهم على
فبقيت مثل الحبة فى المقلاة فلقد امسيت من الخوف فبينما انا كذلك اذ اقبل و
معه حمال حامل كل ما احتاج اليه من لحم وخبز وقدر جديدة وجرة وكيزان
جدد ثم التفت الى وقال جعلنى الله فداك انا رجل حجام وانا اعرف انك تتقذر
منى لما اتولاه من معيشتى فشانك بما لم تقع عليه يدى وكان لى حاجة الى
الطعام فقمت وطبخت قدرا ما ظننت انى اكلت مثلها قط فلما قضيت اربى
قال لى هل لك ان تشرب شيئا فانه يسلى الهم ويزيل الغم ويهب للنفس الفرح
قلت ما اكره ذلك رغبة فى مؤانسته فاتى بقطرميز جديد واحضر لى نقلا و
فاكهة فى اوانى جدد من فخار ثم قال بعد ذلك ان اذنت لى جعلت فداك ان
اقعد بناحية منك وآتى بشراب فاشرب سرورا بك فقلت افعل ففعل
وشرب ثلاثا ثم دخل الى خزانة له فاخرج عودا اصلحها ثم قال يا سيدى ليس
من قدرى ان اسألك ان تغنى ولكن قد وجب على مروتك حرمتى فان رايت
ان تشرف عبدك بان تغنى لنفسك والعبد يسمع فافعل فقلت له ومن اين

لك انى احسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله انت اشهر من ذلك انت ابراهيم ابن المهدى خليفتنا بالامس الذى جعل المأمون لمن يدل عليك مائة الف درهم فلما قال ذلك عظمت مروئته عندى وعلمت ان نخوته اجل مما بذل فتناولت العود فاصلحته وقد مر بخاطرى ذكر اهلى وولدى فقلت

وعسى الذى اهدى ليوسف اهله	واعزه فى السجن وهو غريب
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا	فالله رب العالمين قريب

فقال يا سيدى اجعل ما تغنيه مما اقتضيناك اياه قلت نعم فقال غن لى

ان الذى عقد الذى انعقدت به	عقد المكاره فهو يملك حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة	فلعلها ان تنجلى فلعلها

فحسن عندى اقتراحه فشربت وشرب ثم قال غن لى

وراء مضيق الخوف متسع الامن	واول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا	خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وشربت وقال غن لى

اذا ما الحادثات بلغن النهى	وكان لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقل العزا	ء فعند التناهى يكون الفرج

فغنيته وحسن فى نفسى اقتضابه واستظرفته ثم قال ان رأيت يا سيدى ان تأذن لى ان اغنى ما خطر ببالى وان كنت من غير اهل هذه الصناعة فقلت يكون ذلك زيادة فى ادبك ومروئتك فاخذ العود ثم قال دستور ثم ضرب عليه وغنى يقول

شكونا الى احبابنا طول ليلنا	فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم	سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى	جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما	نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فقلت والله ذهب عني كل ما كان عندي من الهلع وسألته يغني فغنى يقول

تعيرنا انا قليل عدادنا	فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا	عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى الموت سبة	اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا	وتكرهه آجالهم فتطول

فوالله لقد اجاد وذهب عني كل ما كان من الفزع والجزع واستأنست به وداخلني
من الطرب ما لا مزيد عليه وعاجلني النوم قبل اوانه فنمت ولم استيقظ الا بعد
المغرب وجال فكري في هذا الحجام وادبه وظرفه وكيف غناؤه وادبه وارادته
ان يسليني عما انا فيه اشارة الى تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره فقعدت
وغسلت وجهي وايقظته واخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير ومصاغ
لها قيمة فدفعتها اليه وقلت له انت في وداعة الله وحفظه فاني ماض عنك
ان تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي اذا أمنت
المزيد فاعادها على مبادرا وقال ياسيدي الصعلوك منا لا قيمة له عند اهل
الرياسات ويظنون فيه الظنون الرديئة أفآخذ على ما وهبني الله من قربك
وحلولك في منزلي ثمنا لا والله فالححت عليه فاخذ موسى له بيده وقال والله ان
راجعتني لاجرحن نفسي فخشيت عليه واخذت الخريطة واثقلني حملها فلما انتهيت
الى باب الدار قال ياسيدي ان هذا الموضع اخفى لك من غيره وليس عندي في
مؤنتك ثقلة فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فراجعته وسألته ان يكون منفقا
من تلك الخريطة فلم يفعل وكان كل يوم يفعل بي مثل ما فعل في اليوم الاول
فاقمت اياما في اطيب عيش واهناه ثم سئمت من الاقامة عنده وخشيت الثقل
عليه فتركني ومضى يجدد لنا حالنا فلبست ثيابي وتزييت بزي النساء بالخف
والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف والفزع امر شديد
ومشيت لاعبر الجسر واذا هو قد رش ورجل قائم فابصرني بعض من كان في خدمتي

من الجهد فتعلق بي وقال طلبة امير المؤمنين فدفعته في صدره فوقع في الزلق و
صار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا
فوجدت بابا وامراة واقفة فيه فقلت يا سيدة النساء احقني دمي فاني رجل خائف
فقالت ادخل فدخلت فاطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت
ليهدأ روعك فانه لا يعلم بك مخلوق ولو اقمت سنة ما عليك بأس واذا بالباب
يدق فخرجت وفتحت الباب فاذا هو صاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدوخ
الرأس ودمه يسيل على ثيابه فقالت له ما دهاك قال ان حديثي عجيب وامري
غريب ظفرت بالفتى وانفلت من يدي قالت وكيف قال ابراهيم بن المهدي
لقيته فتعلقت به فدفعني فاصابني ما ترين من حالي ولو حملته الى امير المؤمنين
لاخذت منه مائة الف درهم قال فاخرجت له خرقا ودروا وفرشت له بعد
كبس جرحه فنام قليلا وطلعت وقالت لي اظنك صاحب القصة قلت نعم قالت لي
اني خائفة عليك ثم جددت لي الكرامة واقمت عندها ثلاثة ايام ثم قالت لي اني
خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على امرك فينم عليك فالج بنفسك فسالتها
امهالي الى الليل فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها واتيت
الى بيت مولاة فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتي وخرجت
كانها تريد كرامتي فتوجهت للسوق مظهرة الاهتمام للضيافة فظننت خيرا فلم
اشعر الا بابراهيم الموصلي بخيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني اليه فرايت الموت
عيانا وحملت مثل ما انا الى امير المؤمنين فجلس مجلسا عاما وامر بادخالي عليه
فلما مثلت بين يديه سلمت عليه سلام الخلافة فقال لي لا سلمك الله ولا حفظك
ولا رعاك فقلت يا امير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى
ومن تناولته يد الاقدار بما مد له من اسباب الرجاء ما يامن معه عادية الدهر
وقد جعلك الله فوق خلقه واصبح عفوك فوق كل ذي عفو فان تاخذ فبحقك

(وان تعف فبفضلك وانشدت اقول)

ذنبي اليك عظيم | وانت اعظم منه
فخذ بحقك او لا | فاصفح بحلمك عنه
ان لم اكن في فعالي | من الكرام فكنه

قال فرفع راسه الي فقلت مستمدرا

اتيت ذنبا عظيما | وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن | وان جزيت فعدل

قال فرق المأمون واسترجع فرايت روائح الرحمة في شمايله ثم اقبل على اخيه ابي اسحاق محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته وقال ماترون في امره فاشار الكل بقتلي الا انهم اختلفوا في القتل فقال المأمون لاحمد بن ابي خالد ماتقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت لم نجد مثلك في العفو فنكس المأمون رأسه الى الارض وجعل يخط في الارض باصبعه ثم رفع رأسه وقال

قومي هموقتلوا اميم اخي | فاذا رميت يصيبني سهمي

ثم قال المأمون لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبي يا امير المؤمنين اعظم من ان افوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشكر

ولكن اقول شعرا

ان الذي خلق المكارم حازها | في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة | وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني | اسبابها الا بنية طائع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله | عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت شبلا كافراخ القطا | وحنين والدة بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب اليوم عليك قد عفوت عنك ورددت عليك مالك

وضياعك فانشدت اقول

نسخہ سفکت نسخہ نات

رددت مالی و لم تبخل علی به	وقبل ردک مالی قد حقنت دمی
امنت منک وقد خولتنی نعما	نعم الحیا تان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمی ابغی رضاک به	والمال حتی اسل النعل من قدمی
وان جحدتک ما اولیت من نعم	انی الی اللوم اولی منک بالکرم

فقال المأمون ان من الکلام کلاما کالدر وهذا منه وامر لی بمالی وخلع علی وقال یا عم ان ابا اسحاق والعباس اشارا بقتلک فقلت انهما نصحاک یا امیر المؤمنین ولکن فعلت ما انت اهله ودفعت ما خفت انا بما رجوت فقال المأمون لقد مات حقدی بحیاة عذرک وقد عفوت عنک ثم سجد المأمون طویلا ثم رفع رأسه ثم قال یا عم الذی لم سجدت قلت له شکرا الله تعالی علی ما اوقع علی وملکک ایای فی یدک تفعل بی ما تشاء فقال اخطات ولکن شکرا الله تعالی علی ما الهمنی من العفو عنک من قبل نفسی ثم قال واعظم من عفوی عنک انی لم اجرعک مرارة امتنان الشافع بن محمد ثنی بما کان من امرک فحدثت له ما جری لی مع الحجام والجندی وزوجته والمولاة التی اسلمتنی فأمر المأمون باحضارها وهی فی دارها تنتظر الجائزة فلما احضرت قال لها المأمون ما حملک علی ما فعلت من تسلیمک ابراهیم مع انعامه علیک قالت رغبة فی المال قال هل لک من ولد او زوج قالت لا فامر بضربها مائة سوط واسر بتخلیدها فی السجن ثم احضر الجندی وامراته والحجام فسال الجندی عن السبب الذی حمله علی ما فعل قال رغبة فی المال فقال انک اولی بان تکون حجاما من ان تکون خدامًا وکل من یلزمه الجلوس فی مکان الحجام لیتعلم الحجامة واحسن الی امراة الجندی وجعلها قهرمانة قصره وقال هذه امراة ادیبة تصلح للمهمات وسلم للحجام دار الجندی وما فیها وخلع علیه واثبتنه برزقه فی الدیوان وزیادة الف دینار فی کل سنة ولم یزل کذلک الی ان مات والله اعلم (وعن محمد بن عبد الله التمیمی) قال حدثنا احمد بن محمد

الجوهري قال كان لحمنة بنت عبد الرحمن الهاشمي من الاموال ما لا يسعه
الديوان ولا تأكله النيران لكثرته وكانت ادب نساء بني هاشم وافصحهن
لسانا واقولهن شعرا فدخلت على المأمون يوما وكانت تحبه غاية الحب
سرا وكان المأمون جالسا في ايوان قد ابتدعه له لم يبتدعه احد من الخلفاء
قبله وكان قد تنوق في بنائه وكان فيه من كل صورة في البر والبحر ممثلة
من الذهب والفضة وقد فرشه ببساط من الديباج الاصفر واسبل عليه
ستورا من الحرير الصيني وقد اقام فيه اربعمائة وصيفة بقراطق الحرير و
قلانس الوشي بطرر وشعور واصداغ وهن بقد واحد لا تزيد الواحدة منهن
على الاخرى اقام مائتين عن يمينه ومائتين عن يساره * فقال يا حمنة هل
كان لابيك او لبعلك او لاحد من الخلفاء مثل هذا الايوان مع فرشه و
مثل هؤلاء الجواري مع زينتهن فقالت يا امير المؤمنين متعك الله وعمره
بك فلقد اوتيت ملكا عظيما انسانا اهله لترفهك وشرفك فان اجبت خادمتك
حمنة اجلستك في مجلس لم تجلس في مثله قط واصادتك صيدا لم تصد مثله
قط واسقيتك شرابا لم تشرب مثله قط وكان عنده يحيى بن اكثم فقال
لها يا حمنة قد اجبتك الى ما سألتيني ولكن لا ينفعني ولا يهنيني ذلك الا بمشهد
من يحيى بن اكثم فانه لا يطيب لي مجلس الا به فقالت نعم يا امير المؤمنين ثم مدت
يدها الى جيبها فاخرجت منه مخزنة من ذهب احمر محشوة مسكا اذفر فدفعتها
الى يحيى وقالت يا يحيى ان الاجير لا يعمل حتى يستوفي اجرته وهذه اجرتك عنه
فكن مستحثا الى امير المؤمنين غدا عند الزوال في المسير الى منزل خادمته
فقال حبا وكرامة ثم خرجت من عنده فهيأت ما تحتاج اليه للمأمون وغيره
فلما كان من الغد جلس المأمون في مجلس السلام فلما زالت الشمس وصارت
في كبد السماء قال يحيى يا امير المؤمنين الحاجة التي عرضت عليك بالامس فنظر
المأمون لذلك وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار ولبس يحيى مثل ذلك وخرجا

بجاريتين مصريتين بغاشيتين وركباهما حتى انيا دارحمة فدقا الباب دقا خفيفا فسمعته فاقبلت بنفسها حتى فتحت الباب واقبلا يمشيان جميعا حتى انتهوا الى بيت فى بستان قد حمل على اربعة اعمدة من الرخام الاحمر المنقوش واذا فى صدر البيت ثلاثة اسطر منقوشة بالدر وصنوف الجوهر وهى

ماسرنى ان فؤادى ولا	ان لسانى يوما خلا
وان لى ملك بنى هاشم	يجئ الى اولى اولا
ان لم ارالديا ما لكى	تأتى الى كن امقبلا
ياسائلى دوحى بلا علة	انت المعافى وانا المبتلا

فقال المأمون يا يحيى ما ملك احد من الخلفاء مثل هذا البيت واذا فرشه ارمنى محفور منقوش باللآلى واذا فوق الارمنى مطارح من الديباج الاخضر حشوها حواصل الريش وفى البيت المسك والعنبر والكافور والصندل والزعفران والند والعود مصفوف فى اوانى الذهب والفضة وهى تلوح منه روائح لايدرى ماهى من طيبها ثم اخرجتهما الى اربعة ميادين فيها انواع الرياحين حول البيت فقال ان هذا الاسحر بين ثم دعت لهما بمائدة من الجزع اليمانى قوائمها منها قطعة واحدة فوضعت وقدمت عليها الالوان الغريبة فقال المأمون ما طعمت مثل هذا الطعام قط ثم دعت بالطشت والابريق فغسلا ايديهما ثم امرت فقدم اليهما ثانى الزجاج الشامية المرتفعة الصافية والبلور فيها شراب قد انت عليه الايام والاعوام فهى تحكى الهوى لرقتها والياقوت لحمرتها والزنجبيل لحدتها ووضعت بين ايديهما مع اقداح وانطال تشاكل ذلك فقال المأمون والله ما رايت مثل هذا قط ثم اخرجت جاريتين عليهما جباب الوشى الكوفى المنسوج بالذهب وفى روسهما مقانع رشيدية وتيجان من الذهب مكللة بالجوهر فجلستا وفى حجريهما العيدان المبسوطة الموزونة فحركتا الاوتار وغنتا بصوت شجى مليح من انواع الاغانى

وغرائب الاصوات فقال المأمون هذه الجنة مما نرى فيها غرائب الطيب والجوهر
فقال يحيى وقد بقي لنا يا امير المؤمنين شرط آخر فقال وما هو يا يحيى قال
الصيد يا امير المؤمنين قال صدقت يا يحيى ثم قال يا حمدونة ما فعل الصيد فقالت
قوما اليه فقام المأمون ويحيى حتى دخلا بستانا لم ير مثله وقد كانت زينت
البستان باحسن ما تقدر عليه واتخذت فيه الوان الطيور من الفاخت والقمري
والهزار والطواويس فكانت الاطيار تغني من رؤس الاشجار وتغرد بالسرور
الاجهار وقد كانت زينت مائة جارية نواهد ابكار ابطرر وشعور وخدود
ومباسم ساطعات الانوار ترى كل واحدة منهن ابهى من صاحبتها واحسن
وعليهن من الوان الثياب ما يعجز عنه الوصف وفي اوساطهن مناطق الذهب
الاحمر وتقدمت اليهن وقالت لهن اذا رأيتن المأمون ويحيى تغادرن ما بين
الاشجار فلما دخل المأمون ويحيى البستان فعلن ما كانت امرتهن فتضاعف السرور
على المأمون واعجب المأمون بذلك عجبا شديدا ثم قال ليحيى هذا الصيد
فقال يا امير المؤمنين وايش فيه فقال المأمون لو كان لنا كلب لاصطدنا هؤلاء
فقال يحيى انا كلبك يا امير المؤمنين فعدا المأمون ويحيى فاصطادا منهن صبية فقالت
حمدونة سألتك بحق اجدادك الا ما خليت عن الجواري لا يجمل الجمل بهن عليك وقد فهمت
المعنى فيه وقد كانت حمدونة تغار على المأمون فخلى عن الجواري وقال ليحيى دونك
والصيد اذن انت محل فقال يحيى لو كان لي كلب لاصطدت من هؤلاء فقال المأمون
انا كلبك فضحك يحيى وضرب بقلنسوته الارض فعدا خلفهن فاخذ منهن خمسة
فقالت حمدونة يا يحيى لك الخمسة ولا غيرة لي عليك وانما اغار على المأمون لحاجتي اليه
فقال يحيى والله يا امير المؤمنين لقد رأيت الهوى الغالب في حماليق عينيها ولا تتم
لنا النعمة الابتزويجك اياها ان رأيت ذلك فقال المأمون انا برئ من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومنتف من جدي العباس ان ذهبت من البستان ولم اتزوجها
ثم قال يا يحيى اخطب خطبة النكاح فخطب يحيى وامهرها المأمون الف الف دينار

واقطعها

واقطعهما مائة من منتخبات الضياع فحمدت حمدونة الله سرورا بما ظفرت من تزويج المأمون اياها وامرت ليحيى بعشرة آلاف دينار ورجع المأمون الى منزله وزفت اليه فى تلك الليلة فواقعها فحملت بالعباس ابنه انتهى (وحكى) ان المأمون كان مشغوفا بحب جارية يقال لها نسيم وكانت ذات عقل وادب وفضل وكمال وكان لا يفارقها فى الحضر ولا فى السفر ثم بعد ذلك مال الى جارية اخرى احسن منها واعرض عنها فاغتمت ولم تجد حيلة فى استعطافه وكانت ربت جارية رومية احسن منها فى العقل والادب وكتمت امرها عن المأمون فاتفق ان المأمون حصل له بعض ضعف ففصد فحصل له الشفاء فجعل الناس يدخلون اليه باصناف التحف والهدايا فاهدت اليه نسيم الجارية المذكورة ومعها جام بلور وغطته بمنديل دبيقى مكتوب عليه بالذهب هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغى صحة		البسك الله به العافيه	
فاشرب بهذا الجام يا سيدى		مستمتعا فى هذه الجاريه	
واجعل لمن اهداكها زورة		تحظى بها فى الليلة الثانيه	

فاعجب المأمون ما راى من الجام والجارية ثم بعث لها يقول نعم وفى هذه الليلة ثم رضى على نسيم ووصلها بعد ذلك (وحكى) ان المأمون مر يوما على زبيدة ام الامين فرآها تحرك شفتيها بشئ لا يفهمه فقال لها يا اماه اتدعين على لكونى قتلت ابنك وسلبته ملكه قالت لا والله يا امير المؤمنين قال فما الذى قلتيه قالت يعفينى امير المؤمنين فالح عليها وقال لا بد ان تقوليه قالت له قلت قبح الله الملاحة قال وكيف ذلك قالت لانى لعبت يوما مع امير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضى فغلبنى فامرنى ان اتجرد من اثوابى واطوف القصر عريانة فاستعفيته وبذلت له اموالا لا تحصى فلم يعف عنى فتجردت من اثوابى وطفت القصر عريانة وانا حنقة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فامرته ان يذهب الى المطبخ فيطأ اقبح جارية واشوهها خلقة فاستعفانى عن ذلك فلم اعفه فنزل لى عن خراج مصر والعراق

فابيت وقلت والله لتطأنها فالححت عليه واخذت بيده وجئت به الى المطبخ فلم ار جارية اقبح ولا اشوه خلقة من اصل مراحل فامرته ان يطأها فوطئها فعلقت منه بك فكنت سبب القتل ولدى وسلبه ملكه فولى المأمون وهو يقول قاتل الله اللجاجة اى التى الح عليها حتى اخبرته بهذا الخبر انتهى (وأتى شاعر المأمون) فقال لقد قلت فيك شعرا فقال انشدنيه فقال

حياك رب الناس حياكا	اذ بجمال الوجه رقاكا
بغداد من نورك اشرقت	وأورق العود بجدواكا

قال فاطرق المأمون ساعة وقال يا اعرابى وانا قد قلت فيك شعرا وانشد يقول

حياك رب الناس حياكا	ان الذى املت اخطاكا
اتيت شخصا قد خلا كيسه	ولو حوى شيئا لأعطاكا

فقال يا امير المؤمنين الشعر بالشعر حرام فاجعل بينهما شيئا يستطاب فضحك المأمون وامر له بمال انتهى (وروى) ابن عامر الفهرى عن اشياخه قال امر المأمون ان يحمل اليه من اهل البصرة عشرة رجال كانوا قد رموا عنده بالزندقة فحملوا اليه فرءاهم طفيلى فرآهم مجتمعين فظن خيرا ومضى معهم الى الساحل وقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل ودخل الزورق وقال لا شك انها نزهة فلم يكن الا يسيرا وقد قيد والقوم وقيد معهم فعلم انه وقع فيما لا طاقة له به ودام الخاطر فلم يقدم وساروا الى ان وصلوا الى بغداد ودخلوا على المأمون فاستدعى بهم باسمائهم واحد بعد واحد وجعل يذكره بفعله وبقوله ويضرب عنقه حتى لم يبق الا الطفيلى وفرغت العشرة فقال المأمون للموكل من هذا فقال لا اعلم يا امير المؤمنين غير انا رأيناه معهم فجئنا به فقال يا امير المؤمنين امراته طالق ان كان يعرف من احوالهم شيئا ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رأيتهم مجتمعين فظننت انها وليمة يدعون اليها فلحقت بهم فضحك المأمون وقال اوقد بلغ من شؤم التطفل ان يحل بصاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من القتل ولكن

يؤدب حتى لا يعود الى مثلها وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا فقال يا امير المؤمنين هبه لى وانا احدثك عن نفسى فيما وقع لى فى التطفل من العجب فقال وهبته لك هات حديثك فقال يا امير المؤمنين خرجت متنكرا يوما الى سكك بغداد فاستهوى بى الطرب والتفرج فانتهى بى المسير الى موضع شممت فيه رائحة طعام وابازير قد فاحت وهفت نفسى اليها ووقفت يا امير المؤمنين لا اقدر على المشى فرفعت بصرى واذا بشباك خلفه كف بمعصم ما رايت احسن منه فبقيت حائرا ونسيت رائحة الطعام بذلك الكف فاخذت فى عمل الحيلة التى الى الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا سيدى لمن هذه الدار فقال لرجل من البزازين فقلت ما اسمه فقال فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم واظن ان عنده اليوم اصحابه تجار مثله فبينما نحن فى الكلام اذ اقبل رجلان فقال لى هؤلاء ندماؤه فقلت له ما اسماؤهما وما كناهما فقال لى فلان الفلانى وفلان الفلانى فحركت ورائهما رجلى فلحقتهما فقلت جعلت فداكما استبطاكما فلان اعزه الله ولم ازل معهما حتى اتيت الباب فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب البيت بينهما لم يشك الا انى معهما فرحب بى واجلسنى فى افضل الاماكن ثم جئ بالمائدة ونقلت اليها الالوان فقلت فى نفسى هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم ثم جئ بالماء فغسلنا ايدينا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا شكل مليح ما رايت احسن منه ولا اظرف ورايت صاحب المكان يتلطف بى ويقبل على لظنه انى ضيف لاضيافه وهم على الحالة هذه الى ان شربنا اقداحا فخرجت علينا جارية كانها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت من غير خجل ولا احتشام وجلست واتى بعود فجسته احسن جسة واذا هى حاذقة فى الصناعة وغنت تقول

توهمها فكرى فاصبح خدها	وفيه مكان الوهم من نظرى اثر
وصافحها كفى فآلم كفها	فمن ضم كفى فى اناملها عقر

فهيجت يا امير المؤمنين بليا لي فطربت لحسن شعرها وحذقها ثم غنت تقول

اشرت اليها هل عرفت مودتي		فردت بطرف العين اني على العهد
فحادت على الاظهار عمدا لسرها		وحادت عن الاظهار ايضا على عمد

فحسدتها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر فضحكت لما اصابني من الطرب الذي لم املك نفسي معه ثم غنت تقول

اليس عجيبا ان بيتا يضمنا		واياك لا نلهو ولا نتكلم
سوى اعين تبدي سرائر انفس		وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارة افواه وغمز حواجب		وتكسير اجفان وكف يسلم

فزاد حسدي لها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج عن المعنى وقلت بقي عليك يا جارية شيء فرمت العود من يدها وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء فندمت على ما كان مني ورايت القوم كانهم قد انكروا علي فقلت في نفسي فاتني جميع ما املت واحببت ان اتلافى قضيتي فقلت اثم عود غير هذا قالوا نعم فاحضروا عودا فاصلحت ما اردت اصلاحه ثم قلت

ما للمنازل لا تجيب حزينا		اصممن ام قدم بالبلاء بلينا

فما اتممت شعري حتى وثبت الجارية الي وانكبت على يدي تقبلها وتقول المعذرة اليك يا سيدي والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصناعة من احد ثم زادوا اكرامي وطربوا غاية الطرب فشربت عدة اقداح ثم غنيتهم ابياتا فرايت من طربهم شيئا عظيما حتى قلت ان ارواحهم فارقت ابدانهم فسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا الى عقولهم فغنيتهم وقلت

هذا محبك مطويا على كمده		وجدا ودمعه تجري على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته		مما به واليد الاخرى على كبده
يا من يرى كلفا في حبه دنفا		كانت منيته في عينه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح وتقول هذا والله الغناء والذي كنا فيه ليس بشيء

وشربوا

وشربوا القوم فلما جاءهم البسط واخذ المجلس منتهاه امر صاحب البيت عبدين له ان يحفظا النديمين الى منزلهما وخلوت معه فقال والله ياسيدى ذهب ما مضى من عمرى باطلا الذى ما عرفتك قبل يومى هذا فبالله يامولاى من انت فجعلت ارد عليه وهو يقول ويقسم على الى ان اعلمته من انا على الحقيقة فلما سمع ذلك قام على قدميه وقال عجبت ان تكون هذه المكارم الا لمثلك وقد اصابنى من الدهر نعم لا اقوم بشكرها ثم قال اترى هذا يقظة ام منام اقسمت انى لا ازال هذه الليلة قائما الى ان تاذن لى فانى احقر من ان اجالس الملوك فاقسمت عليه بان يجلس ثم اخذ فى الكلام وجعل يعرض على السبب الذى اوجب حضورى عنده بالطف تعريض فاخبرته بامرى على الحقيقة ولم اخفه شيئا ثم قلت له الطعام قد نلت منه بغيتى وبقى الامر الآخر فوثب الى باب القاعة وقال كل منكن تلبس افخر ثيابها وتخرج علينا من المخدع ثم استدعى بهن وجعل يقول يافلانة وهن يخرجن واحدة بعد واحدة وانا لا ارى صاحبة الكف والمعصم الى ان اتت اربعون امرأة فقال والله ما بقى الا اختى وها انا مخرجها اليك فقلت افعل فقال حبا وكرامة ثم استدعاها فنزلت فرايت يدها ومعصمها فاذا هى الفتى رايتها فقلت هذه الحاجة فامر غلمانه لوقته ان يأتوا بعشرة شهود ثم قام واخرج عشرين الف درهم والفا اخرى فلما حضروا قال لهم هذا سيدى ابراهيم بن المهدى يخطب اختى فلانة واشهدكم انى قد زوجتها له وامهرتها عنه عشرين الف درهم فقلت قبلت الزواج ثم دفع الالف التى كان اخرجها لهم فشكروا له ودعوا ثم انصرفوا ثم قال ياسيدى ام امهد لك بعض البيوت تنام مع اهلك فاعجبنى ما كان من كرمه واستحييت ان ادخل بها فى داره فقلت له بل اجعلها فى عمارية واحملها الى منزلى فوحقك يا امير المؤمنين لقد حمل معها من الفرش والاثاث ما ضاقت به بيوتنا فاولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا امير المؤمنين فتعجب المأمون من كرم الرجل وقال لله دره ما اكرمه والله ما سمعت بمثله قط ثم اطلق الطفيلى

وامر باحضار الرجل واستنطقه فاعجبه حسن منطقه وعقله وادبه فصيره من
جملة خواصه ومنادميه والله اعلم

ذكر خلافة ابراهيم المعتصم بن هارون الرشيد

هو ثامن خلفاء بني العباس وكان شديد القوة ما كان في بني العباس مثله
في القوة والشجاعة والاقدام قيل انه اصبح ذات يوم وكان برده شديدا وثلجه
عتيدا فلم يقدر احد على اخراج يده ولا امساك قوسه فاوتر المعتصم في
ذلك اليوم اربعة آلاف قوس وكان يدعى المثمن وانشد ابو تمام حبيب بن
اوس الطائي يمتدح المعتصم بن هارون الرشيد يقول

ان جمع عودا رايت الخيل راقصة		كانها من سماع هزها نغم
او حركت يده اليمنى له وترا		على اعاديه غنى البوم والرخم

وكان يقول بخلق القرآن وضرب على ذلك احمد بن حنبل على ان يقول
ذلك فلم يقل رضي الله عنه وله معه كلام طويل فانظره في حياة الحيوان
(ومن لطائف الحكايات) ما روي عن احمد بن ابي دواد القاضي انه قال
جئ بتميم بن جميل الى المعتصم اسيرا وكان قد خرج عليه قال فما رأيت رجلا عرض
عليه الموت فلم يكترث به سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر
اليه فاعجبه حسنه وقده ومشيه الى الموت غير مكترث فاطال الفكر فيه ثم كلمه
لينظر ابن عقله ولسانه من جماله فقال يا تميم ان كان لك عذر فأت به فقال
اما اذا اذن امير المؤمنين في الكلام فاني اقول الحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه
وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا امير المؤمنين
جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين واخمد بك نار الباطل و
انار بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة وتصدع القلوب وايم الله
لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن الا فيك وهو
اشبه بك واليق ثم انشد

ارى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظني من حيث لا اتلفت

واكبر ظني انك اليوم قاتلي ... واي امرئ عما قضى الله يفلت

ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت

يعز على الاوس بن تغلب موقف ... يسل على السيف فيه ويصلت

وما جزعي من اموت وانني ... لاعلم ان الموت شئ موقت

ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... واكبادهم من حسرة تتفتت

كاني اراهم حين انعى اليهم ... وقد لطموا احمر الوجوه وصوتوا

فان عشت عاشوا في سرور ونعمة ... اذود الردى عنهم وان مت موتوا

فكم قائل لا ابعد الله داره ... وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم ثم قال ان من البيان لسحرا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يا تميم كاد والله ان يسبق السيف العذل قد غفرت لك الصفوة ووهبتك للصبية ثم عقد له ولاية على عمله واعطاه خمسين الف دينار وانتهى من زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام (وذكر صاحب تاريخ بغداد عن مخارق المغني) قال تطفلت تطفيلة قامت على امير المؤمنين المعتصم بتسعين الف درهم قيل له وكيف ذلك قال شربت معه ليلة الى الصبح فلما اصبحنا قلت له يا امير المؤمنين ان رايت ان اخرج الى الرصافة فاتنسم الى وقت انتباه امير المؤمنين قال نعم فامر البوابين ان يتركوني فخرجت امشي في الرصافة واذا بجارية كان الشمس تترقرق من جبينها فتبعتها ورايت معها زنبيلا فوقفت على فاكهاني واشترت سفرجلة بدرهم وانصرفت فتبعتها فالتفتت فرأتني فقالت يا ابن الفاعلة الى اين قلت خلفك يا سيدتي فقالت ارجع يا ابن الزانية لئلا يراك احد فيقتلك فتاخرت ومشيت ومشت امامي ثم التفتت فرأتني فشتمتني شتما قبيحا ثم جاءت الى دار كبيرة فدخلت فيها وجلست انا عند الباب وقد ذهب عقلي ونزلت على الشمس وكان يوما حارا فلم البث ان جاء فتيان كانهما بدران على حمارين فلما وصلا

الى الباب اذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظننا ان صاحب المنزل قد دعاني
وجئ بالطعام فاكلنا وغسلنا ايدينا فقال لنا صاحب المنزل هل لكم في فلانة
فقالوا ان تفضلت قال فاستدعى بتلك الجارية فخرجت فاذا هي صاحبتي
ووراءها وصيفة تحمل عودها فوضعته في حجرها فغنت فشربوا وطربوا وهو تطفلي
وتشك في فقالوا لمن هذا الصوت فقالت لسيدي مخارق فلم البث ان قلت يا جارية
شدي يدك فشدت اوتارها وخرجت عن ايقاعها الذي تقول عليه قال
فاستدعيت بمدورة وقضيب وغنيت الصوت الذي قالته الجارية فقاموا
الي وقبلوا رأسي قال وكان مخارق من احسن الناس صوتا وكان يوقع
بالقضيب توقيعا عجيبا قال ثم غنيت الصوت الثاني والثالث فكادت عقولهم
تطير فقالوا بالله من انت يا سيدي فقلت مخارق فقالوا وما سبب مجيئك
قلت طفيلي اصلح الله شأنكم واخبرتهم بخبري فقال صاحب البيت لصديقيه
اما تعلمان اني اعطيت في هذه الجارية ثلاثين الف درهم فامتنعت من بيعها
قالا نعم قال هي لك فقال صديقاه علينا عشرون الف درهم وعليك عشرة
الآف قال مخارق فملكوني الجارية وجلست عندهم الى العصر وانصرفت بها وكلما
مررت بالمواضع التي شتمتني فيها اقول يا مولاتي اعيدي كلامك فتستحي مني
فاحلف عليها بالتقييد فتعيده حتى وصلت الى امير المؤمنين فقيل له انه انتبه
فطلبك في منازل ابناء القواد فلم يجدك وتغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه
ويدي في يدها فلما رآني سبني وشتمني فقلت يا امير المؤمنين لا تعجل و
حدثته الحديث فضحك وقال نحن نكافئهم عنك فاحضرهم وامر لكل واحد منهم
بثلاثين الف درهم والله اعلم انتهى (حكاية غريبة عن هلها) قال الاصمعي
دعاني بعض العرب الكرام الى قراء الطعام فخرجت معه الى البرية فأتوا بباطية
وعليها السمن غارق فجلسنا للاكل واذا باعرابي ينسف الارض نسفا حتى
جلس من غير نداء فجعل يأكل والسمن يسيل على كراعه فقلت لاضحكن الحاضرين

عليه فقلت بيت

كانك اثلة فى ارض هش … اتاها وابل من بعد رش

فالتفت الى بعين مبحلقة وقال لى الكلام انثى والجواب ذكر وانت

كانك بعرة فى است كبش … مدلاة وذاك الكبش يمشى

فقلت له هل تعرف شيئا من الشعر وترويه فقال كيف لا اقول الشعر وانا امه وابوه فقلت له ان عندى قافية تحتاج الى غطاء فقال هاتها ما عندك فنطست فى بحور الاشعار فما وجدت قافية اصعب من الواو المجزومة فقلت

قوم بنجد عهدناهم … سقاهم الله من النو

وقلت اتدرى النو ماذا فقال

نو تلالا فى دجا ليلة … حالكة مظلمة لو

فقلت له لو ماذا فقال

لو سار فيها فارس لانثنى … على بساط الارض منطو

فقلت له منطو ماذا فقال

منطوى الكشح هضيم الحشا … كالباز ينقض من الجو

فقلت له الجو ماذا فقال

جوى السما والريح تعلو به … اشتم ريح الارض فاعلو

فقلت له فاعلو ماذا فقال

فاعلو لما عيل من صبره … فصار نحو القوم ينعو

فقلت له ينعو ماذا فقال

ينعو رجالا للقنا شرعت … كفيت مالاقوا وما يلقو

قال فعلمت انه لا شئ بعد الفناء ولكن اردت ان اثقل عليه فقلت له ويلقو ماذا فقال

ان كنت ما فهمتهم ما قلته … فانت عندى رجل بو

فقلت له البو ماذا فقال

البو سليخ قد حشي جلده	يا الف قرنان تقوموا و		

فقلت له او ماذا فقال

او اضرب الرأس بصوانة	تقول فی ضربتها قو		

فخفت ان اقول له قوما ذا فيضربني و يكمل البيت فقلت له انت ضيفي الليلة فقال لا يأبى الكرامة الا اللئيم فقلت لزوجتي اصنعي لنا دجاجة ففعلت فاتيته بها وجئته انا وزوجتي وابناي وبنتاي وقلت له فرق يا بدوي فقال الرأس للرأس ولعطاني الرأس وقال الولدان جناحان لهما الجناحان والبنتان لهما الرجلان والمرأة العجز لها العجز وانا زائر الزور واكل الدجاجة ونحن ننظر اليه وبتنا فلما اصبحنا قلت لزوجتي اصنعي لنا خمس دجاجات ففعلت واتيته بالدجاج وقلت له اقسم يا بدوي فقال تريد شفعا او وترا فقلت ان الله وتر يحب الوتر فقال كانك تريد بالفرد فقلت نعم فقال انت وزوجتك ودجاجة وابناك ودجاجة وابنتاك ودجاجة وانا ودجاجتان فقلت لا ارضى بهذه القسمة فقال كانك تريد شفعا فقلت نعم فقال انت وولداك ودجاجة وزوجتك وبنتاها ودجاجة وانا وثلاث دجاجات والله لا احول عن هذه القسمة قال الاصمعي فغلبني مرتين مرة في الشعر ومرة في الدجاج ثم انصرف انتهى

خلافة امير المؤمنين الواثق بالله

قال ابنه محمد الذي يقال له المهدي بالله كان ابي الواثق بالله اذا اراد ان يقتل رجلا احضرنا في ذلك المجلس فبينما نحن عنده ذات يوم اذ اتي بشيخ مقيد فقال ائذنوا لابي عبد الله يعني ابن ابي دواد وادخل الشيخ في مصلاه فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال لا سلم الله عليك فقال الشيخ يا امير المؤمنين بئس ما ادبك المؤدب قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وانت والله ما حييتني بها ولا باحسن منها فقال ابن ابي دواد يا امير المؤمنين الرجل متكلم فقال الواثق كلمه فقال للشيخ ما تقول في القرآن فقال الشيخ لم تنصفني و

السؤال أسأله فقال له الأمير سله فقال الشيخ لابن ابي دواد ما تقول في القرآن فقال ابن ابي دواد مخلوق فقال الشيخ هذا شئ علمه النبي صلى الله عليه وابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين والخلفاء الراشدون ام شئ لا يعلمونه فقال شئ لا يعلمونه فقال سبحان الله شئ لا يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته انت قال فخجل وقال اقلني قال قد فعلت والمسألة بحالها قال نعم قال ما تقول في القرآن فقال مخلوق قال هذا شئ علمه النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم والخلفاء الراشدون ام لم يعلموه قال علموه ولم يدعوا الناس اليه قال افلا وسعك ما وسعهم قال ثم قام ابي فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع احدى رجليه على الاخرى وهو يقول هذا شئ لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفا الراشدون وعلمته انت سبحان الله انتهى (وذكر الحافظ ابو نعيم في حليته) قال الحافظ ابو بكر الآجري بلغني عن المهدي رحمه الله انه قال ما قطع ابي يعني الواثق الا شيخ جيء به من المصيصة فمكث في السجن مدة ثم ان ابي ذكره يوما فقال علي بالشيخ فأتي به مقيدا فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد عليه السلام فقال له يا امير المؤمنين ما سلكت بي ادب الله ولا ادب رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وامر النبي صلى الله عليه وسلم برد السلام فقال ابي وعليك السلام ثم قال لابن ابي دواد سله فقال يا امير المؤمنين انا محبوس مقيد اصلي في الحبس بتيمم منعت الماء فمر بقيودي تحل ومر بماء اتوضأ به اصلي ثم سلني فامر به فحلت قيوده وامر له بماء فتوضأ وصلى ثم قال لابن ابي دواد سله فقال الشيخ المسألة لي فمره ان يجيبني فقال سل فاقبل الشيخ على ابن ابي داود فقال له اخبرني عن هذا الامر الذي تدعوا الناس اليه اشئ دعا اليه النبي صلى الله عليه وسلم قال لا قال أفشئ دعا اليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه



فقال الشيخ تكلم فسكت فالتفت الشيخ الى الواثق فقال يا امير المؤمنين قل واحدة
فقال الواثق واحدة فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن الله عز وجل حين انزل
آخر القران على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا اكان الله صادقا في اكماله ام انت الصادق
في نقصانه فلا يكون كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه فيكون كاملا فسكت
ابن ابي دواد فقال الشيخ اجب يا احمد فلم يجبه فقال الشيخ يا امير المؤمنين قل اثنان
فقال اثنتان فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن مقالتك هذه اعلمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ام جهلها فقال ابن ابي دواد علمها فقال فدعا الناس اليها
فسكت ابن ابي دواد فقال الشيخ يا امير المؤمنين قل ثلاثة فقال الواثق ثلاثة
فقال الشيخ يا احمد فاتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما زعمت ولم يطالب
امته بها قال نعم فقال الشيخ واتسع لابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن
عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم فقال ابن ابي دواد نعم فاعرض الشيخ
عنه واقبل على الواثق فقال يا امير المؤمنين قد قدمت ان احمد يقل ويصغر و
يضعف عن المناظرة يا امير المؤمنين ان لم يتسع لك من الامساك عن هذه
المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر وعثمان وعلي
رضي الله عنهم فلا وسع الله على من يتسع له منا ما اتسع لهم من ذلك فقال الواثق
نعم ان لم يتسع لنا من الامساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فلا وسع الله علينا ثم قال
اقطعوا قيد الشيخ فلما قطع ضرب الشيخ بيده فاخذ القيد فوضعه في كمه فقال
الواثق لم فعلت هذا فقال الشيخ لاني نويت ان اقدم الى من اوصى اليه اذا مت
ان يجعله بيني وبين كفني حتى اخاصم به هذا الظالم عند الله عز وجل يوم
القيمة واقول يا رب سل عبدك هذا لم قيدني وروع اهلي وولدي و
اخواني بلا حق اوجب ذلك علي وبكى الشيخ فبكى الواثق وبكينا ثم ساله الواثق ان يجعله

في حل وسعة مما ناله منه فقال الشيخ يا امير المؤمنين لقد جعلتك في حل
وسعة من اول يوم اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انت رجل من
اهله فقال الواثق لي اليك حاجة فقال الشيخ ان كانت ممكنة فعلت فقال الواثق
تقيم عندنا تنتفع بك فتياننا فقال الشيخ يا امير المؤمنين ان ردك اياي الى
الموضع الذي اخرجني منه هذا الظالم انفع لك من مقامي عندك فقال ولم ذلك
فقال لاسير الى اهلي وولدي فاكف دعاءهم عنك فقد خلفتهم على ذلك فقال
الواثق افتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك فقال الشيخ يا امير المؤمنين انا غني
وذو ثروة قال فسل لنا حاجة قال وتقضيها قال نعم قال تخلي سبيلي الى السفر
الساعة وتاذن لي قال اذنت لك فسلم عليه الشيخ وخرج قال صالح فقال المهتدي
بالله فرجعت عن هذه المقالة من ذلك اليوم والله اعلم (فائدة) روى الدار
قطني وشيخه الحاكم وابن عدي عن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في
محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي من بني سليم قد اصطاد ضبا وجعله في كمه ليذهب
به الى رحله فراى جماعة محتفين بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال على من هؤلاء
قالوا على هذا الذي يزعم انه نبي فاتاه فقال يا احمد ما اشتملت الناس على ذي لهجة
اكذب منك ولولا ان تسميني العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس اجمعين
فقال عمر يا رسول الله دعني اقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما علمت
ان الحليم كاد ان يكون نبيا ثم اقبل الاعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب واخرج الضب من كمه
وطرحه بين يديه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ضب فتكلم الضب بلسان فصيح عربي صريح يفهمه القوم جميعا فقال
لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة
رحمته وفي النار عذابه قال فمن انا يا ضب قال انت رسول رب العالمين وخاتم

النبيين قد افلح من صدقك وخاب من كذبك فقال الاعرابى اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله حقا والله لقد اتيتك وما على وجه الارض احد ابغض منى اليك
والله لانت الساعة احب الى من نفسى ومن ولدى فقد آمن بك شعرى وبشرى و
داخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
الذى هداك الى هذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله تعالى
الا بصلاة ولا يقبل الصلوة الا بقراءة قال فعلمنى فعلمه النبى صلى الله عليه وسلم
الحمد لله وقل هو الله احد فقال يا رسول الله ما سمعت فى البسيط ولا فى الوجيز
احسن من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا كلام رب العالمين
وليس بشعر اذا قرأت قل هو الله احد ثلاثا او قال ثلاث مرات فكانما قرأت القرآن
كله فقال الاعرابى ان الهنا يقبل اليسير ويعطى الكثير انتهى باختصار من حياة الحيوان
الكبرى ووقف رجل على الواثق فقال يا امير المؤمنين صل رحمك وارحم اقاربك
وارحم رجلا من اهلك فقال الواثق من انت فانى لا اعرفك قبل اليوم قال ابن خليلك
آدم فقال يا غلام اعطه درهما فقال يا امير المؤمنين وما اصنع بالدرهم قال ان
لو قسمت المال بين اخوتك اولاد جدى اكان ينوبك منه حبة فقال لله درك
ما اذكى فهمك فامر له بعطاء وانصرف مكرما

خلافة المتوكل على الله

(حكى عنه) انه قال ذات يوم لابى العيناء ما اشد ما مر عليك فى ذهاب عينيك
فقال فقد رؤيتك يا امير المؤمنين فاستحسن منه هذا الجواب وامر له بجائزة
نفيسة (ومما حكاه ابو القاسم على بن محمد الذهبى) عن ابى عبد الله النحوى
قال لما حج محمد بن عبد الله بن طاهر راى فى الطواف جارية فى نهاية الحسن
فسأل عنها فقيل انها لرجل من الادباء قد رواها الاشعار والاخبار والنحو و
العروض وقد احسنت ضرب العود وطريق الغناء فاشتراها بمائة الف درهم
فلما قدم بها مدينة دار السلام شغف بها شغفا شديدا واخفى امرها وما

وما يجده منها تخوفا من امير المؤمنين المتوكل وكان من شدة وجده بها يعتبر عندها اياما لا يظهر للناس فيظنون انه زمن وامره معها مستور ففطن به سويد بن ابى العالية صاحب البريد وكان بينه وبين محمد منافرة فلم يجد سويد ما يكيده به الا ان كتب الى المتوكل وهو نازل على اربعة فراسخ من بغداد كتابا فنسخته (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد يا امير المؤمنين فان محمد بن عبد الله اشترى جارية بمائة الف درهم فهو يصطبح معها ويغتبق زمانه كله معها وقد اشتغل بها عن النظر فى امور المسلمين وعن التوقيع فى قصص المظلومين ولا يأمن امير المؤمنين ان تخرب عليه بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء فيتعب امير المؤمنين فى اصلاحها وقد انهى المملوك ذلك امير المؤمنين ايده الله وهو اعلى رأيا والسلام عليه ورحمة الله وبركاته) قال فلما قرأ المتوكل الكتاب رفع رأسه الى نرجس الخادم وقال له امض الساعة الى محمد بن عبد الله بن طاهر وادخل عليه داره بغتة من غير اذن وانظر الى ما يصنع ثم خذ منه جاريته فلانة وأت بها من غير تأخير فمضى نرجس من ساعته وكان محمد قد اصطبح معها فى ذلك اليوم فدخل عليهما نرجس من غير استئذان فلم يشعر محمد الا هو واقف عليه فتغير وجهه وانتفع لونه وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه ان نرجسا ما دخل عليه من غير اذن الا وقد اضمر له السوء فقال له يا نرجس ما الذى اقدمك قال امير المؤمنين امرنى انى آخذ جاريتك هذه قال يا نرجس هذا يوم قد حضر شره وغاب خيره وقد ترى ما نحن فيه وانا لا اخالف ما امر به امير المؤمنين ثم امر للخادم بكرسى فجلس عليه بعد ان امتنع ساعة وقال ان مثلى لا يجلس مع مثلك ثم ان محمدا انظر الى الجارية وبكى بكاء شديدا وقال لها غنى لا تزود منك فاخذت العود وغنت بصوت حزين تقول

لله من لمعذبين وما هما	بثمانة العذال والحساد
اما الرحيل فحين جد تحملت	مهج النفوس به من الاجساد

منهم

	لم يرد ر كيف تفتت الاكباد		من لم يبت والبين يصدع شمله	

ثم انهما اعلنا بالبكاء والنحيب والنشهيق فرحمهما الخادم ورق لهما حين عاين ما حل بهما فقال ايها الامير اني وايت ان امضي واودعكما على ما انتما عليه واتعلل عنكما لامير المؤمنين فعلت فقال يا نرجس من خلفه مثل ابي سويد كيف يمكنه التعلل ولكن ارفق بنا فقالت الجارية والله يا سيدي لا ملكني غيرك ابدا ولئن دفعتني اليه لاقتلن نفسي فقال لها محمد لو كان غير امير المؤمنين لكان لي في ذلك اوسع حيلة ولقد وددت ان ياخذ مني يا امير المؤمنين جميع ما املك ويعزلني عن عملي ويبقيك علي ولكن هذا قضاء الله وقدره ثم التفت الى نرجس وقال لقد شاهدت مني ومن هذه الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والالفة وليس يخفى عن علمك ان صنائع المعروف تقي مصارع السوء ومثلك من يصنع المعروف مع مثلي فخذها وامض بها الى امير المؤمنين وقل ما شئت مما يليق بمروتك ثم التفت اليها وقبلها وبكى وبكت وبكى نرجس ثم اخذها وخرج وهي تبكي وتخمش خدها ووجهها ثم حملها نرجس على بغلة امير المؤمنين وسار حتى دخل على المتوكل فلما رآه قال ما وراءك يا نرجس فقال وراي يا امير المؤمنين كل بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالهما ولم يخف منه شيئا فقال المتوكل وكل هذا الوجد يجد محمد من هذه الجارية فقال يا امير المؤمنين والذي خفي اكثر مما ظهر وما اظنه يعيش بعدها فرق عليه قلب المتوكل وقال يا نرجس ارجع بها اليه الساعة من وقتك هذا وادركه قبل ان تزهق روحه وقد امرت له بمائة الف درهم ولها مع ذلك مثله وجعلت امواني سويد اليه يصنع به ما يشاء ثم كتب له توقيعا بذلك ودفعه الى نرجس فرجع الخادم بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتى دخل عليه فوجده عريانا يتقلب على جمر سامان من شدة الكرب والوجد وقد احدقت به الجواري يروحنه بالمراوح فقال البشرى يا محمد ان امير المؤمنين قد رد جاريتك عليك من غير ان يوقع نظره عليها وقد حكمك في ابي سويد ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب

اليها وعانقها وقبلها ساعة ثم خرج فجلس على باب داره وبعث الى ابى سويد فلما حضر دفع اليه التوقيع فلما قراه قال اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وان تهدم مني ركنا انت شيدته وان تضيع صنيعة اصطنعتها الى مثلي فتلي من هفا ومثلك من عفا ثم قام وقبل البساط فقال له محمد لا ابدل نعمة الله كفرا ثم امر له بخمسين الف درهم فقالت الجارية وانا ايضا اهب له خمسين الف درهم مما وهبه لي امير المؤمنين شكرا لله تعالى على ذلك ثم اقره على ما كان عليه وامر ان يحمل المال بين يديه الى منزله ورجع محمد والجارية الى ما كانا عليه في اطيب عيش واحسن حال متظاهرا بذلك غير مستتر ولا خائف انتهى واتى المتوكل بمحمد بن النصيب ووزيره ابن الدبرواني وكان محمد هذا قد خرج على المتوكل واستوزر ابن الدبرواني فلما مثل بين يدي المتوكل قال له ما حملك على ما فعلت يا محمد قال الشقوة وحسن الظن بعفوك يا امير المؤمنين وانشد يقول

ابى الناس الا انك اليوم قاتلي	امام الهدى والعفو بالحر اجمل
تضاءل ذنبي عند عفوك قلة	فجد لي بعفو منك فالعفو افضل

فقال المتوكل خلوا سبيله ثم قدم ابن الدبرواني فقال اضربوا عنقه فقال سبحان الله يا امير المؤمنين تعفو عن الرأس وتقطع الذنب فضحك المتوكل وعفا عنه انتهى وكتب محمد بن عبد الملك بن الزيات وهو في السجن وقد اشتد به الحال رقعة الى المتوكل يستعطفه على نفسه من شدة ما قاسى من الاهوال والعذاب في السجن يقول فيها هذين البيتين

هي السبيل فمن يوم الى يوم	كفرحة النائم الفرحان باليوم
لا تعجلن رويدا انها دول	دنيا تنقل من قوم الى قوم

فلما قراها المتوكل رق له وبكى وامر باطلاقه فذهبوا الى السجن فوجدوه ميتا رحمه الله

خلافة امير المؤمنين المعتصم بالله احمد

كان يسمى السفاح الثانى لانه جدد ملك بنى العباس بعد ان اخلقته الاتراك واذلته وفى ذلك يقول على بن العباس الرومى

كما بابى العباس انشئ ملككم	كذا بابى العباس ايضا يجدد

ولقد اتفق فى ايامه على ما حكى امر فظيع كشفه الله له بهيبته فى نفوس الناس فانه كان لا يتجرأ احد منهم ان يكتم ما فى نفسه مخافة صولته لانه كان لشدة حذقه يخيل لهم انه يعلم ما فى نفس الانسان من الضمير فاتفق ان احد وزرائه واكبر قواده بنى بناء عاليا مشرفا على منازل جيرانه فلم يعارضه احد فيه من جيرانه لمكانته من سلطانه وعزه وكان يجلس كثيرا فى ذلك البناء فرأى يوما من الايام فى دار من دور جيرانه جارية بارعة الجمال فاولع بها فسأل عنها فاخبر انها بنت احد التجار فارسل الى والدها خاطبا فقال له ابوها وكان من اهل اليسار لست ازوجها الا من تاجر مثلى فانه ان تزوجها من هو مثلى لم يظلمها وان ظلمها قدرت على النصفة منه وانت ان ظلمتها لم اقدر لها على النصفة منك ولا على الحيلة لنصرتها فلم يزل يرومه فى ذلك بكل امر وتوسط اليه الاكابر والاماثل من الناس وهو مع ذلك يمتنع فلما يئس منه ان يجيبه شكى الى احد خواصه فقال له الف مثقال يقوم لك هذا فقال كيف ذلك والله لو علمت انى انفق عليها مائتى الف مثقال او اكثر وتأتينى بها لفعلت قال له عليك ان تحضر لى الف دينار فامر باحضارها فمشى بها ذلك الرجل الى عشرة رجال كانوا اعدولا عند القاضى فى شهادتهم وذكر لهم الامر وقال هذا امر ليس عليكم من الله فيه تبعة فانه يصدقها كذا وكذا الفا واعلى لهم المهر وانكم تحيون نفسا اشرفت على الهلاك ويكون لكم عنده مع هذا من الجاه ما ترغبون وابوها انما هو عاضل لها فى الزواج والا فما يمنعه من ذلك وقد خطبها مثل فلان فى جلالة قدره ومكانة امره وقد اعطاه صداقا لا يعطى الا لبنت ملك ثم هو مع هذا يابى هل هذا الاعضل بين ولكن لكم الف مثقال لكل واحد منكم مائة وتشهدون انه قد زوجها منه فانه اعلم ابوها بانكم قد شهدتم عليه رجع

الى هذا اذ ليس فيه الا الخير والخيرة فاخذ الشهود كل واحد مائة وشهدوا ان
اباها زوجها على صداق مبلغه كذا لو رفعوا في الصداق الى غاية ما ترفع اليه صدقات
الملوك فلما علم ابوها بذلك زاد نفارا واباء فمشى الوزير وذلك القائد الى القاضي
وقال انى تزوجت فلانة بنت فلان على هذا الصداق وهؤلاء شهدوا عليه ثم
قد ناكرني وانكر الشهود وقد اردت ان ادفع له حق ابنته واخذها فامر القاضي
باحضار الشهود فشهدوا عنده واحضر مال النقد بين يدي القاضي والرجل على
انكاره متماديا فامر القاضي بامضاء الحكم عليه وان توخذ ابنته منه احب او كره
وامر بحمل المال اليه فلما حصلت الجارية عند الوزير لم يزل ابوها يروم الوصول
الى المعتصم وكان المعتصم غليظ الحجاب لا يصل اليه احد من غير الخاصة فقيل للرجل
انه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان له بقصره فان استطعت ان تكون
مع جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما اردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله
ودخل في جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان في ذلك الوقت الذي كانت عادة
امير المؤمنين المعتصم يقف على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى الى الارض
وجعل يحثو التراب على راسه ويستغيث فساله عن شانه فقص عليه القصة فارسل
المعتصم في ذلك المقام خلف ذلك القائد واغلظ عليه في القول فحملته هيبته له
وقلة اقدامه على الكذب له ان وصف له الصورة على ما كانت عليه وهو يطمع ان
يعذره في ذلك اذ قد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها وامر
باحضار الشهود فصنعوا امثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له واجلالا ان
يخاطبوه بكذب مع تخيلهم انه يصفح لهم عن هذه الزلة اذ قد اراد واحياء نفس
ذلك الوزير وايضا قد دفع له بين يدي القاضي نقدا لا يكون الا في صدقات الملوك
وقد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها فكانه قد اخذها بحقها واكثر
من حقها فلما تحققت عنده جلية الخبر امر ان يصلب كل شاهد منهم على باب داره
وان يوضع ذلك الوزير في جلد ثور طرى السلخ ويضرب بالمرازب حتى يختلط عظمه

ولحمه

ولحمه ودمه ثم امر به لما اصنع به ذلك ان يفرغ بين يدي مومر كانت عنده فلما
لعقت تلك النمو رذلك الدم امر الرجل صاحب البنت ان ياخذ ابنته و ياخذ كل ما
ذكرها لها على ذلك الوزير فى صداقها من عقار وعبيد ومال ثم مات المعتصم وولى
ابنه المقتدر وكان صبيا صغير السن فعادت الاتراك الى ما كانت عليه من ذلك
والله تعالى اعلم (ويقرب من شيها منه هذا المثل) ما ذكره فى حياة الحيوان فى ترجمة
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب البلاد والمغرب من انه وقع بينه وبين
الاذفونش نصرانى طليطلة مكاتبات قال بعث الاذفونش الى الامير يعقوب
يتوعده ويتهدده ويطلب منه بعض حصون وكتب له رسالة من انشاء وزيره
ابن الفخار وهى (باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله
وكلمته الفصيح اما بعد فانه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب ولا ذى عقل لازب انك امير الملة الحنيفية كما انى امير
الملة النصرانية وقد علمت ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والكسل والتكاسل واهمال امر الرعية
واخلادهم الى الراحة والامنية وانا اسومهم بحكم القهر واخلاء الديار وسبى الذرارى
واشل بالرجال واذيقهم عذاب الهوان وشد يد النكال ولا عذر لك فى التخلف
عن نصرتهم اذا امكنتك القدرة وساعدك من عساكرك وجنودك كل ذى رأى
وانتم تزعمون ان الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا رحمة منه ونحن الآن نقاتل عشرة منكم واحد منا لا
تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا ولقد حكى عنك انك اخذت فى الاحتفال واشرفت
على ربوة القتال وتماطل نفسك سنة بعد اخرى تقدم رجلا وتؤخر اخرى فلا
ندرى أكان الجبن ابطأ بك ام التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لى انك لا تجد الى الجواز
سبيلا ولعله لا يسوغ لك التقحم فيه ميلا وها انا اقول لك ما فيه الراحة واعتذر
عنك ولك على ان نفى بالعهود والمواثيق والاستكثار من البرهان والاجتيات
بجملتى اليك واقاتلك فى اعز الاماكن عليك فان كانت النصرة لك كانت غنيمة كبيرة
جاءت اليك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك والله الموفق للشقاق لا رب غيره

ولا خير الا خبز قال فمزق يعقوب الكتاب وكتب على قطعة منه ارجع اليهم
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب
ماترى لاما تسمع واستشهد ببيت المتنبي

ولا كتب الا المشرفية عنده   ولا رسل الا الخميس العرمرم

ثم امر بكتب الاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب السرادقات
من يومه بظاهر البلد وصار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه الى الاندلس
ودخل الى بلاد الافرنج فكسرهم كسرة شنيعة وعاد بغنائمهم والله اعلم (ومن
غرائب المنقول وعجائبه) عن الامير بدر الدين ابي المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار
العرب انه قال حكى لي الامير محمد شجاع الدين الشيرازي متولي القاهرة في
ايام الكامل سنة ثلاثين وستمائة قال بتنا عند رجل بالصعيد فاكرمنا
وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له اولاد بيض الوجوه حسان الاشكال
فقلنا له هؤلاء اولادك قال نعم ثم قال كانكم انكرتم على بياضهم وسوادي قلنا
نعم فقال هؤلاء كانت امهم افرنجية اخذتها ايام الملك الناصر صلاح الدين
وانا شاب فقلنا وكيف اخذتها قال حديثي معها عجيب وامري غريب فقلنا اتحفنا
به فقال زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته فصرفت عليه خمسمائة دينار
ثم لم يبلغ الثمن اكثر من ذلك فحملته للقاهرة فلم يصل اكثر من ذلك فاشير علي
بحمله الى الشام فحملته فلم يزد على تلك القيمة شيئا فوصلت به الى عكا فبعت بعضه
لاجل والبعض تركته واكتريت حانوتا لابيع على مهل الى ان تنقضي المدة
فبينما انا ابيع اذ مرت بي امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون في الاسواق بلا
نقاب فاتت تشتري مني كتانا فرايت من جمالها ما ابهرني فبعتها وسامحتها ثم
انصرفت واتت لي بعد ايام فبعتها وسامحتها اكثر من المرة الاولى فتكررت الي
وعلمت اني احبها فقلت للعجوز التي كانت معها اني قد تلفت بحبها واريد منك
الحيلة فقالت لها العجوز ذلك فقالت تروح ارواحنا الثلاثة انا وانت وهو فاعادت



علیّ الجواب فقلت لها اما انا فقد سمحت بروحی فی حبها واتفق الحال علی ان ادفع لها خمسين دينارا فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك قال فمضيت ما جهزت ما قدرت عليه من ماكول ومشروب وشمع وحلوی فجاءت الافرنجية فاكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت فی نفسی اما تستحی الله وانت غريب تعصی الله مع نصرانية اللهم انی اشهدك انی قد عففت عنها فی هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت الی الصبح فقامت من السحر وهی غضبانة و مضت ومضيت الی حانوتی فجلست فيه فاذا هی قد عبرت علی والعجوز وهی مغضبة وكانها القمر فهلكت وقلت فی نفسی ومن هو انت حتی تترك هذه البارعة فی حسنها ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعی فقالت وحق المسيح ما ارجع لك الا بمائة دينار فقلت نعم لحيم الله فمضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندی لحقتنی الفكرة الاولی وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالی ثم مضت و مضيت الی موضعی ثم عبرت علی بعد ذلك وقالت وحق المسيح ما عدت تفرح بی عندك الا بخمسمائة دينار او تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت علی ان اصرف ثمن الكتان جميعه فبينما انا كذلك والمنادی ينادی معاشر المسلمين ان الهدنة التی كانت بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين الی جمعة فانقطعت عنی واخذت فی تحصيل ثمن الكتان الذی لی والمصالحة علی ما بقی منه واخذت معی بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفی قلبی من الافرنجية ما فيه فوصلت الی دمشق وبعت البضاعة باوفی ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله علی بكسب وافر واخذت اتجر فی الجواری لعل يذهب ما بقلبی من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجری للملك الناصر ما جری من وقعة حطين واخذ جميع الملوك وفتح بلاد الساحل باذن الله تعالی فطلب منی جارية للملك الناصر فاحضرت له جارية حسناء فاشتراها منی بمائة دينار فاوصلوا الی تسعين دينارا وبقيت العشرة دنانير عنده فلم يجد وها فی خزانة الملك فی ذلك اليوم لانه انفق جميع الاموال

فلما حضرت الغنيمة جاؤ الملك فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخيمة التي فيها
السبي من نساء الافرنج فخيروه في واحدة منهن ياخذها بالعشرة دنانير التي
بقيت له فاتيت الخيمة فعرفت عزيمتي فقلت اعطوني هذه الجارية فاخذتها
ومضيت الى خيمتي وخلوت بها وقلت لها اتعرفيني قالت لا فقلت لها انا صاحبك
التاجر الذي جرى لي معك ما جرى واخذتي مني الذهب وقلت ما عدت
تراني عندك الا بخمسمائة دينار وقد اخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك
انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت
والله لا وصلت اليها الا بامر القاضي فتوجهت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى
فتعجب وعقد لي عليها وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم رحل العسكر و
اتينا دمشق فبعد مدة يسيرة ارسل الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق
وقع بين الملوك فردوا من كان اسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التي عندي
فطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني فاحضرتها بين يدي الملك الناصر والرسول
فقلت هذه اسلمت وصارت امرأتي فقال الملك الناصر بحضرة الرسول
اترجعين الى بلادك او الى زوجك فقد فككنا اسرك واسر غيرك فقالت يا
مولانا السلطان انا قد اسلمت وحملت وها بطني كما ترونه وليس لي رغبة في
الرجوع الى بلادي ولا رغبتي الا في الاسلام وزوجي فقال لها الرسول ايما احب
اليك هذا المسلم او زوجك الافرنجي فاعادت عبارتها الاولى فقال الرسول
لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول خذ زوجتك وتوجه
فولت بها فطلبني ثانيا وقال ان امها ارسلت معي كسوة وقالت ان ابنتي اسيرة
واشتهي ان توصل اليها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى الدار ففتحت
القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها امها ووجدت من داخله الصرتين
الذهب الخمسين دينار والمائة دينار كما هي بربطتي فلم يتغيرا وهؤلاء الاولاد
منها وهي التي صنعت لكم هذا الطعام والله اعلم (ويحكى ان بعض الملوك

ارسل رجلا من بطانته الى بعض الجهات ليعرف خبر عاملها ويطالعه باخبار الرعية فلما وصل الرجل فطن له العامل فارسل اليه بمال وتحف ثم قال عرفت ما جئت له وانا ارغب اليك في كتاب تكتبه الى الملك تذكر فيه انى حسن السيرة وسالك طريق العدل فان انت فعلت ذلك فلك منى ما تشتهى رغبتك اليه من الخير والعطاء وان ابيت ذلك امرت الشرطيين ان ينهوا الى من امرك فى الملاء ما يوجب قتلك اما حدا واما سياسة فاقتلك بمحضر من قاضى البلد ووجوه الناس فتذهب كامس الماضى فلما لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن ليعوق مرسله كتب بحضرته كتابا الى الملك اما بعد اعز الله الملك واكرمه فانى قدمت الى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل فلانا آخذا بالحزم عاملا بالعزم قد ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى اقضيته وارضى بعضهم عن بعض وجعل طاعته عليهم فرضا وانزلهم منزلة الاولاد واذهب ما بينهم من الاحقاد واراحهم من السعى فى الدنيا وفرغهم للعمل فى الاخرى اغنى القاصد وارضى الوارد فجميع اهل عمله داعون للملك يودون النظر الى وجهه الكريم والسلام) فلما وصل الكتاب منه الى الملك فكر فيه وقال لوزيره ان فلانا لم يكن عندى بمتهم فان كتابه هذا يدل على ظلم العامل فالتمس لى رجلا يصلح لعمله فانى قد عزلته فقال الوزير اصلح الله الملك وكيف ذلك قال لان قوله آخذا بالحزم عاملا بالعزم اى انه خائف منى لما اعتمده فى الولاية واما قوله ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى قضيته فمعناه انه لم يخص احدا بظلمه بل الجميع سواء وقوله وارضى بعضهم عن بعض اى ذهبت احقادهم لان الشدائد تذهب الاحقاد وقوله انزلهم منزلة الاولاد معناه اخذ اموالهم ويرى انها له اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله واراحهم من السعى فى الدنيا معناه انه اخذ اموالهم ولم يترك لهم ما يسعون به ولا ما به يتجرون وقوله فرغهم للعمل فى الاخرى معناه انهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم وقوله اغنى الوارد وارضى القاصد فانه يعنى نفسه اى انه اعطاه مالا ليكتب الى بذلك واما قوله

جميع اهل عمله داعون لنا معناه ان يبصرنا الله بامرهم ونطلع على ما هم فيه وقوله يودون النظر لوجهنا اى يشكون الينا ما القوه منه ويستغيثون بنا ثم ان الملك طلب العامل واحضره الى بابه وانصف الناس منه ورد عليهم ما كان العامل ظلمهم فيه واقتص منه فيما وجب عليه فيه القصاص وقابله على افعاله والله اعلم

وهذه قصيدة الزينبية

صرمت حبالك بعد وصلك زينب ... والدهر فيه تصرم وتقلب
نشرت ذوائبها التى تزهو بها ... سودا ورأسك كالثغامة اشيب
واستنفرت لما رأتك وطالما ... كانت تحن الى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فانه ... آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه ... وازهد فعمرك مر منه الاطيب
ذهب الشباب فما له من عودة ... وأتى المشيب فاين منه المهرب
دع عنك ما قد كان فى زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واذكر مناقشة الحساب فانه ... لا بد يحصى ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل اثبتاه وانت لاه تلعب
والروح فيك وديعة اودعتها ... ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التى تسعى لها ... دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما ... انفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ما خلفته وجمعته ... حقا يقينا بعد موتك ينهب
تبا لدار لا يدوم نعيمها ... ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصيحة اولاكها ... بر نصوح للانام مجرب
صحب الزمان واهله مستبصرا ... ورأى الامور بما تؤوب وتعقب
لا تامن الدهر الخؤن فانه ... ما زال قدما للرجال يؤدب
وعواقب الايام فى غصاتها ... مضض يذل لها الاعز الانجب

فعليك بتقوى الله فالزمها تفز ... ان التقي هو البهي الاهيب

واعمل بطاعته تنال منه الرضا ... ان المطيع له لديه مقرب

فاقنع ففي بعض القناعة راحة ... واليأس عما فات فهو المطلب

فاذا طمعت كسيت ثوب مذلة ... فلقد كسي ثوب المذلة اشعب

وتوق من غدر النساء خيانة ... فجميعهن مكايد لك تنصب

لا تأمن الانثى حياتك انها ... كالافعوان يراع منه الانيب

لا تأمن الانثى زمانك كله ... يوما ولو حلفت يمينا تكذب

تغري بلين حديثها وكلامها ... واذا سطت فهي الصقيل الاشطب

وابدأ عدوك بالتحية ولتكن ... منه زمانك خائفا تترقب

واحذره ان لاقيته متبسما ... فالليث يبدو نابه اذ يغضب

ان العدو وان تقادم عهده ... فالحقد باق في الصدور مغيب

واذا الصديق رأيته متملقا ... فهو العدو وحقه يتجنب

لا خير في ود امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب

يلقاك يحلف انه بك واثق ... واذا توارى عنك فهو العقرب

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب

وصل الكرام وان جفوك بهفوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز اصوب

واختر قرينك واصطفيه تفاخرا ... ان القرين الى المقارن ينسب

ان الغني من الرجال مكرم ... وتراه يرجى ما لديه ويرغب

ويبش بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرب

والفقر شين للرجال فانه ... حقا يهون به الشريف الانسب

واخفض جناحك للاقارب كلهم ... بتذلل واسمح لهم ان اذنبوا

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا ... ان الكذوب يشين حرا يصحب

وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل ناد تخطب

واحفظ لسانك واحترز من لفظه   فالمرء يسلم باللسان ويعطب

والسر فاكتمه ولا تنطق به   ان الزجاجة كسرها لا يشعب

وكذاك سر المرء ان لم يطوه   نشرته السنة تزيد وتكذب

لا تحرصن فالحرص ليس بزائد   فى الرزق بل يشقى الحريص ويتعب

ويظل ملهوفا يروم تحيلا   والرزق ليس بحيلة يستجلب

كم عاجز فى الناس ياتى رزقه   رغدا ويحرم كيس ويخيب

وادع الامانة والخيانة فاجتنب   واعدل ولا تظلم يطيب المكسب

واذا اصابك نكبة فاصبر لها   من ذا رايت مسلما لا ينكب

واذا رميت من الزمان بريبة   اونالك الامر الاشق الاصعب

فاضرع لربك انه ادنى لمن   يدعوه من حبل الوريد واقرب

كن ما استطعت عن الانام بمعزل   ان الكثير من الورى لا يصحب

واحذر مصاحبة اللئيم فانه   يعدى كما يعدى السليم الاجرب

واحذر من المظلوم سهما صائبا   واعلم بان دعاءه لا يحجب

واذا رايت الرزق عز ببلدة   وخشيت فيها ان يضيق المذهب

فارحل فارض الله واسعة الفضا   طولا وعرضا شرقها والمغرب

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتى   فالنصح اغلى ما يباع ويوهب

انتهى من حياة الحيوان وما احسن قول صالح بن عبد القدوس

المرء يجمع والزمان يفرق   ويظل يرقع والخطوب تمزق

ولان يعادى عاقلا خير له   من ان يكون له صديق احمق

فارغب بنفسك ان تصادق احمقا   ان الصديق على الصديق مصدق

وزن الكلام اذا نطقت فانما   يبدى عقول ذوى العقول المنطق

ومن الرجال اذا استوت احلامهم   من يستشار اذا استشير فيطرق

حتى يجيل بكل واد قلبه   فيرى ويعرف ما يقول وينطق

لا الفينك ثاويا فى غربة ... ان الغريب بكل سهم يرشق
ما الناس الا عاملان فعامل ... قد مات من عطش وآخر يغرق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم ... الفيت اكثر ما ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم ... هذا عليه موسع ومضيق
واذا الجنازة والعروس تلاقيا ... ورايت دمع نوائح يترقرق
سكت الذى تبع العروس مبهتا ... ورايت من تبع الجنازة ينطق
واذا امرؤ لسعته افعى مرة ... تركته حين يجر حبل يفرق
بقى الذين اذا يقولوا يكذبوا ... ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا

(وذكر ابن الجوزى فى الاذكياء وغيره) ان عمران بن حطان كان احد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنهما الله تعالى على قتل الامام (على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه)

يا ضربة من تقى ما اراد بها ... الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فاحسبه ... اوفى البرية عند الله ميزانا
اكرم بقوم بطون الارض اقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضى ابا الطيب الطبرى رحمه الله هذه الابيات فقال مجيبا له

انى لابرأ مما انت قائله ... عن ابن ملجم الملعون بهتانا
انى لاذكره يوما فالعنه ... دينا والعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلا ... لعائن الله اسرارا واعلانا
فانتم من كلاب النار جاء لنا ... نص الشريعة برهانا وتبيانا

اشار ابو الطيب رحمه الله تعالى الى قوله صلى الله عليه وسلم الخوارج كلاب النار انتهى من حياة الحيوان ومنه ما روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه قال جاؤا برجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فشهدوا عليه انه سرق جملا لهم فامر به النبى صلى الله عليه وسلم ان يقطع فولى الرجل وهو يقول اللهم صل على محمد

حتى لا يبقى من صلاتك شيء وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء فتكلم الجمل وقال يا محمد انه بريء من سرقتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يأتيني بالرجل فابتدره سبعون من اهل بدر فجاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا هذا ما قلت آنفا فاخبره بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك نظرت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لتردن على الصراط ووجهك اضوء من القمر ليلة البدر انتهى

(وهذه القصيدة يقال انها لامير المؤمنين الراضي بالله)

زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران

وكل وجدان حظ لا ثبات له ... فان معناه في التحقيق فقدان

يا عامرا لخراب العمر مجتهدا ... بالله هل لخراب الدهر عمران

ويا حريصا على الاموال يجمعها ... انسيت ان سرور المال احزان

دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر والوصل هجران

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الانسان احسان

وكن على الدهر معوانا لذي امل ... يرجو نداك فان الحر معوان

من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... اليه والمال للانسان فتان

من كان للخير مناعا فليس له ... عند الخليقة اخدان واخوان

لا تخدشن بمطل وجه عارفة ... فالبر يخدشه مطل وليان

حسب الفتى عقله خلا يعاشره ... اذا تحاماه اخوان وخلان

لا تستشر غير شخص حازم فطن ... قد استوت منه اسرار واعلان

فللتدابير فرسان اذا ركضوا ... فيها ابروا كما للحرب فرسان

ورافق الرفق في كل الامور فلم ... يندم رفيق ولم يذممه انسان

ولا تكن عجلا للامر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران

هما رضيعا لبان حكمة وتقى ... وساكنا وطن مال وطغيان

من مدّ طرفا بفرط الجهل نحو هوى ... اغضى عن الحق يوما وهو خزيان

من استشار صروف الدهر قام له ... على حقيقة طبع الدهر برهان

من عاشر الناس لاقى منهم نصبا ... لان طبعهم بغي وعدوان

ومن يفتش عن الاخوان مجتهدا ... فجل اخوان الدهر خوان

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ... ندامة ولحصد الزرع ابان

من استنام الى الاشرار نام وفي ... قميصه منهم صل وثعبان

من سالم الناس يسلم من غوائلهم ... وعاش وهو قرير العين جذلان

وان اساء مسيئ فليكن لك في ... عروض زلته صفح وغفران

اذا نبا بكريم موطن فله ... وراءه في بسيط الارض اوطان

لا تحسبن سرورا دائما ابدا ... من سره زمن ساءته ازمان

يا ظالما فرحا بالعز ساعده ... ان كنت في سنة فالدهر يقظان

يا ايها العالم المرضي سيرته ... ابشر فانت بغير الماء ريان

دع التكاسل في الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان

صن حر وجهك لا تهتك غلالته ... فكل حر لحر الوجه صوان

لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم ... غرائز ليس يحصيهن انسان

من استعان بغير الله في طلب ... فان ناصره عجز وخذلان

واشدد يديك بحبل الله معتصما ... فانه الركن ان خانتك اركان

لا ظل للمرء يغني عن تقى ورضى ... وان اظلته اوراق وافنان

يا رافلا في ثياب المال منتشيا ... من كاسه فاقد للرشد نشوان

لا تغترر بشباب ناعم خضل ... فكم تقدم قبل الشيب شبان

ويا اخا الشيب لو ناصحت نفسك لم ... يكن لمثلك في الاسراف امعان

هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها ... ما بال شيبك يستهويه شيطان

كل الذنوب فان الله يغفرها ... ان شيع المرء اخلاص وايمان

وكل كسر فان الله يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران

خذها سرائر امثال مهذبة ... فيها لمن يبتغي التبيان تبيان

ما ضر حسانها والطبع صائغها ... ان لم يصنعها قريع الشعر حسان

وذيل عليها بعضهم فقال

وكن لسنة خير الخلق متبعا ... فانها لنجاة العبد عنوان

فهو الذي شملت للخلق انعمه ... وعمهم منه في الدارين احسان

ومذ أتى ابصرت عمي القلوب به ... سبل الهدى ووعت للحق آذان

جبينه قمر قد زانه خفر ... وثغره درر غر ومرجان

فالبدر يخجل من انوار بهجته ... والشمس من حسنه الوضاح تزدان

به توسلنا في محو زلتنا ... لربنا انه ذو الجود منان

يا رب صل عليه ما همى مطر ... فاينعت منه اوراق واغصان

وابعث اليه سلاما زاكيا عطرا ... والآل والصحب لا تفنيه ازمان

وعن حماد الراوية قال كنت مجبا للوليد بن عبد الملك فلما ولي اخوه يزيد الخلافة هربت الى الكوفة فبينما انا في المسجد الاعظم اذا اتاني رسول محمد بن يوسف الثقفي وقال اجب الامير فدخلت عليه فقال ورد كتاب امير المؤمنين علي بحملك اليه وبالباب نجيبان فاركب احدهما ودفع اليه كيسا فيه الف دينار وقال هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق في اليوم الثامن واستأذن لي الرسول فدخلت عليه فاذا هو جالس في دار مبلطة بالرخام الاحمر وفيها سرادق خز احمر في وسطه قبة حمراء من خز فرشها وكل ما فيها احمر وعلى رأسه جاريتان عليهما ثياب حمر بيد واحدة منهما ابريق وفي احدى يدي الاخرى نبيذ احمر وفي اليد الاخرى نبيذ ابيض فلما واجهته سلمت عليه بالخلافة فرد علي السلام وقال ادن يا حماد اتدري فيم بعثت اليك قلت لا يا امير المؤمنين قال في بيت شعر ذهب عني ولم اقل من اي عروض وقافية قال لا ادري الا انه بيت فيه ابريق فقلت في نفسي ان لم

تغن الرواية يوما فالآن ففكرت ساعة ثم قلت نعم يا امير المؤمنين لعله قول
التبع اليماني أو عدي بن زيد العبادي

بكر العاذلون في وضح الصبح	يقولون لي اما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق	
لست ادري اذ اكثر العذل فيها	اعدو يلومني ام صديق
ودعوا بالصبوح يوما فجاءت	قينة في يمينها ابريق

فصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينه وشرب وقال يا جارية اسقيه فسقتني
كاسا اذهبت ثلث عقلي ثم استعاد الشعر وشرب وقال اسقيه فسقتني فقلت
يا امير المؤمنين ذهب ثلثا عقلي فقال سل حاجتك قبل ان يذهب الثلث
الاخير فقلت احدى هاتين الجاريتين فقال هما لك بما لهما وما عليهما ومائة
الف تحسن بها سيرك ثم ناولتني الجارية كاسا فشربتها وانصرفت ونهضت
وقد ذهب عقلي فعدل بي الى دار الضيافة فانتبهت آخر الليل واذا بشمع يوقد
والجاريتان يرصان الامتعة والبغال تحمل مالهما من اثاث وغيره واصبحت قبضت
المال وانصرفت وانا ايسر اهل الكوفة انتهى ولما وقف الشيخ تقي الدين بن حجة
رحمه الله على هذه الحكاية قال انظر ايها المتأدب الى نفاق عظيم الادب في ذلك الارب
وبشهادة انشاد البيت الذي طلب حماد الراوية بسببه من العراق الى دمشق واجيز عليه
بالجاريتين والمائة الف انا نفت نفسي ان انظم في سلك قصيدة من قصائدي

وهو هذا البيت

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت	قينة في يمينها ابريق

وكنت اريد ان اكون في ذلك العصر ويسمع يزيد بن عبد الملك من نظمي

في هذا الباب قولي

في ليلة رقم البدر المنير لها	طارا له بعصا الجوزاء نقرات
وبان لي من لماها حين تبسم لي	فوق اللثا درّ وعبقات

والراح دبت على فهمى فصورها	لكن لها ضاع فى الكاسات نفحات
كانت علامات تحقيقى فقافيى	هى المنازل لى فيها علامات
مذ انشأتنا سجعنا فى محاسنها	مغردين وللانشاء سجعات
هذا وافواه كاساتى قد ابتسمت	لما حبتها ثغور لؤلؤيات
ومن يقل حركات الدهر ما سكنت	فللحباب على التسكين جزمات

والطف من ذلك ما حكاه محمد بن يزيد المبرد قال كان ابو عثمان المازنى قد جاء اليه يهودى وسأله ان يقرئه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع ابو عثمان من ذلك فقلت له سبحان الله ترد مائة دينار مع فاقتك وحاجتك الى درهم واحد فقال نعم يا ابا العباس اعلم ان كتاب سيبويه يشتمل على ثلثمائة آية من كتاب الله ولا ارى ان امكن منها كافرا فسكت ولم يتكلم قال المبرد فما مضت الا ايام حتى جلس الواثق يوما للشرب وحضر ندماؤه فغنت جارية

فى المجلس هذا الشعر

اظلوم ان مصابكم رجلا	اهدى السلام تحية ظلم

فنصبت رجلا فلحنها بعض الحاضرين من الندماء وقال الصواب الرفع لانه خبر ان فقالت الجارية ما حفظته من معلمى الا هكذا ثم وقع النزاع بين الجماعة من القائل الصواب معه ومن القائل الصواب معها فقال الواثق من بالعراق من اهل العربية ممن يرجع اليه فقالوا بالبصرة ابو عثمان المازنى وهو اليوم واحد عصره فى هذا العلم فقال الواثق اكتبوا الى والينا بالبصرة يسيره الينا معظما مبجلا فما كان الا ايام حتى وصل الكتاب الى البصرة فامر الوالى ابا عثمان بالتوجه وسيره على بغال البريد فلما وصل دخل على الواثق فرفع مجلسه وزاد فى اكرامه وعرض عليه البيت فقال الصواب مع الجارية ولا يجوز فى رجل غير النصب لان مصاب مصدر بمعنى الاصابة ورجل منصوب به والمعنى ان اصابتكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم فظلم خبر ان ولا يتم الكلام الا به ففهم

الواثق كلام ابی عثمان وعلم ان الحق ما قاله واعجب به وانقطع الرجل الذی انكر على الجارية ثم امر الواثق لابی عثمان المازنی بالف دینار واتحفه بتحف وهدايا كثيرة لاهله ووهبت له الجارية جملة اخرى ثم سيره الى بلده مكرما فلما وصل جاء المبرد فقال له ابو عثمان كيف رايت يا ابا العباس تركت لله مائة فعوضنی الفا فقال المبرد من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه انتهى وعن انس رضی الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله الاسم الاعظم فجاءنی جبرئيل به مختوما وهو اللهم انی اسالك بالاسم المخزون المكنون الطهر الطاهر المطهر المقدس المبارك الحی القيوم قالت عائشة بابی وامی علمنيه فقال يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء اه فائدة كان ابو محمد عبد الله بن يحيى الصنيعی من اصحاب الشافعی وكان اماما صالحا عالما من اهل اليمن من اقران صاحب البيان من تصنيفه احترازات المهذب والتعريف فی الفقه روی ان ناسا ضربوه بالسيوف فلم تقطع سيوفهم فيه فسئل عن ذلك فقال كنت اقرأ ولا يئوده حفظهما وهو العلی العظيم فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وحفظناها من كل شيطان رجيم وحفظا من كل شيطان مارد وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ان كل نفس لما عليها حافظ ان بطش ربك لشديد الى آخر السورة وينبغی ان يزاد فيها ان ربی على كل شیء حفيظ ثم قال كنت خرجت يوما مع جماعة فرايت ذئبا يلاعب شاة عجفاء ولا يضرها بشیء فلما دنونا منه نفر منها الذئب فوجدنا فی عنق الشاة كتابا مربوطا فيه هذه الآيات المتقدمة انتهى فائدة قال معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى وتجوز فی صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا مصافكم كما انتم ثم انفتل الينا فقال اما انی ساحدثكم ما حبسنی عنكم الغداة انی قمت من الليل فتوضأت وصليت

ماقدر لی فنعست فی صلاتی حتی استثقلت فاذا انا بربی تعالی فی احسن صورة فقال یا محمد فقلت لبیک یا رب قال فیم یختصم الملاء الاعلی قلت رب لا ادری قال تعالی فی الکفارات والدرجات وفی روایة قلت فی الکفارات والدرجات قال فما هن قلت مشی الاقدام الی الجماعات والجلوس فی المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء علی المکروهات قال فیم قلت اطعام الطعام ولین الکلام والصلوة باللیل والناس نیام قال سل قلت اللهم انی اسألک فعل الخیرات وترک المنکرات وحب المساکین ان تغفر لی وترحمنی واذا اردت بعبادک فتنة فاقبضنی الیک غیر مفتون اسألک حبک وحب من یحبک وحب کل عمل یقربنی الی حبک فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم انها حق فادرسوها ثم تعلموها قال ابو عیسی هذا حدیث حسن صحیح انتهی من حیاة الحیوان فی حرف النون وقال ذکر لرسول الله صلی الله علیه وسلم الشرک فقال هو اخفی فیکم من دبیب النمل وسأدلک علی شیٔ اذا فعلته اذهب الله عنک صغار الشرک وکباره تقول اللهم انی اعوذ بک ان اشرک بک شیئا وانا اعلم واستغفرک لما لا اعلم انک انت علام الغیوب تقولها ثلاث مرات انتهی فائدة اذا علقت عین الهدهد علی صاحب النسیان ذکر ما نسیه ودمه اذا قطر فی البیاض العارض فی العین اذهبه وروی احمد والبزار ورجال احمد ثقات من حدیث ابی هریرة ان رسول الله صلی الله علیه وسلم رأی رجلا یشرب قائما فقال له ایسرک ان یشرب معک الهر قال لا قال فقد شرب معک الشیطان وفی تاریخ ابن النجار فی ترجمة محمد بن عمر الحنبلی عن انس بن مالک قال کنت جالسا عند عائشة رضی الله عنها ابشرها بالبراءة فقالت والله لقد هجرنی القریب و البعید حتی هجرتنی الهرة وما عرض علی طعام ولا شراب فکنت ارقد وانا جائعة فرایت فی منامی فتی فقال مالک حزینة فقلت مما ذکر الناس فقال ادعی بهذه یفرج الله عنک فقلت وما هی قال قولی دعاء الفرج یا سابغ النعم ویا دافع النقم ویا فارج الغم ویا کاشف الظلم ویا اعدل من حکم ویا حسیب من ظلم ویا ولی من

ظلم ويا اول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية ويا من له اسم بلا كنية اجعل لي من امري فرجا ومخرجا قالت فانتبهت وانا بلنة شبعانة وقد انزل الله براءتي وجاءني الفرج انتهى من حياة الحيوان وهذا الدعاء روى الطبراني باسناد صحيح قطعة منه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر باعرابي وهو يدعو في صلاته يقول يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد ما اظلم عليه الليل واشرق عليه النهار ولا تواري منه سماء سماء ولا ارض ارضا ولا بحر الا ويعلم ما في قعره ولا جبل الا يعلم ما في وعره اجعل اللهم خير عمري آخره وخير عملي خواتيمه وخير ايامي يوم لقائك فوكل النبي صلى الله عليه وسلم بالاعرابي رجلا فقال اذا صلى فاتني به فلما صلى اتاه به وقد كان اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن فلما اتى الاعرابي وهب له الذهب وقال ممن انت ايها الاعرابي قال من بني عامر بن صعصعة فقال صلى الله عليه وسلم هل تدري لم وهبت لك هذا الذهب قال للرحم التي بيننا وبينك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ان للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل انتهى من حرف الطاء وفي كتاب ثمار القلوب للثعالبي في الباب الثالث عشر منه ان الملك بهرام جور لم يكن في العجم ارمى منه ومن غريب ما اتفق له انه خرج يوما يتصيد على جمل وقد اردف جارية يعشقها فعرضت له ظباء فقال للجارية في اي موضع تريدين ان اضع هذا السهم من هذه الظباء قالت اريد ان تشبه ذكرانها باناثها واناثها بذكرانها فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين اثبتهما في موضع القرنين ثم سألته ان يجمع ظلف الظبي واذنه بنشابة واحدة فرمى اذن الظبي ببندقة فلما اهوى بيده الى اذنه ليحك رماه بنشابة فوصل اذنه بظلفه ثم اهوى الى الجارية مع هواه بها فرمى بها الى الارض واوطأها الجمل بسبب ما اشترطت عليه

بركعهما عندهم حين يريد السفر رواه الطبرانی وقال فی تتمة اخری قال الشیخ قطب الدین
القسطلانی مما حفظت من والدتی ام محمد آمنة وكانت وفاتها فی صفر سنة ست
وخمسين وستمائة اللهم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك من اعدائی احتجبت و
بسطوة الجبروت ممن يكيدنی استترت وبطول حول حجب عرشك من اعدائی
احتجبت وبشديد قوتك من كل سلطان تحصنت وبديموم قيوم دوام ابديتك
من كل شيطان استعذت وبمكنون السر من سر سرك من كل هم وغم تخلصت
يا حامل العرش عن حملة العرش يا شديد البطش يا حابس الطير والوحش احبس عنی
من ظلمنی واغلب من غلبنی كتب الله لاغلبن انا ورسلی ان الله قوی عزيز انتهى
وقال الشيخ قطب الدين ومما حفظته من دعاء والدتی من الادعية التی تنفع فی
الحجب عن الاعداء اللهم بسر الذات وبذات السر هو انت انت هو لا اله الا انت احتجبت
بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم لله من عدوی وعدو الله بالف الف لا حول
ولا قوة الا بالله ختمت علی نفسی ودينی واهلی ومالی وولدی وجميع ما اعطانی ربی
بخاتم الله القدوس المنيع الذی ختم به اقطار السموات والارض حسبنا الله ونعم
الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل وقال الكسائی دخلت
علی الوليد ذات يوم وهو فی ايوانه وبين يديه مال كثير قد امر بتفرقته علی خدمه
الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتامله وكان كثيرا ما يجد شیٔ فقال هل
علمت اول من سن هذه الكتابة فی الذهب والفضة قلت هو يا سيدی عبد
الملك بن مروان قال فما كان السبب فی ذلك قلت لا اعلم غير انه اول من احدث
هذه الكتابة قال ساخبرك كانت القراطيس للروم وكان اكثر من بمصر نصرانيا
علی دين ملك الروم وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها ابا وابنا وروحا
وبيتنا فلم يزل كذلك صدر الاسلام كله ونظر فيه واذا فيه الزجر عن الزنا وما
اعد الله تعالی لفاعله من العذاب الاليم فاقشعر جلده ونوی التوبة وصاح
بالمرأة واعطاها الكتاب ومر ذاهبا وكان زوج المرأة غائبا فلما حضر اخبرته الخبر

فتحير في نفسه وخاف ان يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فاعلمت المرأة اقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما مثل بين يدى الملك قال اقارب المرأة اعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد استاجر منا ارضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنؤجرها لمن هو يزرعها وقد حصل الضرر للارض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع ارضك فقال اعز الله مولانا الملك انه قد بلغني ان الاسد قد دخل ارضى وقد هبته ولم اقدر على الدنو منها لعلمى انه لا طاقة لى بالاسد ففهم الملك القصة فقال له يا هذا ان ارضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لن يعود اليها ثم امر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفه انتهى من حرف الالف (فائدة) الفرزدق اسمه همام بن غالب والفرزدق لقب غلب عليه والفرزدق قطع العجين الواحدة فرزدقة ولقب به لغلظه وقصره انتهى (فائدة عظيمة) قال الاطباء اذا اردت ان تعرف ان المرأة عقيم ام لا فمرها ان تتحمل ثومة فى قطنة وتمكث سبع ساعات فان فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالادوية فانها تحمل باذن الله تعالى والا فلا وهى مجربة والله اعلم (فائدة) قال شيخ الاسلام محيى الدين النووى فى اذكاره فى باب اذكار المسافر عند ارادة الخروج من بيته يستحب له عند ارادة الخروج ان يصلى ركعتين لحديث المطعم بن المقداد الصحابى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خلف احد عند اهله افضل من ركعتين يمضى على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك فتنبه له وكان فطنا فبينما هو ذات يوم جالس اذ مر به قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يترجم بالعربية ففعل ذلك فانكره وقال ما اغلظ هذا فى دين الاسلام ان يكون طراز القراطيس هكذا وهى تعمل فى الاوانى والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر

بابطال ذلك الطراز الذى يعمل على الثياب والقراطيس والستور وغير ذلك وان تعمل صناع القراطيس سورة التوحيد وشهد الله انه لا اله الا هو وهذا طراز القراطيس خاصة الى هذا الوقت ولم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب الى عمال الآفاق جميعا بابطال ما فى اعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهى شئ منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعد ما اثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل الى بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل الى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فانكره وعظم عليه واستشاط غيظا فكتب الى عبد الملك انى اعمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم ولم تزل تطرز بطراز الروم الى ان ابطلته فان كان من تقدمك من الخلفاء قد اصاب فقد اخطأت وان كنت قد اصبت فقد اخطأوا فاختر من هاتين الخلتين ايهما شئت واحببت وقد بعثت اليك بهدية تليق بمحلك واحببت ان ترد طرز تلك القراطيس الى ما كان عليه وجميع ما كان يطرز اولا لاشكرك عليها وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول واعلمه انه لا جواب له ورد الهدية فانصرف بها الى صاحبه فلما وافاه اضعف الهدية ورد الرسول الى عبد الملك وقال انى ظننت انك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبنى الى كتابى فاضعفت الهدية وانا ارغب اليك الى مثل ما رغبت فيه اولا من رد الطراز الى ما كان عليه اولا فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب اليه ملك الروم كتابا يقتضى اجوبة كتبه ويقول انك قد استخففت بجوابى وهديتى ولم تسعفنى بحاجتى فتوهمتك استقللت الهدية فاضعفتها فجريت على سبيلك الاول وقد اضعفتها لك ثالثا وانا احلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز الى ما كان عليه او لآمرن بنقش الدراهم والدنانير فانك تعلم انه لا ينقش شئ منها الا ما ينقش فى بلادى ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت فى بلاد الاسلام فتنقش عليها شتم نبيك فاذا قرأته ارفض جبينك عرقا فاحب ان تقبل هديتى وترد الطراز الى ما كان عليه اول الامر وكانت هدية يسرنى بها

ويبقى الامر بيني وبينك فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه وعظم وضاقت به الارض وقال احسبني اشأم مولود ولد في الاسلام لاني جنيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هذا الكافر ما يبقى الى ابد الدهر ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب اذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم فجمع اهل الاسلام واستشارهم فلم يجد عندهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زنباع انك لتعلم المخرج من هذا الامر ولكنك تتعمد تركه فقال ويحك بمن قال عليك بالباقر من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت ولكنه ارتج الرأي فيه قال نعم فكتب الى عامله بالمدينة ان ارسل الى محمد بن علي بن الحسين مكرما ومتعه بمائة الف درهم لجهازه وثلثمائة درهم لنفقته وارح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من اصحابه وحبس الرسول قبله الى موافاة محمد بن علي فلما وافاه اخبره الخبر فقال له محمد رضي الله عنه لا يعظم هذا عليك فانه ليس بشيء من جهتين احداهما ان الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية تدعو في هذا الوقت بصناع يضربون سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما في وجه الدرهم والدينار والآخر في الوجه الثاني وتجعل في مدار الدرهم او الدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد الى وزن ثلاثين درهما عددا من الثلاثة اصناف التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون اوزانها جميعا احدا وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فيصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهم في ذلك الوقت انما هي الكسروية التي يقال لها اليوم البغلية لان رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكة كسروية في الاسلام مكتوب عليها

صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية (نوش خور) اى كل هنيئا
وكان وزن الدرهم منها قبل الاسلام مثقالا والدراهم التى كان وزن العشرة منها
وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هي السمرية الخفاف والثقال
ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وامره محمد بن على بن الحسين رضى الله
عنه ان يكتب السكة فى جميع بلدان الاسلام وان يتقدم الى الناس فى التعامل بها
وان يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرهما و
ان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة الاسلامية ففعل عبد الملك
ذلك ورد رسول ملك الروم اليه بذلك ويقول ان الله عز وجل مانعك مما قد
اردت ان تفعله وقد تقدمت الى عمالى فى اقطار البلاد بكذا وكذا وبابطال
السكك وطرازالرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهددت به ملك العرب
فقال انما اردت ان اغيظه بما كتبت اليه لانى كنت قادرا عليه بالمال وغيره برسوم
الروم فاما الآن فلا افعل لان ذلك لا يتعامل به اهل الاسلام وامتنع من الذى
قال وثبت ما اشار به محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم الى اليوم ثم رمى يعنى
الرشيد بالدرهم الى بعض الخدم انتهى من حياة الحيوان وقال نصر الله بن مجلى
وكان من الثقات واهل السنة رايت على بن ابى طالب رضى الله عنه فى المنام
فقلت يا امير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار ابى سفيان فهو
آمن ثم يتم على ولدك الحسين ما تم فقال اما سمعت ابيات ابن الصيفى فى هذا
قلت لا فقال اسمعها منه ثم انتبهت فبادرت الى دار حيص بيص فذكرت له الرؤيا
فشهق وبكى وحلف بالله انها لم تخرج من فيه او خطه لاحد وما نظمها الا فى
ليلة ثم انشد فى

ملكنا فكان العفو منا سجية	فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما	غدونا عن الاسراء نعفو ونصفح

واسم حيص بيص سعيد بن محمد ابو الفوارس التميمى الشاعر المشهور ويعرف بابن

الصيفى ولقب بحيص بيص لانه رأى الناس يوما فى حركة منزعجة وامر شديد فقال ما للناس فى حيص بيص فبقى هذا اللقب عليه ومن محاسن شعره

يا طالب الرزق فى الآفاق مجتهدا	اقصر عناك فان الرزق مقسوم
الرزق يأتى الى من ليس يطلبه	وطالب الرزق يسعى وهو محروم

وله ايضا

يا طالب الطب من داء اصيب به	ان الطبيب الذى ابلاك بالداء
هو الطبيب الذى يرجى لعافية	لا من يذيب لك الترياق فى الماء

وله ايضا

اله عما استأثر الله به	ايها القلب ودع عنك الحرق
فقضاء الله ليس يدفعه	حول محتال اذ الامر سبق

وله ايضاً

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت	على العباد من الرحمن ارزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية	ولا يضر مع الاقبال انفاق

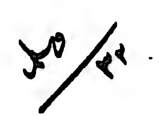
(ومما جاء فى الذكاء والفهم) ما حكى عن المأمون انه غضب على عبد الله بن طاهر وشاور اصحابه فى الايقاع به وكان قد حضر فى ذلك المجلس صديق له فكتب اليه كتابا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى) فلما فضه ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر اليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية واقفة على راسه فقالت له يا سيدى انى افهم معنى هذا فقال وما هو قالت انه اراد قوله تعالى يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور الى المأمون فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون فى عدم الحضور فكان سبب سلامته واحسن من ذلك ما ذكره ابن خلكان قال ان بعض الملوك غضب على بعض عماله فامر وزيره ان يكتب له كتابا يشخصه به وكان للوزير بالعامل عناية فكتب اليه كتابا وكتب فى آخره ان شاء الله تعالى وجعل فى صدر النون شدة فتعجب العامل كيف وقعت و

طنه

هذه الحركة من الوزير اذ من عادة الكتاب ان لا يشكلوا كتبهم (الشكل) فتفكر في ذلك فظهر له
انه اراد ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فكشط الشدة وجعل مكانها الفا وختم الكتاب
واعاده فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم انه اراد انا لن ندخلها ابدا ما داموا
فيها انتهى وفي تاريخ بغداد ووفيات الاعيان ان ابا حنيفة رضي الله عنه كان له جار
اسكافي يعمل نهاره فاذا رجع الى منزله ليلا تعشى ثم شرب فاذا دب الشراب فيه غنى وقال

اضاعوني واي فتى اضاعوا	ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى ياخذه النوم وابو حنيفة يسمع صوته كل
ليلة وكان ابو حنيفة يصلي الليل كله ففقد ابو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل
اخذه العسس منذ ليال فصلى ابو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته واتى الى
دار الامير فاستأذن عليه فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ
البساط ففعل به ذلك فوسع له الامير من مجلسه وقال له ما حاجتك قال اشفع
في جاري فقال الامير اطلقوه وكل من اخذ في تلك الليلة فخلوهم ايضا وذهبوا وركب
ابو حنيفة بغلته وخرج والاسكافي يمشي وراءه فقال له ابو حنيفة يا فتى هل اضعناك
فقال بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد الى
ما كان يفعل وقال الشافعي قلت لمالك هل رأيت ابا حنيفة قال نعم رأيت رجلا
لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته (فائدة) اذا عسر على المرأة
ولادتها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب
العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون (فائدة اخرى للصداع) ذكر في
حياة الحيوان ان مسلمة بن عبد الملك لما حاصر عمورية حصل له صداع فلم يركب في
الحرب فقال اهل عمورية للمسلمين ما لاميركم لا يركب فقالوا عرض له صداع فقالوا
لنا برنس فالبسوه له يزول عنه ما يجد فلبسه فشفي ففتشوا فيه فلم يجدوا فيه
شيئا غير بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من



وسلم اللهم اهلك صغارهم واقتل كبارهم وافسد بيضهم وخذ بافواههم عن معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعاء انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دآبة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واستجب منا يا ارحم الراحمين وهو عجيب مجرب فائدة قال القرافى اتفق الناس على تكفير ابليس بقضيته مع آدم عليه السلام وليس مدرك الكفر فيها الامتناع من السجود والا لكان كل من امر بالسجود وامتنع منه كان كافرا وليس كذلك ولا كان كفره بكونه حسد آدم عليه السلام على منزلته من الله تعالى والا لكان كل حاسد كافرا ولا كان كفره بعصيانه وفسوقه والا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد اشكل ذلك جماعة من الفقهاء وينبغى انه انما كفر بنسبته الحق جل جلاله الى الجور والتصرف الذى ليس بمرضى ويظهر ذلك من فحوى قوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ومراده ان الزام العظيم الجليل بالسجود للمحقر من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى وقد اجمع المسلمون على ان من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر انتهى من حياة الحيوان ومنه قول الشاعر

خليلى ان قالت بثينة ما له	اتانا بلا وعد فقولا لها لها
اتى وهو مشغول بعظم الذى به	ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى	اذا برزت لم يبق يوما بها بها
لها مقلة كحلاء وخد مورد	كأن اباها الظبى او امها مها
دهتنى بود قاتل وهو متلفى	وكم قتلت بالمزج من ودها دها

هى من مزج النغف بنون وغين معجمتين مفتوحتين ثم فاء دود يكون فى انف الابل والغنم الواحدة نغفة انتهى عن الاصمعى وقال ابو عبيدة هو الدود الابيض يكون فى النوى وما سوى ذلك الدود ليس بنغف وروى مسلم عن النواس بن سمعان فى حديثه الذى رواه فى الدجال ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ومعنى قوله

فهي قتلى وقيل للواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها

حكاية الهامة

روى ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال كنت عند كعب الاحبار وهو عند عمر ابن الخطاب فقال كعب الاحبار يا امير المومنين الا اخبرك باغرب شيء قرأته في كتب الانبياء ان هامة جاءت الى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت السلام عليك يا نبي الله فقال وعليك السلام يا هامة اخبريني كيف لا تاكلين من الزرع قالت يا نبي الله ان آدم اخرج من الجنة بسببه قال فكيف لا تشربين الماء قالت لانه غرق فيه قوم نوح فمن اجل ذلك لا اشربه فقال لها كيف تركت العمران وسكنت الخراب قالت لان الخراب ميراث الله تعالى فانا اسكن ميراث الله قال الله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين اذا جلست فوق خربة قالت اقول اين الذين كانوا يتنعمون فيها قال سليمان فما صياحك في الدور اذا مررت عليها قالت اقول ويل لبني آدم كيف ينامون وامامهم الشدائد قال سليمان عليه السلام فما لك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بني آدم لانفسهم قال فاخبريني ما تقولين في صياحك قالت اقول تزودوا يا غافلين وتهيؤا لسفركم سبحان خالق النور فقال سليمان ليس في الطيور طير انصح لابن آدم ولا اشفق عليه من الهامة وما في قلوب الجهال ابغض منها والهامة بتخفيف الميم على المشهور طير الماء انتهى من حياة الحيوان وفي كتاب فردوس الحكم قال آية من كتاب الله تعالى من قراها يأمن من الهوام اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فائدة اليحمور حمار الوحش وفي كتاب العرائس لابي الفرج بن الجوزي ان بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرافقه شخص في الطريق فلما كان قريبا من المدينة التي قصدها قال له ذلك الشخص قد صار لي عليك حق وذمة وانا رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وما هي

قال اذا اتيت مكان كذا وكذا فانك تجد فيه دجاجات بينهن ديك ابيض فاسأل
عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتي اليك قال فقلت له يا اخي وانا ايضا
اسألك حاجة قال وما هي قلت اذا كان للانسان مارد لا تعمل فيه العزائم وألح
بالآدمي مناماً داواه قال يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليحمور ويشد به ابهاما
المصاب من يديه شداً وثيقاً ثم يؤخذ له من دهن السذاب البري ويقطر في انفه
الايمن اربعاً وفي الايسر ثلاثاً فان الماسك به يموت ولا يعود الى احد بعده قال فلما
دخلت المدينة اتيت الى ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز فسألتها بيعه فابت
فاشتريته منها باضعاف ثمنه فلما اشتريته وملكته تمثل لي من بعيد وقال لي بالاشارة
اذبحه فذبحته فخرج علي عند ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربونني ويقولون يا
ساحر فقلت لست بساحر فقالوا انك منذ ذبحت الديك اصيبت شابة بالجن
وانه منذ مسكها لم يفارقها فطلبت منهم وتراً قدره شبر من جلد يحمور وشيئاً
من دهن السذاب البري فاتوا بهما فشددت ابهامي يدي الشابة شداً وثيقاً فلما
فعلت بها ذلك صاح وقال انا علمتك على نفسي ثم قطرت من الدهن في انفها الايمن
اربعاً وفي الايسر ثلاثاً فخر من وقته ميتاً وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعده
شيطان (فائدة) دم اليربوع يؤخذ ويطلى به الشعر الذي ينبت في الجفن بعد ان
ينتف يذهب باذن الله تعالى (فائدة) عين الهدهد اذا علقت على صاحب النسيان
ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب على خصمه وقضيت حوائجه وظفر بما
يريد ولحمه اذا اكل مطبوخاً نفع من القولنج ودمه اذا قطر في البياض العارض في العين
اذهبه وان بخر به برج حمام لم يقربه شيء يؤذيه والله اعلم وحكى القاضي شهاب
الدين بن فضل الله في كتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار في ترجمة
الحاكم بامر الله ابي علي منصور قال فبينما هو في موكبه قبلي بركة الحبش اذ مر برجل
على بستان له وحوله عبيده فاستسقاه ماء فسقاه ثم قال يا امير المؤمنين قد
الطمعتني في السؤال فان رأى امير المؤمنين ان يكرمني بنزوله لاحظى بتمام السعد



ويحك انى اصبحت على ما ترى فاتانى خبر ضيعة بجوارى وقد كنت طلبتها زمانا وتمنيتها فلم املكها وقد اعطى فيها الآن مائة الف فقلت وما يمنعك منها وقد اعطاك اضعاف هذا المال قال صدقت ولكن نفسى غير طيبة باخراج هذا المال وقال خذ هذا القضيب ونقر بقضيب فى يده على مدورة والقى عليه

نام الخليون من وهم ومن سقم	وبت من كثرة الاحزان لم انم
يا طالب الجود والمعروف مجتهدا	اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال فاخذته واحكمته ثم قال امض الساعة الى باب الوزير يحيى بن خالد وادخل عليه وحدثه بما رايت واذكر الضيعة وعرفه انى صنعت له هذا الصوت فاعجبنى ولم اجد من يستحقه الا جارية وانى لقيته عليك لتلقيه عليها واتنى بما يكون من الخبر قال فجئت الى الباب واستاذنت واعلمته فامر بنصب الستارة والقيت الصوت على الجارية مرارا حتى احكمته فقال لى تقيم عندنا او تنصرف قلت انصرف اطال الله بقاء مولانا الوزير فقال يا غلام احمل معه عشرة آلاف واحمل الى ابراهيم مائة الف فحملت مالى واتيت الى منزلى فنثرت على من عندى من الجوارى دراهم من تلك البدرة اكلت وشربت بقية يومى فلما اصبحت قلت والله لاذهبن الى استاذى واعرفن خبره واتيت ودخلت فوجدته على مثل ما كان بالامس فقلت له ما الخبر الم يأتك المال قال نعم غير انه لما دخل منزلى بخلت نفسى باخراجه والقى على صوتا آخر اتيت به الفضل بن يحيى وحدثته بما كان من ابيه بالامس فامر ان يحمل معى عشرون الفا ولابراهيم مائتا الف ففعلت مثل ما فعلت بالامس وغدوت اليه لما اصبحت فوجدته على مثل حاله بمثل عذره والقى على صوتا غيره اتيت به جعفر بن يحيى واخبرته بما كان من ابيه واخيه فامر ان يحمل معى ثلاثون الفا والى ابراهيم ثلثمائة الف فحملت معى اليه فبكى ابراهيم وقال وصلت الى ستمائة الف وانا جالس فى مجلسى لم ابرح منه فعلى مثل هؤلاء يبكى فرحم الله روحهم اجمعين وقال اسحاق غدوت يوما وانا ضجر من ملازمة امير المؤمنين

فعرضت نفسي على ان اطوف في الصحراء والفرج وقلت لغلماني اذا جاء رسول
الخليفة او غيره فلا تعرفوه مكاني فطفت وعدت وقد حمي النهار فوقفت في فناء
استريح فلم البث ان جاء خادم يقود حمارا فارها وعليه جارية واكبة عليها فاخر
الثياب ورايت لها قواما حسنا وظرفا فائقا فحدثت نفسي انها مغنية ثم دخلت
الدار التي انا واقف عليها فلم البث ان جاء شابان جميلان واستأذنا فاذن لهما
فدخلا ودخلت معهما فظنا ان صاحب الدار دعاني وظن صاحب البيت اني
معهما وجلسنا فاتي بالطعام فاكلنا وبالشراب فوضع ودخلت الجارية وفي يدها
عود فغنت وشربنا فسألهما صاحب المنزل عني فاخبراه انهما لا يعرفاني فقالوا
هذا طفيلي لكنه ظريف فاجملوا عشرتي فشربنا ودار الكاس فغنت

الجارية تقول

ذكرتك اذ مرت بنا ام شادن من المولعات الرمل ابدى تغوها		امام المطايا وهي بالشرب تسبح شعاع الضحى من وجهها يتوضح	

فادته ام احسنا ثم غنت اصواتا من القديم والحديث تقول

قال لمن صد عاتبا قل بلغت الذي اردت		ونأى عني جانبا ت وان كنت لاعبا	

فاستعدته منها لاصححه عليها فاقبل على احد الرجلين يغنفني ويقول ما
راينا طفيليا اصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا غاية
المثل طفيلي ويقترح فاطرقت وجعل صاحبه يكفه وهو لا يلتفت ثم قاموا الى
الصلاة وتأخرت بعدهم قليلا واخذت عود الجارية وشددت طبقته واصلحته
اصلاحا محكما وعدت الى موضعي وعادوا واخذ ذلك الرجل في عربدته على
وانا صامت واخذت الجارية العود وجسته فانكرت حاله وقالت من جس عودي
قالوا ما جسه احد قالت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته واصلحه
اصلاح متمكن من الصناعة قلت لها انا فقالت بالله خذ واضرب فاخذته وضربت

ضربا عجيبا فيه نقرات محركة فما بقي منهم احد الا وثب وجلس بين يدي وقال صاحب المجلس اقسم بالله ان لك في هذه الصناعة اصواتا غريبة فبالله عليك الا عرفت بنفسك فقلت انا اسحاق الموصلي ووالله اني لاتيه على الخليفة اذا طلبت وانتم تروني صاحبكم هذا يسمعني ما اكره لكوني تادبت معكم وحللت عندكم والله لا نطقت بحرف ولا جلست حتى تخرجوا هذا الممقوت فقال لصاحبه من مثل هذا خفت عليك واخذوا بيده وسحبوه واخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فقال لي الرجل لك في خصلة قلت ماهي تقيم عندنا اسبوعا والمكافاة الجارية والجهاز لك قلت نعم افعل واقمت عنده اسبوعا لا يعرف احد اين انا والمامون يطلبني في كل حين وكل موضع ولم يقع احد على خبري فلما انقضت الايام تسلمت الجارية والجهاز والخادم وجئت بذلك الى منزلي وركبت من وقتي الى المامون فلما رآني قال يا ابا اسحاق ويحك اين كنت فاخبرته الخبر فقال علي بالرجل الساعة فدللتهم على موضعه فاحضره وساله المامون فاخبره القصة فقال انت ذو مروءة وسبيلك ان تعان عليها وامر له بمائة الف وقال له لا تعاشر ذلك النذل المعربد انتهى ومن كلام الاحوص في حضرة يزيد غنته جارية بين يديه

اذا رمت عنها سلوة قال شافع	من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا	سريرة ود يوم تبلى السرائر

فطرب يزيد وقال لمن الشعر قالت لا ادري قال ابعثوا الى الزهري وكان قد ذهب من الليل شطره فاتي به فلما صعد اليه قال لا باس عليك لن ندعوك الا لخير فجلس وساله عن قائل هذا الشعر فقال للاحوص قال ما فعل به قال قد طال حبسه فامر بتخلية سبيله وان يدفع له اربعمائة دينار ثم قدم عليه بعد ذلك فاجازه واحسن اليه احسانا جزيلا وكانت المغنية جارية يزيد بن عبد الملك انتهى وحكى مسرور الخادم ان الرشيد قصد الركوب في غير عادته فقلت له اين تريد يا امير المؤمنين في هذا الوقت قال الى منزل ابراهيم الموصلي قال فمضى حتى انتهى الى منزل ابراهيم

الموصلي فخرج وتلقاه وقبل حافر حماره وقال يا امير المؤمنين في مثل هذه الساعة
تظهر قال نعم شوق طرق بي اليك ثم نزل وجلس في طرف الايوان واجلس
ابراهيم فقال له ابراهيم يا سيدي استنبط شيئا تأكله قبل الشراب قال نعم فجاء بطعوم
كانما كان معدا له فاصاب منه يسيرا ثم دعا بشراب حمل معه فقال له الموصلي يا
سيدي اغنيك ام تغنيك اماؤك قال بل الجواري فخرجت جواري ابراهيم فاخذن
صدر الايوان وجانبيه فقال ابراهيم ايضربن كلهن ام واحدة واحدة فقال بل
يضربن اثنتان اثنتان وواحدة واحدة تغني قال فضربت اثنتان و

غنت واحدة منهن فقالت

اذا دعا باسمها داع يحدثني	كادت لها مهجتي من حرها تقع
لو ان لي صبرها او عندها جزعي	لكنت اعقل ما آتي وما ادع
لا احمل اللوم فيها والغرام بها	ما كلف الله نفسا غير ما تسع

ثم غنت اخرى فقالت

طرقتك زائرة فحي خيالها	بيضاء تخلط بالجمال دلالها
هل يطمسون من السماء نجومها	باكفهم او يطمسون هلالها
شهدت من الانفال آخر آية	فاردتمو بجدالكم ابطالها

ثم غنت اخرى فقالت

شطت سعاد واضحى البين قد أفدا	واورثتك سقاما تصدع الكبدا
فما احتيالك اذ جد الرحيل بهم	وخلفوك غداة البين منفردا
لا استطيع لهم صبرا ولا جلدا	ولا تزال احاديثي بهم جددا

قال فقام حتى وصل صدر الايوان واخذ بجانبيه والرشيد يسمع ولا ينصب
لشيء من غنائهن الى ان غنته صبية من صدر الايوان من حاشية الصفة

هذين البيتين لابي نواس

يا موري الزند قد اعيت قوادحه	اقبس بما شئت من قلبي بمقباس

ما اقبح الناس فى عينى واسمجهم | اذا نظرت فلم انظرك فى الناس

فطرب الرشيد لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب ارطالا وسال الجارية عن صانعه فاسكتت فاستدناها فتقاعست فامر بها فاقبلت بين يديه فاخبرته بشئ اسرته اليه فدعا بحماره فركبه ثم التفت الى ابراهيم الموصلى فقال لدما ضرك ان تكون خليفة فكادت روحه تخرج حتى دعاء بعد ذلك وادناه قال فكان الذى اخبرته به سران الصنعة فى الصوت لاخته علية بنت المهدى وكانت الجارية لها فوجهتها الى ابراهيم الموصلى يطارحها ومن قول

(ابى نواس)

دع عنك لومى فان اللوم اغراء | وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها | لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حرفى زى ذى ذكر | لها محبان لوّاط وزناء
قامت بابريقها والليل معتكر | فلاح من وجهها فى البيت لالاء
فارسلت من فم الابريق صافية | كانما اخذها للعقل اخفاء
رقت على الماء حتى لا يلائمها | لطافة وخفى من شكلها الماء
فلو مزجت بها نور المازجها | حتى تولد انوار واضواء
دارت على فتية ذل الزمان لهم | فما يصيبهم الا بما شاؤا
فقل لمن يدعى فى العلم توسعة | حفظت شيئا وغابت عنك اشياء

(وقال الشاعر)

كعصفورة فى كف طفل يهينها | تذوق مرار الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها | ولا الطير مطلوق الجناحين يهرب

وروى البيهقى فى الشعب عن مالك بن دينار قال مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فدنا الى الفخ وقال مالك متغيبا فى التراب فقال للتواضع قال لم انحنيت قال من طول العبادة قال فما هذه الحبة

التى فى قبلت قال اعددتها للصائمين فلما امسى تناول الفحج فى عنقه فقال العصفو
ان كان العباد يخنقون خنقتك فلا خير فى هذه العبادة اليوم انتهى قال الشافعى
رضى الله عنه اربعة اشياء تزيد فى الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل واكل الفستق
واكل الجرجير واربعة اشياء تزيد فى العقل ترك الفضول من الكلام والسواك و
مجالسة الصالحين والعمل بالعلم واربعة تقوى البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة
الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم و
كثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة انتهى من حرف العين ودخل ابن الخياط
المكى على المهدى ومدحه فامر له بخمسين الف درهم فسأله ان يأذن له فى تقبيل يده
فاذن له فقبلها وخرج فما انتهى الى الباب حتى فرقها جميعا فعوتب فى ذلك

وانشد يقول

لمست بكفى كفه ابتغى الغنى	ولم ادر ان الجود من كفه يعدى
فلا انا منه ما افاد ذو الغنى	افدت واعدانى فاتلفت ما عندى

فغنى بهما المهدى فامر له بخمسين الف دينار انتهى

اقول لمقلتيه حين نامت	وسحر النوم فى الاجفان سارى
تبارك توفاكم بالليل	ويعلم ما جرحتم بالنهار

الامام احمد بن حنبل ومناقبه رضى الله عنه

مات سنة مائتين واحدى واربعين وحزر من حضر فى جنازته فكانوا
ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته رضى الله عنه عشرون
الفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى وقال الامام النووى فى تهذيب الاسما
واللغات ان المتوكل امر ان يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الامام
احمد فبلغ مقام الفى الف وخمسمائة وقد حزن عليه رضى الله تعالى عنه المسلمون و
اليهود والنصارى والمجوس وقال محمد بن خزيمة لما بلغنى موت الامام احمد بن حنبل
رضى الله عنه اغتممت غما شديدا فرايته فى المنام وهو يتبختر فى مشيته فقلت يا

